نفحات الهداية

المحاضرات التربوية لسماحة المرجع الديني
آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي
دام ظله

إعداد

مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية

نفحات الهداية

المحاضرات التربوية لسماحة المرجع الديني
آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله
تحرير: عبد الرضا شالچيان (الافتخاري)
إعداد: مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية
الناشر: ياس الزهراء سلام الله عليها – قم
الطبعة الأولى: جمادى الثانية ١٤٢٥ هـ
عدد المطبوع ١٠٠٠٠
الفلم و الزنك: نينوى – قم ٧٧١٩٥٢٠
السعر: ٢٠٠٠ تومان
شابك:؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين

إلى قيام يوم الدين

دعاء

«ما لي كُلّما قُلتُ قَد صَلُحَتْ سَريرَتي وَقَرُبَ من مجالسِ التَّوّابينَ مجلسي عَرَضَتْ لي بَلِيَّةٌ أزالَت قَدَمي وَحالَتْ بَيْني وَبَينَ خدمَتكَ سَيدي، لَعَلَّكَ عَنْ بَابكَ طَرَدتَني، وَعَن خدمَتكَ نَحَّيْتَني، أو لَعَلَّكَ رَأيتَني مُسْتَخفّاً بحَقّك فَأقْصَيتَني أو لَعَلَّكَ رَأيتَني مُعْرضاً عَنْك فَقَلَيتَني أو لَعَلَّكَ وَجَدتني في مَقام الكاذبينَ فَرَفَضْتَني أو لَعَلَّكَ رَأيتَني غَير شَاكر لنَعمَائك فَحَرَمْتَني أو لَعَلَّكَ فَقَدْتَني من مجالس العُلَماء فَخَذَلتَني أو لَعَلَّكَ رَأيتَني في الغَافلين فَمن رَحمتكَ آيستَني أو لَعَلَّكَ رَأيتَني آلفُ مجالس البَطّالين فَبَيني وَبَينهم خَلَّيتَني أو لَعَلَّكَ لم تحبَّ أن تَسْمعَ دُعَائي فَبَاعَدْتني أو لَعَلَّكَ بجُرمي وَجَريرَتي كافَيتَني أو لَعَلَّكَ بقلَّة حَيَائي منكَ جَازَيتَني، فَإن عَفَوْتَ يَا ربّ فَطال مَا عَفَوْتَ عَن المُذْنبين قَبْلي، لأنَّ كَرَمَكَ أيْ رَبّ يجلُّ عَنْ مُكافَاة المُقَصّرين وَأنَا عَائذٌ بفَضْلكَ هَارباً منْكَ إلَيْكَ، مُتَنَجّزٌ مَا وَعَدْتَ منَ الصَّفْح عَمَّنْ أحْسَنَ بكَ ظَنّاً»[1].

---

(١) مقطع من دعاء الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليهما السلام في أسحار شهر رمضان المبارك المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي (مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي: ٥٨٨).

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

لقد تظافرت الروايات الشريفة في الدعوة إلى حضور مجالس العلماء للاستفادة من علومهم والنهل من معارفهم والاسترشاد بتعاليمهم الروحية والتربوية والخُلُقية؛ فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مجالسة العلماء عبادة»[1].

وروي عن أمير المؤمنين سلام الله عليه أنّه قال: «العقل ولادة، والعلم إفادة، ومجالسة العلماء زيادة»[2].

كما حثّت الروايات الكثيرة على تدوين العلم وتقييده بالكتابة، مثل قوله صلّى الله عليه وآله: «قيّدوا العلم» قيل: «وما تقييده؟» قال: «كتابته»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنّة»[4].

وروي أنّ الإمام الحسن سلام الله عليه دعا بنيه وبني أخيه فقال: «إنّكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[5].

ومن مجالس علمائنا المليئة بالمعارف والعبر، المحاضرات العامّة

---

(١) بحار الأنوار: ١ / ٢٠٤ ح٢٤ باب٤ – مذاكرة العلم ومجالسة العلماء – .

(٢) كنز الفوائد: ١٣ الفصل الأوّل – مختصر الكلام في أنّ للحوادث أوّلاً – .

(٣) مستدرك سفينة البحار: ٩ / ٢٨ – باب فضل كتابة الحديث وروايته – .

(٤) مكاتيب الرسول صلّى الله عليه وآله: ٣٧١/١ ح٣٩.

(٥) منية المريد: ٣٤٠ – آداب الكتابة والكتب وما يتعلّق بها – .

لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيّد صادق الحسيني الشيرازي دام ظلّه، فلطالما أتحف مستمعيه وزوّاره – سواء في لقاءاته العامّة في المناسبات المختلفة، أو في المحاضرات الأخلاقية التي كان يلقيها على طلبة العلوم الدينية أسبوعيّاً – بالنكات الخفية والمعارف الدقيقة الكامنة في كلمات أهل البيت سلام الله عليهم وسيرتهم، فكانت تلك المجالس بما تبثّه من وعي فكريّ وعقيدي، دروساً ومحاضرات تربويّة ترشد المؤمنين إلى الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم عقيدة وفكراً، وأدباً وخُلُقاً.

فمن منطلق العمل بالأحاديث الشريفة الداعية إلى الاستفادة من مجالس العلماء، والأخرى الحاثّة على تقييد العلم، وحرصاً منّا على إيصال ما حملته تلك المحاضرات من المفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى أُولئك الذين حرموا من الحضور فيها، باشرنا – في مؤسّسة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله – بعون الله تعالى وتوفيقه بتدوينها وإخراجها، فكانت «نفحات الهداية» هي المجموعة الأولى، وتضمّ في الغالب المحاضرات العامّة للسيد المرجع، نضعها بين أيديكم أيها القرّاء الأعزّاء، على أمل أن نوافيكم قريباً بإذن الله تعالى بالمجاميع الأخرى، ونبدأها بإفاضات سماحته في شرح دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين سلام الله عليه ثم نعقبها بالمحاضرات الأخلاقية التي كان يلقيها سماحته على طلاّب العلوم الدينية أسبوعيّاً ثم المحاضرات الأخرى لسماحته إن شاء الله تعالى.

وفي الختام نوجّه شكرنا لكلّ الإخوة الذين بذلوا جهداً في هذا المجال، نخصّ بالذكر منهم الأستاذ عبد الرضا افتخاري، والسيد خلدون العسكري، والأستاذ علاء حسين، والشيخ جاسم الأديب، سائلين الله تعالى أن يسدّدنا وإياهم ويوفّقنا لتقديم المزيد ولكلّ ما يحبّه ويرضاه، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

مؤسسة الرسول الأكرم ﷺ الثقافية

المحاضرة الأولى

نبي الإسلام صلى الله عليه وآله خير هاد للبشرية

في ضوء الآية الكريمة

«ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا»

• ألقيت هذه المحاضرة في ٢٨ صفر عام ١٤٢٣هـ ، بمناسبة ذكرى شهادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

كيف دخل الناس في الإسلام أفواجاً؟

مكث نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله في مكة المكرمة، مدة ثلاث عشرة سنة تقريباً بعد البعثة المباركة، ثم هاجر بعدها إلى المدينة المنورة، إلى أن استشهد صلى الله عليه وآله مسموماً في مثل هذا اليوم (الثامن والعشرين من صفر).

وخلال هذه السنين الثلاث عشرة، التي لبث فيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مكة، بعد بعثته الشريفة، أحصى المؤرخون عدد الذين دخلوا في الإسلام، فكانوا زهاء مئتي شخص.

أما في المدينة المنورة فقد طُبّق الإسلام عملياً، وتوافد الناس إلى الإسلام حتى قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾[1]. فخلال هذه المدة القصيرة التي أمضاها رسول الله صلى الله عليه

---

(١) النصر: ٢.

وآله في المدينة، دخل مئات الألوف من الناس في الإسلام، وحصل كُلٌّ ذلك خلال السنتين أو الثلاث الأخيرة من العمر المبارك للنبي صلى الله عليه وآله، فكيف تحقق مثل هذا الأمر؟

قوانين الإسلام أفضل القوانين كلّها

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو أكبر وأفضل شخصيّة خلقها الله تعالى، حتى إن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه عندما سئل: أنبيٌّ أنت؟ قال: *أنا عبدٌ من عبيد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله*[١].

وإن السنّة أو النظام والأحكام والقوانين التي قرّرها نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله للمسلمين، مثلها مثل النبي صلى الله عليه وآله نفسه؛ فهي أفضل وأكمل القوانين والأحكام، ويجب أن تكون كذلك؛ أي يجب أن يكون هناك تناسب من حيث الأصل والسنخية، وهذا أمرٌ حاصل.

بيد أنه طيلة حضور نبي الإسلام صلى الله عليه وآله في مكة – بعد البعثة الشريفة – لم تخرج برامجه وتعاليمه وسياسته إلى العلن؛ فأكثر أقواله لم تطبق عملياً، لأنّ أرضية التطبيق لم تكن مهيَّأة بعد، ولم تتوافر بيده صلى الله عليه وآله حيال ذلك خيارات أُخرى؛ لكي يتسنّى معرفة نوع تعامله صلّى الله عليه وآله مع الناس، سواء في الحرب أو السلم، مع أنصاره أو مع أعدائه؟

حتّى اتضح جميع ذلك في المدينة، حين شرع صلّى الله عليه وآله في بناء نواة الدولة الإسلامية المباركة، وزال طوق الحصار عنه وعن المسلمين، عندها سرت في الأُمّة الإسلامية عافية الشريعة السمحاء

---

(١) الكافي: ١ / ٩٠ ح ٨ كتاب التوحيد.

والسنّة المطهّرة بأحلى صورها وأصدق معانيها، فعكس بذلك صلّى الله عليه وآله الصورة المثلى لأمثل دولة في الوجود. وهو المنهج نفسه الذي طبقه الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، على مدى خمس سنوات أيام حكومته بعد خمس وعشرين سنة مضت على شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

اقرأوا سيرة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، لتلحظوا المئات من النماذج، التي لو جُمعت وضُمّت بعضها إلى بعض، فإن أي شخص غير مسلم، حتى لو كان متعصّباً – ما لم يكن معانداً– سيتأثّر بها، ويعتنق الإسلام.

فإذا ما طُبّق، اليوم أو أيّ يوم آخر، منهج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، في بيوتنا، ومحالّ عملنا، وفي شركاتنا وبلداننا، لتحقّق ما تحقق في العالم قبل ألف وأربعمائة عام، وهو تأويل قول الله عز وجل: ﴿ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾، وسترون أن ملايين الناس سيدخلون في الإسلام.

كيف كان منهج نبيّنا صلى الله عليه وآله؟

في تاريخ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، أمثلة ونماذج كثيرة توضّح الحقيقة التي أشرنا إليها آنفاً. وكان أخي المرحوم سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره يؤكد على مخاطبيه تكراراً ومراراً خلال أحاديثه وكتبه، وكما سمعتم أنتم منه غير مرة، أن يقرأوا تاريخ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، ليكتشفوا جوانب العظمة فيه، ويدركوا سرّ التحوّل العظيم الذي أحدثه حتى قال الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ فإن هذا الدخول لم يكن معجزة وعملاً غير طبيعي، بل كان نتيجة طبيعية لنهج وطريقة وأسلوب نبي

الإسلام صلى الله عليه وآله.

فمن هم أولئك الناس الذين دخلوا في دين الإسلام، أفواجاً وجماعات، على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ لقد كان عددٌ كبير منهم من عبدة الأصنام، كما أنّ عدداً من هؤلاء كانوا نصارى، لم يأتوا أفراداً وآحاداً، بل كانوا يأتون جماعات ويعتنقون الدين الإسلامي؛ ومنهم اليهود أيضاً، لا سيما أولئك الذين كانوا داخل المدينة المنورة وفي ضواحيها، هؤلاء كأولئك دخلوا في الإسلام أفواجاً وجماعات.

فكيف اعتنقوا الإسلام دفعة واحدة؟ ماذا رأوا؟ وماذا سمعوا؟

فإذا ما وُجِدَت اليوم مثل تلك المشاهدات، وتلك المسموعات، ومثل تلك المعتقدات، في أية نقطة من العالم – سواء في الغرب أو في الشرق – لانقاد الناس إلى الإسلام بشوق ورغبة، ولأصبحوا مسلمين، وفي الوقت نفسه لتعزز عزم المسلمين ورسخ اعتقادهم، وسعوا حثيثاً في هداية الآخرين.

إن حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تزخر بالكثير من النماذج المؤثّرة، فاقرأوا تاريخه صلى الله عليه وآله وقوموا بعرض العشرات من تلك النماذج على النصارى واليهود والمشركين والملاحدة، عندها سترون إسلامهم، كما أن أي مسلم سيتعزز إيمانه، وسيكون سبباً لهداية الآخرين، بعد الاطلاع عليها.

لو طبقتم ذات المنهاج الذي كان في صدر الإسلام، داخل أسركم، فإن جيرانكم وأقاربكم والذين لديكم معهم روابط أسرية، سيحصل لديهم الاعتقاد بالتدريج؛ لو كانوا كفاراً فسيصبحون مسلمين، ولو كانوا غير محبين لأهل البيت سلام الله عليهم، فسيصبحون من محبيهم، ولو كانوا غير

متـدينين، فسيصـبحون متـدينين؛ ذلـك لأن منـاهج الإسـلام وأحكامـه وقوانينه عظيمة ورائعة.

نموذج من قوانين الدولة الإسلامية

أقدّم لكم نموذجاً واحداً من طريقة عمـل رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه، وقد ورد ذكره في كتب الحديث عند العامة والخاصـة، بـل رواهـا غيـر المسلمين أيضاً.

هذه الرواية التي سأنقلها لكم، لو عُرضت على أي شـعب، أو أتبـاع أي دين أو مذهب أو بلد في الكـرة الأرضـية فسـيتغيرون حتمـاً إذا مـا حصل لديهم التصديق أو الاعتقاد بها.

تقول الرواية: في الوقت الذي كـان نبـي الإسـلام صـلى الله عليـه وآلـه فـي المدينة المنـورة، وكـان يتـولّى سـائر الأمـور والشـؤون، بصـفته رئيسـاً للحكومة، أعلن صلى الله عليه وآله أنه: *من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته*[1] فماذا يعني ذلك؟

إن قضية (الضريبة على الإرث) متداولة اليوم في أكثـر دول العـالم، بل هي موجودة حتى في الدول التي تـدعي بـأن لـديها أفضـل وأرقـى القوانين.

إن قانون (الضريبة على الإرث) لم يشرّع حديثاً، بـل يعـود إلـى مـا قبل الإسلام، حيـث كـان رائجـاً فـي أوسـاط المشـركين. ففـي قـوانين وأحكام المشركين قبل الإسلام – وكذلك الديانتين اليهوديـة والنصـرانية

---

(١) الكافي: ١/ ٤٠٦ ح٦ ـ باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعية، وحقّ الرعية على الإمام.

المحرفتين طبعاً – كان يُعمل بمثل هذا المرسوم، فإذا ما مات شخص وترك مالاً، فإن رئيس الحكومة أو العشيرة، أو أي شخص يتمتع بسلطان، يأخذ قسماً من هذه الأموال، كضريبة على الإرث.

أما في الإسلام فلا وجود لشيء اسمه (الضريبة على الإرث) بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المذكور آنفاً.

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً: *ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ أو عليَّ* (١) أي من مات ولم يترك مالاً، وكان فقيراً، وخلّف أسرة لا تجد ما تعيش به، فـ(إليَّ وعليَّ)، أي إن نفقتهم على حاكم الدولة الإسلامية.

حقّاً إنه لا وجود لمثل هذا القانون في أي مكان من العالم، فحتى الدول الثرية والدول التي تدعى بالمتمدنة، ليس عندها مثل هذا القانون الرائع.

لا رفاهية إلا في الإسلام

فهل يوجد مثل هذا القانون، حتى في أكثر الدول ثراءً في عالم اليوم، بحيث يتحمل الحاكم الأعلى دَيْن المتوفى؟ نعم قد يتّفق أحياناً، بعد مراجعات مضنية في الدوائر الحكومية، أن يحصل الورثة على جزء يسير من المال، ولكن لا وجود لمثل هذا الأمر (ضمان الدَّين)، كحالة قانونية، في مكان من العالم.

هناك نقطة لا بد أن نشير إليها، وهي أنه يوجد اليوم في بعض

---

(١) كتاب الغايات: ٦٩ عنه بحار الأنوار: ١٠٠ / ١٥٣ ح٢٥ ـ باب إنظار المعسر وأن على الوالي أداء دينه.

الدول قدر من الضمان الاجتماعي. وفي بعض الدول الغنية، هنالك قانون يمنح الأسرة الفقيرة التي فقدت معيلها نصيباً من المال، ولكن ليس بالقدر الذي يكفي لسدّ رمق تلك الأسرة.

ثم، لو فرضنا أن إحدى الدول أعلنت هذين المطلبين:

١. إلغاء الضريبة على الإرث.

٢. إذا مات شخص وخلّف أسرة فقيرة، فإن الدولة تتحمل نفقتها، وإذا كان مديوناً أدّت الدولة دينه.

ألا تعتقدون أن الكثير من الناس، من سائر نواحي الدنيا، سيتركون أوطانهم ويهاجرون إلى ذلك البلد، ليكونوا من مواطنيه؟

ورغم أنه لا وجود اليوم لمثل هذا الأمر، إلا أنكم تلاحظون كم من الناس، من البلدان الإسلامية وغيرها، يهاجرون إلى الدول التي تتمتع برفاه اقتصادي وأمني نسبي، أو التي فيها ضغوط أقلّ بقليل من غيرها، مهما تكن نسبة التدين فيها.

لكن المتيقّن على نحو الإجمال: أنه يتعيّن في الإسلام، على إمام المسلمين، تأمين نفقة الأسر الفقيرة، إلى حدٍّ كاف، وأداء ديونها. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ... ***فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك***[1].

إن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله قدّم هذه الهدية إلى العالم، وفيها سعادة البشرية.. وهذا ما سيحصل ثانية حين يظهر وليّ الله الأعظم الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، ويتحقق الوعد الإلهي (**ليظهره على الدين كله**).

---

(١) الكافي: ١ / ٤٠٧ ح٧ ـ باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعية ـ .

وبديهي أنه ليس مراد النبي صلى الله عليه وآله من «إمام المسلمين» الإمام المعصوم، ذلك لأن الإمام المعصوم لا يرتكب ذنباً، بل المقصود من الإمام في هذا الحديث الشريف هو من بيده مقاليد الحكومة، ويملك مثل هذه الإمكانات.

اليهود يعتنقون الإسلام

هناك رواية عن الإمام الصادق سلام الله عليه، تبيّن ما قاله نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وهي موجودة في كتبنا، كما أنها جزءٌ من مفاخرنا؛ إذْ إن لدى أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أشياء لا يملكها أحدٌ من الناس.. غير أنه من المؤسف أنه يوجد بيننا من لا يعرف كثيراً من هذه المفاخر.

يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: ***وما كان سببُ إسلام عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله*** صلى الله عليه وآله ***وأنّهم أمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم.***[1]

حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصدى لمهامه، كرئيس حكومة، في المدينة المنورة، أعلن تلك الجمل المعدودة، وطرحها كقانون، وعلى أثر هذا الإعلان، دخل الكثير من اليهود، أو عامتهم، في الإسلام؛ ذلك لأن من طبيعة اليهود اكتناز الثروات، فوقع في خلدهم أن الإسلام دين جيّد، فاستحسنوا الدخول فيه، ولعلّهم فكروا على هذا النحو: إذا كنّا أثرياء ومتنا، فإن رئيس الحكومة الإسلامية لن يأخذ من أموالنا شيئاً، وسيرثها أبناؤنا وسائر الورثة كاملةً غير منقوصة. أما إذا كنّا فقراء ومتنا،

---

(١) الكافي: ١ / ٤٠٦ ح ٦ كتاب الحجة.

فإنه لا مثار للقلق في هذه الحالة أيضاً، لأن رئيس الحكومة الإسلامية سيؤمّن كفاف العيش لأسرنا، كما أنه لو متنا وكانت علينا ديون، فإن الدائنين لا يلاحقون أبناءنا والورثة، لأن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله يقول: *فإليَّ وعليَّ*. لذا فإن اليهود الذين تحدّث عنهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لتجدنّ أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود﴾ [1] دخلوا في الإسلام آحاداً وأسراً وجماعات.

صحيح، إن أغلب أولئك اليهود دخلوا الإسلام لأجل المال، ولكن أبناءهم وذراريهم رأوا النور بين أظهر المسلمين ونشأوا وترعرعوا في كنف الإسلام؛ ولذلك فإن عدداً من علماء المسلمين من نسل أولئك اليهود أنفسهم الذين أسلموا في ذلك اليوم.

ما تقدم نموذجٌ واحدٌ من مئات النماذج في تاريخنا الإسلامي.

الإسلام دين الحقّ والصدق

فلو علم النصارى أن الإسلام حق وصدق، وليس لفظاً مجرداً فقط بل هو عمل أيضاً – كما هو شأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه – أفلا يصبحون مسلمين؟ وكذلك اليهود إذا ما صدقوا بأن تلك هي حقيقة الإسلام، أفلا يؤول أمرهم إلى أن يصبحوا مسلمين؟

ألا يكفي هذا النموذج وحده ليحوّل النصارى واليهود والبوذيين وسائر الكفار إلى مسلمين؟

---

(١) المائدة: ٨٢ .

كيف غيّر رسول الله صلى الله عليه وآله أولئك النـاس، وصـيّرهم مسـلمين؛ حتى تحقق قول الله تعالى: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾؟ ولمـاذا لم يتحقق مثل هذا الأمر – دخول الناس أفواجـاً فـي الإسـلام – خـلال الثلاث عشرة سنة التي أمضاها رسول الله صلى الله عليه وآلـه في مكـة المكرمـة بعد البعثة الشريفة، غير أنه حصل ذلك أثناء السنوات التسع وبضعة أشهر التي عاشها صلى الله عليه وآلـه في المدينة المنورة، حيـث أقبـل النـاس أفواجـاً وجماعات على الدين الإسلامي؟

وإذا ما تهيأت الأرضية نفسها في أية منطقة من مناطق العـالم – بمـا فيها بلاد الكفر ـ وفي أيّ زمان، واُعلـن هـذا الأمـر، وطبِّـق علـى أرض الواقع، لتحوّل سكان تلك البلاد إلى الإسلام.

كان رسول الله صلى الله عليه وآلـه أفضل إنسان، وصاحب خير منهج، فمـن ذا الذي لا يحب أن يتبع المنهاج الأفضل، أو ينتسب إلى النظام الأمثل؟!

إن العزة والكرامة الإنسانية، والضمان الاجتمـاعي الـذي طبّقـه نبـي الإسلام صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عملياً، لا يوجـد نظيـر له في مكان من العالم، كما لا وجود لأي قانون يضاهي القـوانين الراقيـة في الإسلام.

إن أبا ذر الغفاري كان شابّاً مشركاً، فما الذي جعله يعتنـق الإسـلام؟ ماذا رأى حتى أصبح مسلماً، وإنساناً مثالياً؟ وكم هـي كثيـرة آثـاره التـي بقيت خالدةً، حيث إن هناك المئات من علماء الشيعة الكبار، هـم ثمـرة جهد أبي ذر رضي الله عنه. هؤلاء رأوا وصدقوا..

التأمين الاجتماعي لأول مرّة في العالم

كانت الحكومة الظاهرية لبضع سنوات بيد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، عندما كان في الكوفة، وكانت الكوفة مدينة كبيرة، وبحسب ما أثبته بعض المؤرخين، فإن مساحتها كانت تتجاوز الخمسمائة كيلومتر مربع، والبعض قالوا إن مساحتها أكثر من ذلك، وكانت تمثّل عاصمة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

روي في أحوال أمير المؤمنين سلام الله عليه، أنه خلال الأربع سنوات وبضعة أشهر ـ وهي مدة حكومته الظاهرية سلام الله عليه ـ حدث أمر لمرة واحدة فقط، لم يذكر التاريخ غيره، ولا يوجد في سائر الكتب ما يشير إلى أن تلك الحادثة تكررت في زمان حكومة الإمام سلام الله عليه.

تقول الرواية إنه ذات يوم كان أمير المؤمنين سلام الله عليه يجتاز في أحد شوارع الكوفة، فرأى شخصاً يتكفف، فقال: ما هذا؟ فأجابه بعض من لا يعرف حقيقة الإسلام، قائلاً: هذا نصراني.. قد هَرِمَ وصار لا يقوى على العمل، فهو يتسوّل!!

وربما تصور ذلك المجيب أن الأمر يختلف عند الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، إذا كان المتسول غير مسلم، والحال أنه في القانون الإسلامي لا يختلف الأمر من هذه الجهة.. الناس اليوم لا يعلمون هذه القضايا، وقد لا يصدّقون بها، وسيقولون: فلماذا المسلمون اليوم ليسوا على هذه الشاكلة؟

لكن الإمام أمير المؤمنين جعل يلوم أصحابه على ما رأى من حال ذلك النصراني، وقال: *استعملتموه حتى إذا كَبُر وعجز منعتموه! أنفقوا*

عليه من بيت المال[١].

فأي نصراني، أو أي يهودي، بل أي عابد وثن تعرضون عليه مثل هذا النموذج، ثم لا يتغير؟! إذا صدّق بذلك، فلا بد أن يتغيّر، ويؤثّر في أسرته ويجعلها تتغيّر أيضاً.

هل يوجد بلدٌ في العالم اليوم يخلو من المتسولين؟ لو ذهبتم إلى أغنى بلد في العالم لوجدتم فقراء ومتسولين.. وبالطبع، فإن الأمر يتفاوت من بلد إلى آخر؛ فهناك بلد فيه متسولون وفقراء أكثر، وآخر أقل.. وهكذا فأنتم تلاحظون أنه حتى في أكثر بلدان العالم تقدماً، وفي ظل أفضل القوانين العصرية، يوجد متسولون، في حين لا تجد مثل هذه الحالة في الإسلام، بل لا معنى لوجود حالة تسول في بلد إسلامي!

الإسلام للدنيا والآخرة

الإسلام لا يتعلق بالآخرة فقط.

بل الإسلام يعني: سعادة الدنيا أيضاً.

يعني: الأمان.

يعني: الاقتصاد السليم.

يعني: السياسة السليمة.

يعني: المجتمع النظيف.

يعني: أن يكون كل شيء صحيحاً وسالماً.

ورسول الله صلى الله عليه وآله نفسه، حينما كان في المدينة المنورة، بل

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي: ٦ / ٢٩٢ ح ١٨ ـ باب من الزيادات في القضايا والأحكام ـ .

حتى عندما كان في مكة المكرمة ولم يكن وقتها مبسوط اليد، أعلن: *فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدنيا وملوكاً في الآخرة*[١]، ومعنى ذلك أنه تعالوا ادخلوا في الإسلام، لتجدوا سعادة الدنيا والآخرة؛ أي تصبح الدنيا بين أيديكم، وفي الآخرة يكون مصيركم إلى الجنة أيضاً.

كما أن إسلام أمير المؤمنين سلام الله عليه، يعني الإسلام الصحيح؛ أي إسلام القول والعمل، وليس إسلام الاسم فقط، كما عبّر رسول الله صلى الله عليه وآله عن إسلام أقوام: *ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه*[٢].

لهذا أمر أمير المؤمنين سلام الله عليه في شأن ذلك النصراني المتكفف، أن يُجرى له من بيت المال راتب يكفيه لمعيشته.

أجل، إن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله قدّم إلى العالم هذه الهدية التي فيها سعادة البشرية.. وحين يظهر صاحب العصر والزمان ولي الله الأعظم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه، سيتحقق الوعد الإلهي ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾[٣] وتنتشر راية الإسلام على كل أرجاء الكرة الأرضية، ويصبح الجميع مسلمين لله تعالى.

وصيتان في مجال العمل الصالح

في هذه المناسبة أقدم للإخوة وصيتين، وأرجو أن يسعوا للعمل بهما إن شاء الله تعالى:

---

(١) بحار الأنوار: ١٨ / ١٨٥ ح١٥ باب المبعث وإظهار الدعوة وما لقي صلى الله عليه وآله من القوم.
(٢) كفاية الأثر: ١٥ ـ باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في النصوص على الائمة ـ .
(٣) الفتح: ٢٨.

الأولى: ما كان يؤكده أخي المرحوم (سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي طاب ثراه) تكراراً ومراراً: أن يجهد كل واحد منكم في إقامة مجالس العزاء والمشاركة فيها على مدى السنة، فهذا الجهد المبارك، لن يذهب سدىً حتى قدر رأس إبرة منه؛ وسيكون ذخراً لكم، ويثبت في سجلّ حسناتكم، إن شاء الله تعالى.

فبعد انقضاء شهر صفر، حاولوا درك هذا التوفيق العظيم، وأرجو أن توصوا الآخرين بذلك، وتتواصوا فيما بينكم ، وهو أن كلاً منكم – سواء كان ربّ أسرة وعنده عائلة، أم ما زال فتىً يافعاً– عليه أن يخصص ساعتين أو ساعة واحدة، أو حتى نصف ساعة، لأجل الإمام أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه.

في منزلك الشخصي اعقد مجلساً لسيد الشهداء سلام الله عليه، وابدأ من الصفر.

وإذا كان أحدكم فقيراً ولا يملك شيئاً، فليعمل على النحو الذي يتناسب مع وضعه الاقتصادي، كأن يشعل شمعة أو ينير سراجاً باسم الإمام الحسين سلام الله عليه لمدة دقائق كل أسبوع، وسط الأفراد الذين يكونون معه في بيته.

وإذا أتيحت لكم فرصة أفضل، وحالفكم التوفيق، فادعوا جيرانكم وأقاربكم وسائر المؤمنين لمثل هذا الأمر.

اسعوا لئلا يمضي عليكم أسبوع، دون أن يكون في بيوتكم ذكرٌ لمصيبة الإمام الحسين سلام الله عليه؛ ففي هذا بركة الدنيا والآخرة.

وحتى إذا كنت عضواً أو مسؤولاً لهيئة حسينية، وينعقد كل ليلة وكل يوم، مجلس ذكر لمصيبة أبي عبد الله سلام الله عليه في هيئتك، فلا تدَع

منزلك يخلو من سراج باسم الإمام الحسين. اسع لتحقيق هذا الأمـر، وأن يكون لك مثل هذا التوفيق الدنيوي والأخروي.

إن مجلس ذكر أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه، هو رأس الخيط الذي أوصل ويوصل إلى الكثير من التوفيقات.

عليكم بالشباب

الوصيةالثانية: صـونوا شـبابكم وفتيـانكم، واعملـوا علـى أن يكونـوا مؤمنين ومعتقدين بالله والرسـول صلى الله عليه وآله وأهـل البيـت سلام الله عليهم. ومهما بلغوا من اعتقادهم، فاعملوا على زيادة هـذا الاعتقـاد لـديهم، بـل وفروا وسائل وأسباب ذلك.

علينا أن نعرّف الشباب والفتية بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأهـل بيتـه سلام الله عليهم، بالنحو والكيفية التي عرفّوا بها أنفسـهم سلام الله عليهم، وبالطريقـة نفسها التي عرّف بها القـرآن الكـريم شخصـية رسـول الله صلى الله عليه وآله، وحقيقة الأئمة الأطهار سلام الله عليهم، وليس عبر كلمـات الإفـراط والتفـريط، التي تصدر من بعض الجهات المضللة وهي تريد أن ترفـع مقـام الأئمـة الأطهار سلام الله عليهم إلى أكثر من الحد الواقعي، أو تهبط بهـم إلـى مـا دون ذلك، لا يجوز أن تنسبوا حتى صفة واحـدة مـن صـفات الله عـز وجـل الثبوتية إلى الأئمة الأطهار سلام الله عليهم.

أطلعوا الشباب على حقيقة مسـألة العصـمة، ومسـألة علـم الغيـب، والمسائل التي تُعدُّ مـن المسـلّمات والقطعيـات المتعلقـة بمقـام الأئمـة المعصومين سلام الله عليهم.

الإمام الصادق سلام الله عليه يتبرّأ من المفترين

يُروى أن شخصاً منحرفاً اسمه محمد بن مقلاص ويكنى بأبي الخطّاب، كان يتظاهر بالإسلام، وهو في حقيقته لم يكن مسلماً، حشر نفسه بين أصحاب الإمام الصادق سلام الله عليه، وأخذ يتردد فيهم مدةً، وبمرور الوقت تعلّم بضع كلمات.

وبعد مضي زمان، صار يعرّف نفسه للناس على أنه ينوب عن الإمام الصادق سلام الله عليه، ويطرح مسائل معيّنة. وذات يوم ادّعى بأن الإمام الصادق سلام الله عليه هو الله، وأنه – أبا الخطّاب – نبيّه، فلما بلغ خبره الإمام سلام الله عليه، لعنه بشدة، وقيل لأبي الخطاب غير مرة بأن الإمام الصادق سلام الله عليه لعنك، لكنه لم يكن يعبأ، وكان يقول في ذلك: هذا أمر مصطنع، إن الإمام يريد بإنكاره تقديم المصلحة!!

فماذا يصنع الإمام الصادق مع مثل هذا الشخص؟ الأمور لا تسير كلها بالمعجزة، بل لا بد من أن يُمتحن الناس، وإنما تكون المعجزة على قدر إتمام الحجة، وإن نفس وجود الإمام المعصوم، أي الإمام الصادق سلام الله عليه، هو إتمام للحجّة؛ ﴿**ليهلك من هلك عن بيّنة**﴾[1]؛ وما لم تكن هناك (بيّنة) تكون المعجزة.

ذهب محمد بن مقلاص إلى مكة المكرمة لأداء مراسم الحج، فجاء شخص إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، وقال له: يا بن رسول الله! ذهب ابن مقلاص إلى الحج، وعند الإحرام في الميقات لبّى باسمك. تقول الرواية: انهمرت الدموع من عيني الإمام الصادق سلام الله عليه، وتغيرت

---

(١) الأنفال: ٤٢.

قسمات وجهه، ثم رفع يديه إلى السماء، وراح يتضرّع إلى الله تعالى ويقول: *يا رب برئت اليك مما ادعى فيّ الأجدع عبد بني أسد*[١].

نحن نسأل هنا: ما هو ضرر فعل محمد بن مقلاص على الإمام الصادق سلام الله عليه؟ أَلم يقل القرآن الكريم: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾[٢]؟

إن الإمام الصادق سلام الله عليه يعرف هذه الآية جيّداً، وإن محمد بن مقلاص هو الذي قال ذلك القول بشأن الإمام الصادق سلام الله عليه، والإمام سلام الله عليه نفسه لم يقل ذلك، ولم يدّع مثل ذلك الادعاء، فلماذا إذن يبكي الإمام، ولماذا يضطرب سلام الله عليه؟ ثم أوليس الله عز وجل يعلم بأن الإمام لم يقل ذلك، وهو يعلم السر والعلن؟ كما أن الإمام سلام الله عليه يعلم أيضاً أنه ﴿لا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾...

إن محمد بن مقلاص هو الذي اقترف ذنباً، حين لبّى باسم الإمام الصادق سلام الله عليه. والله سبحانه وتعالى يعلم أن الإمام الصادق سلام الله عليه هو ذلك الإمام الذي حين يريد أن يقول (لبّيك) يضطرب، وترتعد فرائصه، ولا يسعفه لسانه في قولها، لأنه يعلم أنه يتكلم مع الله عز وجل.. لا كما يقولها عامّة الناس، فما أكثر من يقولها ولا يعرف تمام معناها، غير أن الإمام الصادق سلام الله عليه يعلم تماماً ما تعني كلمة (لبيك).

ولعل بعض من كان حاضراً عند الإمام سلام الله عليه تعجب من استغفار الإمام وتضرعه على هذا النحو، وتصرفه بهذا الشكل. يقول الإمام سلام الله عليه لزيد النرسي ـ وهو راوي الحديث – : *ما استغفاري وتضرعي لله*

---

(١) مستدرك الوسائل: ٩/ ١٩٨ باب ٣٩ ح٣.

(٢) الأنعام: ١٦٤.

سبحانه وتعالى إلا لأستقرّ في قبري[١]؛ أي لأطمئن في قبري.

بعض الناس زعموا أيضاً أن السيد المسيح سلام الله عليه، هو الله، والقرآن الكريم يشير إلى أنه في يوم القيامة، وفي ساحة العدالة الإلهية الواسعة، يُسأل السيد المسيح سلام الله عليه في حضور الخلائق: ﴿**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله**﴾[٢].

إن الله تعالى يعلم أن عيسى سلام الله عليه لم يقل ذلك، ولعل الله عز وجل يريد أن يدين أولئك الذين زعموا تلك المزاعم الباطلة لأغراضٍ وأمراضٍ في نفوسهم.

قال بعض العلماء: قد يكون معنى تألم الإمام الصادق سلام الله عليه من عمل محمد بن مقلاص، واستغفاره وتضرعه إلى الله، ومعنى قوله: «*لأستقرّ في قبري*» هو: أنا أستغفر وأتضرع إلى الله، حتى لا يُقال لي في قبري: أأنت الذي قلت لمحمد بن مقلاص، لبِّ باسمي؟ فالإمام سلام الله عليه لم يرد أن يُسأل حتى مجرد سؤال عن ذلك؛ لأنه يشقّ عليه أن يوجّه له مثل هذا السؤال..

فلا معنى لهذا الكلام غير المناسب، والمبالغ فيه، الذي يُنسب للأئمة المعصومين سلام الله عليهم.. هذا النوع من الكلام يؤذي المعصومين سلام الله عليهم، لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: *لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ، وإياكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإني بريء من الغالين*[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: ٩ / ١٩٧ ح٣ ـ باب نوادر ما يتعلق بأبواب الإحرام ـ .

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) الاحتجاج: ٢ / ٢٣٣ ـ فيما روي عنهم صلوات الله عليهم في ذمّ الغلاة والبراءة منهم ـ .

إن الإفراط بالوصف، والمبالغة في الكلام، ليس هو الطريق لمعرفة الإمام المعصوم سلام الله عليه؛ مثل هذا الأسلوب قد يؤدي بصاحبه إلى أن يلعنه المعصومون سلام الله عليهم، وقد يلعن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف من يجعل الإمام المعصوم سلام الله عليه في منزلة فوق منزلته الواقعية.

إن الصفات الثبوتية هي الصفات الخاصة بالله تعالى وحده، ولا يمكن لأي مخلوق أن يتصف بها لتعلقها بذات الله المقدسة وحسب.

قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: *هلك فيَّ رجلان محبّ غال، ومبغض قالٍ*[1].

عود على بدء

إذن عليكم أن تصونوا الشباب، وهذا واجب الآباء والأمهات أوّلاً، وكذا الأعمام والأخوال والأقارب، وهو واجب الشباب المتدين أيضاً.

اهتموا بالمجالس الدينية وروّجوا لها وكذلك مجالس أهل البيت سلام الله عليهم، ومجالس القرآن، وهكذا الكراسات الدينية، التي تقوم بتعريف أصول الدين وفروعه، وتعريف المعاد والآخرة، وتعريف الله الكبير المتعال.. لتنتقل الاعتقادات الصحيحة إلى الأولاد والبنات.

أي شاب تعرفونه، حافظوا عليه بكلّ طريق صحيح، وتحدثوا معه بأساليب ليّنة مسالمة، وعاودوا الحديث معه مرة بعد أخرى.. وإذا تحدثتم مع شابٍ لعشر مرات، ولم ينجذب إليكم، فحدثوه للمرة الحادية عشرة، وإلى المرة العشرين وهكذا.. المهم ألا تيأسوا؛ لأنه كلما ضاع

---

(١) نهج البلاغة: ٤ / ٢٨ رقم ١١٧ .

شابٌ، تغيّر تاريخ بعينه.. وكلما آمن شاب وصار معتقداً حقاً، فمن الممكن أن يهتدي بواسطته، في المستقبل، آلاف الشباب.

أؤكد مرة أخرى على الوصيتين:

الأولى: أقيموا مجالس أسبوعية باسم الإمام الحسين سلام الله عليه، في بيوتكم.

الثانية: الشباب.. الشباب.. صونوا الشباب، وصححوا عقائدهم..

أتمنى، ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت المعصومين الأطهار سلام الله عليهم، أن تُقبل أعمالكم جميعاً، وتُثبّت في صحائف حسناتكم، وأن توفَّقوا جميعاً للعمل بهاتين الوصيتين.. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثانية•

الإمام أمير المؤمنين و السلامة في الدين

من خلال قوله عليه السلام

«في سلامة من ديني؟»

• ألقيت هذه المحاضرة في ليلة ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ ، بمناسبة ليالي القدر وذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

في الخطبة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك - ولها أسانيد معتبرة، وإن كان السند المنسوب إلى الشيخ الصدوق رحمه الله أكثر اعتباراً ـ روي أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله في نهاية الخطبة قائلاً: ***ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟*** فقال الرسول صلى الله عليه وآله في جوابه: ***يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّوجلّ.***

ثم إن الرسول صلى الله عليه وآله بكى بعد ذلك، فسأله الإمام عن سبب بكائه، فأخبره النبي صلى الله عليه وآله أنه سيقتل في هذا الشهر. فسأله الإمام سلام الله عليه: ***وذلك في سلامة من ديني؟*** فأجابه النبي صلى الله عليه وآله: ***في سلامة من دينك***[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا سلام الله عليه: ٢ / ٢٦٥ ح ٥٣.

و في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله خرج يوماً مع الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إلى ضواحي المدينة، و عندما نظر إليه النبي صلى الله عليه وآله بكى، فسأله الإمام عن سبب بكائه فأخبره صلى الله عليه وآله بما سيجري عليه من بعده، فقال الإمام : *في سلامة من ديني؟* (١)

وفي مورد ثالث أن النبي صلى الله عليه وآله أخبره عن عداوة القوم له، وكرر الإمام السؤال نفسه.

فماذا يضمر هذا السؤال؟ إن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه يسأل عن سلامة الدين، وهي لفظة مركبة من كلمتين، بل هي بمثابة كلمة واحدة في اللغة ولكن يالها من كلمة تحظى بأهمية كبيرة.

سلامة الدين أهم من كل شيء

لو أُبلغ أحدنا بخبر موته وكان متيقّناً من صحّة الخبر، فكيف سيكون حاله؟

لا شك أن أكثر الأشخاص سيتحسّرون على فقدهم الحياة وفراقهم المال والأهل و الولد. أما الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه فلم يتأسّف أو يتحسّر ولم يحزن ولا فكّر إلا في أمر واحد وهو سلامة دينه!

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عن الظلم الذي سيقع عليه، وكان الإمام سلام الله عليه ذا شخصية قوية سواء من حيث الإدراك والعلم، أو من الناحية البدنية، والإنسان القوي إذا وقع عليه ظلم، فإنه يقع تحت تأثير نفسه الأمارة عادة ويسعى للانتقام، وتوسوس له

---

(١) انظر كتاب سليم بن قيس الكوفي: ٧٢-٧٤.

نفسه وتنسيه دينه وتجعله خاضعاً لمشاعر الانتقام [١]، ولكنا نرى الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه يختار السكوت من أجل مصالح ديننا! لو أن شخصاً أهان واحداً منا، ولم يكن ردّنا له في صالح ديننا فماذا سنفعل؟ إن السكوت في مثل هذه الحالة يتطلب مقدمات كثيرة حتى يستطيع المرء أن يعمل وفق مصالح دينه ويدع أهواءه النفسية جانباً.

لقد ورد مفهوم سؤال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه من النبي صلى الله عليه وآله: *في سلامة من ديني؟* في دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه حيث يقول: *فاجعل اللهم صباحي هذا نازلاً عليّ بضياء الهدى وبالسلامة في الدين والدنيا* [٢].

إن بلوغ السلامة في الدين أمر ايجادي وتكويني واختياري. آمل أن يكون كلّ منا قادراً على أن يوجد في نفسه السلامة في الدين، في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك.

ما المقصود بسلامة الدين؟

الدين يعني الطريق والأسلوب الذي إن اعتقدنا به عُدّ من أصول الدين، وإن عملنا به سمّي فروع الدين، أي الواجبات (كالصلاة والصيام)

---

(١) يقول الله تعالى: ﴿لا يحبّ اللهُ الجهرَ بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم﴾ (النساء: ١٤٨) وهذا معناه أن المظلوم تجوز له غيبة ظالمه، و هذا من مستثنيات الغيبة.
لقد سألت المرحوم الوالد عن حد الاستثناء ما هو؟ أي ما هي الحدود التى تجوز للمظلوم أن يتحدث فيها عن ظالمه؟ فهل يجوز له أن يتحدث عن سيئاته الأخرى خارج دائرة ظلمه؟ فقال رحمه الله: له الحق في الحديث عن المحور الذي ظُلم فيه فقط، ثم ضرب لذلك مثالاً، فقال: لو أن شخصاً أكل مالك فهذا لا يعطيك الحق أن تفضحه عند الجميع!.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي: ١٦٥– ١٦٧، دعاء الصباح.

والمحرّمات (كالغيبة والتهمة) والمستحبات والمكروهات والأخلاق والآداب.

الدين هو ما عبّر عنه الله تعالى بقوله: ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾[١].

فما المقصود بالسلامة في الدين؟ إن القرآن لاعيب فيه، ووصايا الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته سلام الله عليهم وأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم صحيحة وسليمة أيضاً، فما هو المراد من السلامة في الدين إذن؟

إن المقصود هو سلامة الإنسان في دينه وأن يكون على نصيب منه.

في بعض روايات باب النكاح أن النطفة إذا انعقدت في وقت كذا كان المولود في سلامة من دينه.

بعبارة أخرى إن المعيار الذي يُعرف به سلامة الدين هو في معرفة مدى استيعاب الإنسان لمفاهيم القرآن وكلمات أهل البيت سلام الله عليهم والعمل والالتزام بهما.

عندما تسأل شخصاً: كيف حالك؟ فيجيب: "سالم والحمدلله"، فما معنى "سالم"؟ معناه أن فكره وأعضاء بدنه وجوارحه كلها سالمة، ولو كانت أعصابه متشنجة لم يقل إنه سالم، وهكذا سلامة الدين فهي تعني أن يكون الإنسان سالماً في دينه كله.

ولقد أشير أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عندما سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن أفضل الأعمال في هذا الشهر، أجابه الرسول صلى الله عليه وآله إنه الورع عن محارم الله. وهذا في الحقيقة هو الذي يقرّبنا من سلامة الدين. إن الدار المبنيّة قبل عشرين سنة مثلاً ليست نفسها اليوم لأنها استهلكت

---

(١) آل عمران: ١٩.

خلال هذه المدة، وهكذا الطعام الذي يطبخ الآن أو اللباس الـذي خـيط، والسيارة وكلّ ما يستعمله الإنسان لن يبقى على حاله بعد مرور مدة مـن الزمن، فكـل شـيء فـي هـذه الـدنيا إلـى نفـاد وهـو فـي طريقـه إلـى الاضمحلال والتلاشي، أما الإنسان فيختلف حاله عن الأشياء التي أشـرنا إليها.

صحيح أن عمر الإنسان وكيانـه الظـاهري - أي بدنـه - سـائر إلـى الفناء والزوال، ولكن جنبته المعنوية وروحه، علـى العكـس مـن ذلـك، تسير نحو العروج والتعالي بدل الأفول والنقصان.

هناك بعض الأشخاص يبـدون ظـاهراً أنهـم يقضـون حيـاتهم فـي سلامة من دينهم ولكن عواقبهم في آخر عمرهم تكون إلى شرّ، ويصدق العكس أيضاً.

أسأل الله تعالى أن يجعل كلاً منا قـادراً علـى أن يوجـد فـي نفسـه السلامة في الدين، في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، وصـلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثالثة

قبس من الغدير

بيان حقيقة عيد الغدير الأغرّ و عظمته

في ضوء الحديث النبوي الشريف

«يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي...»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

عيد الله الأكبر

طبقاً للروايات الإسلامية فإنّ عيد الغدير هو أعظم أعياد الله تبارك وتعالى.

روي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أنّه قال: *يوم غدير خمّ أفضل أعياد أمّتي وهو اليوم الذي أمرني الله - تعالى ذكره - فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علَماً لأمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتمّ على أمّتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً*[1].

وروي عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: *نعم، أعظمها حرمة*، قلت: وأيّ عيد هو جعلت فداك؟ قال: *اليوم الذي نصّب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام*

---

(١) أمالي الصدوق: ١٠٩ ح ٨.

وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. قلت: وأيّ يوم هو؟ قال: *... يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة*[١].

فعيد الغدير ليس يوم أمير المؤمنين علي سلام الله عليه وحده، بل هو يوم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أيضاً، بل يجب القول بأنّه يوم الله تعالى، لأنّ مراد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين سلام الله عليه في طول مراد الله تعالى.

لقد ذكر الله تعالى هذا اليوم فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢]. وحسب هذه الآية الكريمة فإنّ كمال الإسلام حصل عندما أعلنت ولاية علي سلام الله عليه كفريضة.

روي عن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه أنه قال: *آخر فريضة أنزلها الله الولاية* ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ *فلم ينزل من الفرائض شيء بعدها حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله*[٣].

كما روي عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه قوله: *وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عزّ وجلّ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ... يقول الله عزّ وجلّ: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض*[٤].

---

(١) فروع الكافي: ٤/ ١٤٩ ح٣ باب صيام الترغيب.

(٢) المائدة : ٣.

(٣) تفسير العيّاشي: ٢٩٢/١ ح٢٠.

(٤) دعائم الإسلام للقاضي المغربي: ١ / ١٥، ذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد أوحى الله عزّ وجلّ بالأحكام والواجبات الواحدة تلو الأخرى حتى ختمها بالولاية، لأنّه عندما تمّ بيان هذا الحكم، أنزل الله هذه الآية ﴿اليَوْمَ أَكمَلتُ ... ﴾ ليعلن أن لا فريضة بعدها. فبعد نزولها وتنصيب أمير المؤمنين سلام الله عليه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله أدرك الناس مراد الله تعالى من الآية الكريمة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1]، وعلموا أنّ عليهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الامتثال لطاعة أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين سلام الله عليهم.

إذن، كانت فريضة الولاية آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثمّ قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله.

الغدير ووفور النعمة

ممّا يثير الانتباه في هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى قد ربط إتمام نعمته على الخلق بموضوع الولاية، أي كما أنّ تحقّق كمال الدين ارتبط بالولاية فإنّ إتمام النعمة أنيط بإعلانها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. والمقصود بالنعمة جميع النعم، ظاهرها وباطنها مثل العدل والمساواة والاتحاد والأخوة والعلم والأخلاق والطمأنينة النفسية والروحية والحرية والإحساس بالأمن، وبعبارة موجزة جميع أنواع العطايا.

لذا، فموقف أولئك الذين سعوا إلى تفسير النعمة في الآية بالشريعة واعتبارها مجرّد مسألة معنوية محلّ تأمّل ونظر، لأنّ الآية المذكورة لم تتطرّق لمسألة أصل النعمة، بل الحديث يدور حول «إتمام النعمة»،

---

(١) النساء: ٥٩.

فأينما ورد ذكر إتمام النعمة في القرآن الكريم كان المراد منها النعم التي يصيبها الإنسان في الدنيا[١]، ومن هنا توجد علاقة مباشرة بين ولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه والتمتّع بالنعم الدنيوية، وإحدى الشروط المهمّة والرئيسية للوصول بنا إلى مجتمع الحرية والبناء القائم على أساس العدالة والأخلاق وسيادة القيم والفضائل الأخلاقية الإنسانية أن نسلّم لما بلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، وأن نقبل عملياً بولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، بعبارة أخرى: إنّ الأخذ بولاية أمير المؤمنين سلام الله عليه، له أثر تكويني، ويوجب سبوغ البركات والخيرات على الناس من الأرض والسماء.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٢].

لو أردنا أن نشرح الغدير في عبارة موجزة نقول: الغدير هو الوعاء الذي تصبّ فيه جميع تضحيات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهو مخزن الأحكام والآداب التي أوحى الله تعالى بها إلى رسوله الأمين، وفي إشارة إلى هذه الحقيقة يقول جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٣].

والغدير روضة الفضائل والأخلاق والمكارم والمحاسن بل هو المكارم بعينها، ويدين التطور الحضاري والمعنوي له بذلك؛ لأنّه أهمّ عامل في حفظ كيان الدين والملّة، ويعدّ إنكاره بمثابة إنكار لجميع

---

(١) البقرة: ١٥٠؛ المائدة: ٣ و٦؛ يوسف: ٦؛ النحل: ٨١؛ الفتح: ٢.

(٢) المائدة: ٦٦.

(٣) المائدة: ٦٧.

القيم الإسلامية السامية الممتدّة على أرض الإسلام الواسعة.

إذن كلّ عقيدة لا تغرف من معين الغدير فهي ليست على شيء، والغدير بجوهره وروحه يعني مدرسة أمير المؤمنين سلام الله عليه التي تصلح لإسعاد البشر أجمع. فأمير المؤمنين سلام الله عليه هو بعد الرسول صلى الله عليه وآله أعظم آيات الله عزّ وجلّ ولا تضاهيه آية، وفي هذا يقول الإمام الصادق سلام الله عليه للّذي أراد سبر معرفة الله بدون أمير المؤمنين سلام الله عليه: *فليشرّق وليغرّب*[1]، أي لن يبلغ غايته ولو يمّم وجهه شرقاً وغرباً. إنّه لمن تعاسة الإنسان وسوء حظّه أن يطلب العلم والمعرفة من غير طريق علي وآل علي سلام الله عليهم، وهذا العلم، إن حصل، فليس بذاك لأنّه مفرّغ من القيم الأخلاقية والمعنوية، وبعيد عن روح الشريعة.

الغدير والتعاطف مع الناس

إحدى خصال الإمام علي سلام الله عليه خاصة في فترة خلافته، تعاطفه مع الناس، ويتجلّى تعاطفه مع أفقر الناس من خلال عمله وقد قال: *ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه*[2].

فهو سلام الله عليه لم يضع حجراً على حجر، ولم يسكن قصراً فارهاً، بل تحمّل كلّ المصاعب والآلام لئلا يكون هناك فرد في أقصى نقاط دولته يتبيّغ بفقره لا يجد حتى وجبة غذاء واحدة تسدّ رمقه، وهو القائل: *ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع*[3].

---

(١) راجع مستدرك الوسائل: ١٧ / ٢٧٤ ح ٢١ ـ باب وجوب الرجوع إلى المعصومين عليهم السلام.

(٢) نهج البلاغة: ٤١٦، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف، رقم ٤٥.

(٣) المصدر السابق.

لذا، فإنّه لمجرد أن يحتمل سلام الله عليه وجود أفراد في المناطق النائية من رقعة حكومته جوعى، لم يكن ينام ليلته ممتلئ البطن، وقد حرم نفسه حتى من متوسط الطعام واللباس والمسكن ولوازم الحياة العادية.

أراد الإمام علي سلام الله عليه بنهجه هذا تحقيق هدفين:

الهدف الأول: أن يُبعد عنه أي شبهة كحاكم إسلامي، ويسلب منتقديه – هؤلاء الذين أنكروا عليه حتى مناقبه[1] – أي حجّة تدينه.

الهدف الثاني: تذكير الحكّام المسلمين بمسؤولياتهم الخطيرة تجاه آلام الناس وفقرهم في ظلّ حكوماتهم، وضرورة إقامة العدل والتعاطف مع آلامهم وعذاباتهم، والسعي بجدّ من أجل تأمين الرفاهية والعيش الكريم لهم.

من هذا المنطلق، فإن مجرّد احتمال وجود جياع في أبعد نقاط الحكومة الإسلامية يعتبر في ميزان الإمام علي سلام الله عليه مسؤولية ذات تبعات، لذا فهو عليه السلام يؤكّد على الحكّام ضرورة أن يجعلوا مستوى عيشهم بنفس مستوى عيش أولئك، وأن يشاركوهم شظف العيش.

وهنا تتجلى عظمة الغدير أكثر فأكثر، وتسطع أنوار القيم والتعاليم السامية التي يحملها يوماً بعد آخر، تلك القيم التي تؤمّن التوازن السليم بين المتطلبات الروحية والعقلية والمادية والمعنوية للبشر، لتحقّق السعادة للجميع أفراداً وجماعات، حكاماً ومحكومين.

---

(١) من جملة ما أنكره هؤلاء المنتقدون قصّة تصدّقه سلام الله عليه بالخاتم راكعاً، رغم أنّ معظم المفسّرين قد أقرّوا بأنّ الآية الكريمة: ﴿إِنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والّذينَ آمَنوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ وَيُؤتونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعون﴾ نزلت في شأنه سلام الله عليه، وهو مصداقها الوحيد.

مبادئ مدرسة الغدير

وهي مبادئ واسعة وعميقة لدرجة أنّه لا يستطيع أحد الإحاطة بها وبكنهها جميعها، إلاّ قبسات من إشعاع فيضها. ألفت نظركم إلى تلك العبارة الموجزة والبليغة من كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه في قوله: *والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته*[1].

النقطة البالغة الأهمية التي تتضمّنها هذه العبارة أنّ الإمام سلام الله عليه قد استخدم كلمة «لو» وهي كما يذكر علماء اللغة ليس مجرد حرف شرط، بل حرف شرط يدلّ على امتناع لامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الشرط. يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]، أي لو كان في الأرض والسماء آلهة غير الله عزّ وجلّ لانفرط عقد الكون، وما زال الأمر ليس كذلك، فالسماوات والأرض باقيتان على حالهما ممسكتان، إذن ليس فيهما آلهة إلا الله. فحرف (لو) سلفاً يدلّ على أن ما بعده من الشرط غير ممكن.

وهكذا نحو قولنا: لو كان لي جناحان لطرت بهما، فانتفى طيراني لعدم امتلاكي جناحين. فـ (لو) ابتداءً يدلّ على انتفاء مدخوله، من هنا، يكون معنى قوله سلام الله عليه (والله لو أعطيت...): أي أن عصياني لله تعالى في ظلم نملة بهذا المقدار القليل لا يمكن تحققه حتى إذا كان بإعطائي مقابله الأقاليم السبعة. وهذا المعنى يؤشر عليه حرف (لو).

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤٦ خطبة رقم ٢٢٤.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

والإمام سلام الله عليه غير مستعدّ للفوز بملك الأقاليم السبعة في مقابل معصية الله ولو في سلب قوت نملة واحدة، ففي القول دلالة على نملة مفردة.

ونقطة ثانية مهمة في العبارة المذكورة: هي استخدام كلمة «*جُلب شعيرة*»، وهي قشرة حبة الشعير الرقيقة، والتي تنزع عنها تلقائياً، ولو كان يوجد ما هو أتفه شأناً من جلب الشعير لقارن الإمام سلام الله عليه به. من هنا، فقد أقام الحجّة على جميع الحكّام وولاة الأمر، واضعاً إيّاهم أمام مسؤولياتهم الخطيرة، هؤلاء الحكّام الذين لا يتورّعون عن ارتكاب أي جريمة، فيبيدون الحرث والنسل، ويزهقون الآلاف من الأرواح الزكية البريئة من أجل شبر من الأرض أو مال قليل أو بلوغ المناصب والتمتّع بحطام الدنيا الزائل.

حسب ثقافة الغدير، فإنّ في سلب النملة جُلب شعيرة معصية، فما بالك بقتل الأفراد بالظنّة والشبهة! في النقطة المقابلة، نجد المنطق الأموي والعباسي الذي كان يعاقب الأفراد بتهمة حبّهم لعلي سلام الله عليه، ويقمع الخصوم الفكريين لأدنى شبهة.

والحكام السابقون للإمام علي سلام الله عليه أيضاً كانوا يسيرون على هذا النهج نفسه – أي نهج الحكام الأمويين والعباسيين – حيث كانوا يخنقون أصوات المعارضين لأتفه الأسباب، فمثلاً أرسل أبو بكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد للإجهاز على معارضيه، وقد أدّى خالد المهمّة بوحشية وبشاعة بإهراقه دماء فريق من المسلمين في حروب سمّيت «بحروب الردّة»، وتحت ذريعة محاربة المرتدّين، إلاّ أنّ معظم الذين سفكت دماؤهم من قبل خالد وجيشه كانوا من المسلمين الأبرياء، ولم

تكن تهمة الارتداد سوى ذريعة[١].

بل إنّ الأساليب التّي اتّبعها خالد في حربه ضدّهم كانت مخالفة تماماً لنهج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وتعاليم الإسلام، وتتلخص أساليب خالد في: قتل المسلمين بقذفهم من المرتفعات والأماكن العالية، وحرقهم وهم أحياء، والتمثيل بهم، وقطع أوصالهم، وإلقائهم في الآبار، في حين كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ينهى عن المثلة حتى بالكلب، في هذا يوصي الإمام علي سلام الله عليه أهل بيته محذراً إيّاهم من التمثيل بقاتله، بقوله: *.. فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور*[٢]. وهذا غيض لفيض من الفظائع التي ارتكبها خالد وهو منطلق بأمر أبي بكر.

الغدير والمشاعر الإنسانية

بركة أخرى من بركات الغدير هي الوقوف على الجانب العاطفي من شخصية الإمام علي وأبنائه سلام الله عليهم الذين نصّبهم رسول الله صلى الله عليه وآله لخلافته من بعده، ففيهم تتجلّى الرحمة الإلهية على الخلق وهم التجسيد الحيّ لأسمائه الحسنى، حيث ورد في بعض الروايات أنّ الآية الكريمة: ﴿وَلِلّٰهِ الأَسْماء الحُسْنى فادْعوهُ بِها﴾ نزلت في شأنهم[٣].

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢ / ٥٠٢ – ٥٠٤، ذكر البطاح وغيره.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢١، من وصية له للحسن والحسين عليهم السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله.

(٣) عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله عز وجل (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) الأعراف: ١٨٠: نحن والله، الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد إلا بمعرفتنا. تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني: ١ / ١٨٩.

فمن شفقة أمير المؤمنين سلام الله عليه على الخلق أنه أعطى طعامه للأسير واليتيم والمسكين وبات جائعاً هو وزوجته فاطمة الزهراء وولداه الحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين ثلاثة أيام متواليات، ولم يكن طعامهم سوى أقراص خبز. وعلى فراش الشهادة أوصى سلام الله عليه بإعطاء مقدار من الحليب الذي كان يتناوله كدواء إلى قاتله ابن ملجم، وأن لا يُبخس حقّه في المأكل والمشرب والمكان والملبس المناسب[١]، بل كان يطالبهم أن يعفوا عن ابن ملجم حيث قال لهم: *إن أعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم*[٢].

يروي المؤرخون أنّه بعد استشهاد الإمام علي سلام الله عليه خطب الإمام الحسن سلام الله عليه الناس فقال: *لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الاولون، ولا يدركه الآخرون في حلم ولا علم، وما ترك من صفراء ولا بيضاء، ولا ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله*[٣].

أما عثمان بن عفان فقد بلغت أمواله بعد مقتله (١٥٠) ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما (٢٠٠)

---

(١) كان عليه السلام يقول: «أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا وليّ دمي، فإمّا عفوت وإمّا اقتصصت، وإن أمت فألحقوه بي، ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين». انظر أنساب الأشراف، للبلاذري: ٤٩٥ والإمامة والسياسة للدينوري: ١٨١/١. وفي رواية أخرى: «أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت فأنا أولى بحقّي، وإن متّ فاضربوه ولا تزيدوه». المناقب للخوارزمي: ٢٨٠ (ط. مكتبة نينوى – طهران).

(٢) نهج البلاغة: ٣٧٨، من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، رقم ٢٣.

(٣) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٧٩.

ألف دينار، وخلّف إبلاً وخيلاً كثيرة[١].

فلتقارن هذه الثروة العظيمة التي خلّفها عثمان مع ما تركه الإمام علي سلام الله عليه عند استشهاده ليتبيّن لنا البون الشاسع بين المنهجين، ونكتشف عظمة علي سلام الله عليه والغدير أكثر فأكثر. وهنا، ينجلي لنا جانب من السرّ الذي تنطوي عليه عظمة الغدير ومقولة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله باعتباره أهمّ الأعياد.

مسؤوليتنا تجاه الغدير

لكي نعرف طبيعة وحجم المسؤولية التي يلقيها الغدير على عاتقنا، يجب أولاً أن نسأل أنفسنا، إلى أي مدى تعرّف العالم المعاصر على الغدير وسبر أسراره العميقة؟ وإذا كان العالَم يجهل الغدير فمن الذي يتحمّل مسؤولية هذا الجهل؟ وما هي طبيعة المسؤولية التي ينبغي أن نضطلع بها وفق مقرّرات الغدير تجاه المجتمعات الإسلامية؟

في الحقيقة، لا يحمل الجيل الحالي عموماً تصوراً واضحاً وصحيحاً عن الغدير، و تقع مسؤولية ذلك على عاتقنا نحن في الدرجة الأولى، فلو أدّينا واجبنا في شرح فكرة الغدير للناس لكان الوضع أفضل ممّا عليه الآن.

كان علينا أن نوضّح للعالم بأنّ الغدير يعني تحقيق الرفاهية وتوسيع نطاقها، لبلوغ التقدم والرقي في عمران المجتمعات الإنسانية، كما يعني المساواة بين الممسكين بمقاليد الاقتصاد والمال وبين باقي أفراد المجتمع، والقضاء على الطفيلية والعصابات. وحسب ثقافة الغدير، فإنّ

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون: ٢٠٤.

المسؤولين عن الشؤون المالية هم المؤتمنون الذين بيدهم عصب الحياة المدنية والذي تدور به عجلة المجتمع.

الخلاصة، إنّ الغدير يعني ميثاق ولاة الأمر مع الله عزّ وجلّ والذي يحتّم عليهم بأن يجعلوا مستوى عيشهم بمستوى أقلّ الأفراد في المجتمع، وأن يحاكوهم في المأكل والمسكن والملبس والرفاهية ...إلخ.

في الختام، نؤكّد المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقنا إزاء الغدير، وضرورة الالتزام بها. ومن أهمّ هذه المسؤوليات في الوقت الراهن نشر مفاهيم الغدير، ودعوة عموم الناس لينهلوا من هذه المائدة السماوية؛ وفي غير هذه الحالة، لا يوجد أدنى أمل في كفّ أيدي الحكّام المستبدّين عن المستضعفين، لإنقاذ الإنسانية من هذا الوضع السيّئ والخطير، والوصول إلى ساحل الأمن والرفاهية والعدل والحرية.

إذن، عندما يكون الحديث عن الغدير، فإنه في الواقع حديثٌ عن المعاني التي يحملها، مجسّدة الروح العظيمة لأمير المؤمنين سلام الله عليه.

بقي أن نتساءل: يا ترى هل سينجب التاريخ حاكماً عادلاً يقتفي أثر الإمام علي سلام الله عليه الذي كان يشاطر حتى أضعف مواطني دولته؟ هنا يتوضّح جلياً مغزى قول الإمام الرضا سلام الله عليه: *لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كلّ يوم عشر مرّات*[1].

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

---

(١) إقبال الأعمال لابن طاووس: ٤٦٨، فضل يوم عيد الغدير.

المحاضرة الرابعة

ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير

وقفة مع عبارة الإمام الهادي مخاطباً جدّه أمير المؤمنين
سلام الله عليهما
«وحال بينك وبين مواهب الله لك»

• ألقيت المحاضرة في ١٧ ذي الحجة الحرام ١٤٢٤ في مسجد الإمام زين العابدين سلام الله عليه في قم المقدسة بمناسبة حلول ذكرى عيد الغدير الأغرّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

مقدمة

إن عيد الغدير هو أعظم الأعياد في الإسلام على الإطلاق، كما ورد في الروايات! فما هو السرّ في ذلك؟ بتعبير آخر: ما الذي كان يحدث فيما لو تحقق واستمرّ مفهوم الغدير؟ وما الذي خسرناه إذ أقصي الغدير وطويت صفحته في التاريخ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أودّ أن ألفت نظركم إلى أن هناك زيارة للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في يوم الغدير رواها الأكابر من علمائنا عن اثنين من النوّاب الأربعة للإمام الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهما: عثمان بن سعيد (النائب الأول) والحسين بن روح (النائب الثالث)؛ وكلاهما من أصحاب الإمام الحسن العسكري، نقلا هذه الزيارة عنه عن أبيه الإمام الهادي سلام الله عليهما.

عندما جلبوا الإمام الهادي سلام الله عليه من المدينة إلى سامراء وكان معه ابنه الحسن العسكري سلام الله عليهما مرّا على النجف الأشرف فوقفا على قبر جدّهما أمير المؤمنين سلام الله عليه وزاره الإمام الهادي سلام الله عليه بهذه

الزيارة[١] المرجّو أن يواظب عليها المؤمنون كلَّ عام إن شاء الله تعالى.

هذه الزيارة الشريفة تزخر بمضامين ومفاهيم قلّما توجد في الزيارات الأخرى للإمام وسائر أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، ولذلك ينبغي للزائر أن يتوقف عندها ويتأمل في عباراتها؛ ومن تلك العبارات قول الإمام الهادي سلام الله عليه في الزيارة مخاطباً جدّه أمير المؤمنين سلام الله عليه: *وحال بينك وبين مواهب اللّه لك*. أي صار مانعاً وحائلاً بينك يا أمير المؤمنين وبين المواهب الإلهية لك. فما هي تلك المواهب التي حيل بينها وبين الإمام؟ هل حيل بينه وبين علمه أم عصمته أم مقامه وإمامته أم درجاته عند الله تعالى؟ وكلّها ثابتة له. لقد حيل بين الإمام سلام الله عليه وبين الحكومة، أي منعوه من الحق الذي وهبه الله تعالى له بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإدارة شؤون الأمّة الإسلامية.

لكن هذا الحؤول وهذا المنع أضرّا بالمسلمين أنفسهم، فلماذا قال الإمام الهادي سلام الله عليه: *وبين مواهب اللّه لك* – فاللام هنا هي لام النفع وقد دخلت على ضمير المخاطب – ولم يقل «للأمّة» مثلاً؟

نقول في الجواب: لأنّ المولى أمير المؤمنين عليه السلام هو المتفضّل علينا بما وهبه الله تعالى، لذلك لو لم يُقصَ الإمام سلام الله عليه وسُمح له بأن يحكم الأمّة مباشرة خلال هذه الثلاثين سنة التي عاشها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكانت حكومته امتداداً كاملاً ودقيقاً لحكومة النبي صلى الله عليه وآله، بفارق واحد فقط وهو أنه ليس بنبي كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه

(١) بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٦٢ ح ٦، زيارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المختصة.

وآله نفسه[١].

وهذا معناه أن كل حالات الخير والعدل التي كانت ستقام منذ ذلك اليوم حتى يوم القيامة، وكذلك دفع كل حالات الظلم التي ما كانت لتقع فيما لو سُمح للإمام سلام الله عليه بممارسة حقه، كان نفعها سيعود للأمّة؛ لعدم تفريطها بمواهب الله تعالى التي وهبها كلّها للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه.

الإمام علي سلام الله عليه مرسي دعائم الحرية في العالم

بعد بيان هذه المقدمة نعرض سؤالين هامين ونجيب عنهما باختصار:

الأولى: ما الذي كان سيحدث لو أن الغدير تحقَّق وكان الإمام هو الحاكم مباشرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وماذا خسر المسلمون والعالم بتغييب الغدير وإقصاء الإمام سلام الله عليه؟

الثانية: ماذا ينبغي لنا أن نعمل الآن؟ أي ما هي مسؤوليتنا تجاه ما حدث وقد مرّ عليه زهاء ١٤٠٠ عام، وما هو واجبنا حسب الأدلّة الشرعية؟

أما عن النقطة الأولى فالكلام كثير والروايات عديدة في المقام؛ ولو وُفّق أحد الباحثين لجمعها لألّف منها موسوعة وليس كتاباً واحداً، ولكن أُشير هنا إلى بعضها ليتبيّن لنا أننا إذا كنا نشهد اليوم بعض الحرية في العالم، في أيّ بقعة من الأرض وبأيّ درجة، فإن الفضل في ذلك يعود

(١) راجع الهداية للصدوق: ١٥٧ – ١٦٢، حديث المنزلة والاستدلال عليه.

لأمير المؤمنين سلام الله عليه، لأنّه هو الذي وضع أساسها وأرسى دعائمها ـــ طبعاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فحديثنا عن مرحلة الغدير وما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله – .

فكلّ من يتمتع اليوم بشيء من الحرية فهو مدين فيها لأمير المؤمنين سلام الله عليه، وكلّ من كان محروماً من الحرية فالسبب في ذلك يعود لعدم قيام واستمرار الغدير، ولإبعاد الإمام سلام الله عليه عن تحقيق ما أراده الله تعالى ورسوله له.

وإذا كانت هناك اليوم حرية في الغرب، فهي في أساسها مدينة للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، مع فارق أن الحرية الغربية خاطئة ومبتلاة بالإفراط والتفريط في حين أن الحرية التي طبّقها الإمام سلام الله عليه حرّية صحيحة ومعتدلة.

لنطالع الرواية التالية ثم نقارن مبادئ الحرية عند الإمام سلام الله عليه مع الحريات الموجودة اليوم في الدول التي ترفع شعار الحرية لنرى أيّهما أعظم.

لقد جاء الإمام إلى سدّة الحكم بعد مرور ٢٥ سنة من الغصب والظلم وغياب العدالة وكبت الحريات، فحتى تدوين الحديث ـ بل روايته ـ كان ممنوعاً يعاقَب مرتكبه وإن كان من أتباع السلطة وأنصارها؛ حتى أن عبد الله بن عمر نفسه لم يستطع أن يروي في زمن أبيه عمر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله . في ظلّ أوضاع كهذه ـ حيث الحرية مغيَّبة إلى هذا الحدّ والمشاكل تحيط بالأمة من كلّ جهة ـ استلم الإمام سلام الله عليه زمام الحكم، ترى فكيف تصرّف مع الناس، وما هي حدود الحريات التي سمح بها لهم، سواءً في عاصمته الكوفة، حيث

اختلاف المذاهب والمشارب والأعراق والأذواق، أو في البصرة بعدما تمرّدت بعض الطوائف ضدّه في حرب الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير، أو مع غيرهم من المارقين والقاسطين كالخوارج بقيادة الأشعث بن قيس وأهل الشام بقيادة معاوية؟

عندما حلّ شهر رمضان المبارك في السنة الأولى من حكومة الإمام نهى صلوات الله عليه أن تصلى النافلة في ليالي شهر رمضان المبارك جماعةً وأوصى بأن تصلَّى فرادى، كما سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتجَّ سلام الله عليه لرأيه بقوله: «إنه ما زال هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من يشهدون أنه صلى الله عليه وآله جاء إلى المسجد الليلة الأولى من الشهر الكريم يريد أداء النافلة فاصطفَّ المسلمون للصلاة خلفه فنهاهم وقال: هذه الصلاة لا تؤدَّى جماعة ثم ذهب إلى بيته للصلاة»[١].

ولكن عمر عندما استلم الحكومة قال: «أرى أن يصلّي الناس هذه الصلاة جماعة»[٢]. فصلاَّها الناس كذلك وأسموها بالتراويح.

أما الإمام سلام الله عليه فقد احتجَّ ببطلانها بنهي رسول الله عنها، فإنه صلى الله عليه وآله لم يُجز أن تصلَّى جماعة ولم يقبل أن يؤمَّ المسلمين فيها وهو المبلّغ للصلاة والمؤسّس لها بأمر الله تعالى، بل قال: تصلَّى فرادى.

---

(١) نهج الحق: ٢٨٩.

(٢) روي عن عبد الرحمن بن عبد الباري قال : خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : اني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر: نعمت البدعة هذه. عن دلائل الصدق للمظفّر: ٣ / ٧٨. صحيح البخاري بحاشية السندي: ١ / ٣٤٢.

ومن هنا كان نهي الإمام سلام الله عليه من أن تصلى النوافل جماعة وأعلن ذلك وأوصى المسلمين أن يصلّوا نوافل الليل في شهر رمضان فرادى سواء في المساجد أو في البيوت.

إلا أن أولئك الذين اعتادوا على أدائها طيلة سنين لم يطيقوا منعها، فخرجوا في مظاهرات تطالب بإلغاء المنع، وكان شعارهم «واسنّة عمراه»، فماذا كان ردّ فعل الإمام سلام الله عليه؟

انظروا إلى عدالة الإمام والحرية التي يؤمن بها. فبالرغم من أنّه قال شيئاً واستدلّ عليه وكان استدلاله محكماً لم يستطع أن يشكّك فيه حتى أولئك الذين ما برحوا يختلقون الإشكالات الباطلة ويثيرونها في وجهه، حتى بلغ الأمر بهم أن يعدّوا بعض فضائله رذائل، كما عابوا عليه خلقه الذي هو فضيلة عظيمة فقالوا: «إنّه امرؤ فيه دعابة»[1].. حتى أولئك لم يشكّكوا في الاستدلال الذي طرحه الإمام لإثبات صحَّة ما ذهب إليه.

ومع ذلك ماذا فعل الإمام مع المتظاهرين الذين خرجوا ضدَّه؟ هل واجههم بالسلاح؟ هل اعتقلهم وسجنهم، أم نفى أحداً منهم؟ هل أحال بهم إلى المحاكم على أقلّ تقدير؟ كلا ثم كلا. إنه سلام الله عليه لم يفعل أيَّ شيء من ذلك معهم. فلم يقمع المظاهرة ولا استعمل العنف والقوة ضدهم، بل الأعظم من ذلك أنّه سلام الله عليه استجاب لمطالبهم ورفع المنع الذي أصدره وسمح لهم بممارسة سنّتهم هذه رغم أن تلك السنَّة لم تكن حتى من الباطل المدلَّس بالحق بل كانت باطلاً واضحاً لا شكّ في بطلانها ولا شبهة، وهو الإمام الحق – كما نعتقد وكما قال الرسول صلى الله

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢ / ٤٦٠ أحداث سنة ٢٣.

عليه وآله: *علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار*[١] – والحاكم الذي يجوز له أن يُعمل ولايته ويحكم بما رأى كما فعل من سبقه ـ على رأي القوم على أقلّ تقدير ـ ومع ذلك قال الإمام لابنه الحسن سلام الله عليه: قل لهم صلّوا[٢].

والآن قارنوا هذا الموقف مع ما تدّعيه أرقى الدول التي تزعم أنّها راعية الحرية اليوم. أجل إن المسؤولين في تلك الدول لا يوجهون بنادقهم للمتظاهرين ـ كما تفعل بعض الدول الإسلامية مع الأسف! ـ ولكن غالباً ما تنتهي المظاهرات بوقوع قتلى أو جرحى واعتقال بعض وإحالتهم إلى المحاكم والسجون.

فما قيمة ما وصل إليه الغرب إذا ما قيس إلى الحرية في ظلّ حكم الإمام علي سلام الله عليه؟ أما في البلاد الإسلامية فلا وجود حتى لذلك القدر من الحرية الموجودة في الغرب!

والأعجب من هذا أن الإمام سلام الله عليه منح هذه الحريات للناس في عصر كان العالم كلّه يعيش في ظلّ الاستبداد والفردية في الحكم، وكان الإمام رئيس أكبر حكومة لا نظير لها اليوم سواء من حيث القوة أو العدد، لأن الإمام كان يحكم زهاء خمسين دولة من دول عالم اليوم.

---

(١) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى: ١ / ٢٠٢.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لمّا قدم أمير المؤمنين سلام الله عليه الكوفة أمر الحسن بن علي سلام الله عليه أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة. فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليهما السلام، صاحوا: وا عمراه وا عمراه! فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ما هذا الصوت؟ ... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلّوا. تهذيب الأحكام: ٣ / ٧٠ ح ٣٠.

قد توجد اليوم في العالم حكومة تحكم ما ينيف عن المليار إنسان كالحكومة الصينية ولكنها ليست الأقوى. وقد توجد حكومة تحكم دولة قوية كالولايات المتحدة ولكنها لا تحكم أكبر عدد من الناس؛ أما الإمام علي سلام الله عليه فكان يحكم أكبر رقعة من الأرض وأكبر عدد من الناس، وكانت الحكومة الإسلامية يومذاك أقوى حكومة على وجه الأرض، فالإمام سلام الله عليه لم تنقصه القوة، وكان يكفي أن يقول للرافضين: لا، ولكنه لم يقلها وأعلن للبشرية عملياً أنه ﴿لاإكراهفيالدين﴾[1].

فلئن كان في العالم شيء من الحرية اليوم فلا يعود الفضل فيه إلا لإمامنا ومولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.

كيف تعامل الإمام سلام الله عليه مع مثيري الحرب ضده؟

لم يبادر الإمام بأية حرب ابتداء، فكُلّ حروبه فُرضت عليه، وأوّلها حرب الجمل، والتي ما إن وضعت أوزارها وهُزم جندها حتى هرب الذين أشعلوا فتيلها واختبأوا في حجرات إحدى الدور في موضع من البصرة، فتوجّه أمير المؤمنين سلام الله عليه في كوكبة من جنوده إلى ذلك المحلّ حتى انتهى إلى الحجرة التي كانت فيها عائشة فعاتبها أولاً قائلاً لها: *أبهذا أمرك اللّه أو عهد به إليك رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله*؟[2] ثم أمرها بالتهيؤ لإرجاعها إلى المدينة المنورة.

يروى أنه عليه السلام قبل أن ينتهي إلى الحجرة التي كانت فيها عائشة

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) راجع أمالي المفيد: ١٤ مجلس٣.

تظاهرت نسوة المحاربين الذين خسروا المعركة وهتفن بشعارات في وجه الإمام من قبيل: «هذا قاتل الأحبّة»[١]. ولكن الإمام لم يبالِ بهنَ ولم يُظهر أيّ رد فعل إزاءهن! فعدن إلى التظاهر والهتاف ضد الإمام سلام الله عليه بالشعار نفسه، وكان الإمام يهمّ بمغادرة المكان ولكنه توقف هنيئة ثم عاد وقال جملة واحدة فقط سكتن كلّهن على أثرها.. لقد قال لهن: *لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار* – وأومأ بيده إلى ثلاث حجر في الدار[٢]!

فبالرغم من أن عائشة قد ألّبت على الإمام حتى فرضت عليه الحرب وبالرغم من أنها ومن خرج معها خسروا الحرب وانهزموا وتلبدوا، إلا أن الإمام اكتفى بعتابها ثم أمر بعد ذلك بإرجاعها مجلَّلة إلى المدينة وأمر أن لا يتعقَّب قادة الجيش المعادي ولا يلقى القبض عليهم ليعدمهم أو يسجنهم أو ينفيهم أو يحاكمهم!

إننا لم نعهد تعاملاً من هذا القبيل في تاريخ البشر، بل لم نعهده حتى في هذا اليوم وفي الدول التي ترفع شعارات الحرية وحقوق الإنسان، فإنهم ما إن ينتصروا في معاركهم الباطلة ويقبضوا على رؤوس الجهة المعادية حتى يسجنوهم أو يحيلوهم إلى محاكم خاصّة بصفتهم مجرمي حرب أو خونة ومتآمرين وقد يعدمونهم.

نعم، هذه هي الحرية التي نقول عنها لو أن الغدير قد حكم الأمّة طيلة الثلاثين سنة من عمر الإمام علي بعد الرسول صلى الله عليه وآله، لنعمنا

---

(١) انظر تفسير فرات الكوفي: ١١١ ح١١٣ الآية٦٩ من سورة النساء.

(٢) المصدر نفسه.

بظلّها إلى الآن، ولما شهدنا كلَّ هذه الويلات والمحن منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا وإلى أن يظهر منقذ البشرية الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟

بعد أن اضطرّ الإمام سلام الله عليه لخوض معركة صفين وسقط القتلى من الطرفين وكان النصر قاب قوسين أو أدنى من أمير المؤمنين سلام الله عليهم، تدارك الجيش المعادي الأمر بحيلة رفع المصاحف وانطلت حيلتهم على قسم كبير ممن كان يحارب في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام فطالبوه بوقف الحرب وهدَّدوه إن لم يفعل. فاضطُرّ الإمام لوقف الحرب كما اضطُرَّ لخوضها وطلب من مالك الأشتر التوقّف عن التقدم، ثم أجبروه على قبول التحكيم ثم اعترضوا على قبوله له بعد ذلك مطلقين شعاراً ينطوي على مغالطة فقالوا: «لا حكم إلا لله»[١]. وهكذا نشأت فرقة الخوارج من بطن جيش الإمام نفسه!

ولم يكتفِ هؤلاء بمروقهم حتى تظاهروا ضد الإمام أيضاً، ورفعوا في وجهه هذا الشعار عندما دخل المسجد وكان يوم الجمعة وهو إمام وحاكم لأكبر وأقوى دولة على وجه الأرض يومذاك[٢].

ومع ذلك لم يعاقبهم الإمام سلام الله عليه بل لم يسمح لقادة جيشه أن يمنعوهم ولا أحال أحداً منهم إلى القضاء أو السجن؛ مع أنهم كانوا

---

(١) قال عليه السلام: «كلمة حقّ يراد بها باطل»! انظر نهج البلاغة: ٨٢، رقم٤٠ من كلام له عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم «لا حكم إلاّ لله».

(٢) راجع بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٤٣ – ٤١٩ باب٢٣ قتال الخوارج واحتجاجاته صلوات الله عليه.

يعلمون ـ كما كان الإمام نفسه يعلم ـ بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: *علي مع الحق والحق مع علي*.

وهذا معناه أن الباطل كان يهتف بشعاراته في وجه الحق، ومع ذلك لم يمنع الحق أصحاب الباطل من حرية التعبير. فأين تجدون مثل هذه الحرية؟ هل عهدتم حرية كهذه حتى ممن يدعي حرصه عليها في هذا اليوم المعروف بعصر الحريات؟

والأعظم من هذا أن الإمام سلام الله عليه لم يسمّ هولاء الذين خرجوا عليه وهتفوا بهذا الشعار في وجهه – ولا رضي أن يسمّوا – بالمنافقين[1] مع أنهم كانوا أجلى مصداق لهذه المادة، لأن هناك رواية متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ***لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو كافر***[2].

إن الذين خرجوا ضدَّ الإمام أمير المؤمنين هم المنافقون الحقيقيون، ولكن سياسة الإمام التي هي سياسة النبي والإسلام ومنهجهما في الحكم هو أن لا يستخدم سيف التخويف هذا ولا يقال عن المعارضين للحكم أنهم منافقون وإن كانوا هم المنافقين حقاً!

فمن أجل إدارة الحكومة ومراعاة المصلحة الأهمّ وملاحظة التزاحم ومراعاة حال الأمَّة والمعارضين أيضاً نهى الإمام أن يقال عنهم إنهم منافقون.

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٩٠/١، عنه بحار الأنوار: ٣٤٣/٣٣ باب٢٣ رقم٥٨٧.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠٩/٢ ح٧٠٣ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ المحمودي ـ .

ماذا كنّا سنربح لو تحقق الغدير؟

لو حكم الإمام وتحقّق الغدير لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغداً إلى يوم القيامة. ففي رواية أنّه قال سلمان لأبي بكر: قم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة[١]. فلفظة «الرغد» تشير إلى الكيف ولفظة «إلى يوم القيامة» تشير إلى كمّ السعادة التي كان سيتحقق فيما لو تحقق الغدير.

فالرغد في اللغة هو المعيشة التي لا ضنك فيها أبداً ولا أدنى ما يعكرها، فلا مرض ولا فقر ولا جهل ولا حروب ولا نزاع ولا قلق ولا مشكلات ولا حبس ولا ويلات. هذا هو معنى الرغد. ولذلك قيل فيه: *وإنما العيش الرغد في الجنة*[٢].

وهذا معناه أنّه لو كان الإمام يحكم كما أراد الرسول صلى الله عليه وآله لما وُجد اليوم مريض ولا سجين واحد في العالم، ولا أُريقت قطرة دم ظلماً ولا وجد فقير ولا تنازع زوجان ولا قُطع رحم. فهذا هو مفهوم الرغد.

فهل تبيّن لماذا كان الغدير أعظم الأعياد في الإسلام؟ إن المفاهيم التي ينطوي عليها الغدير لا تتوفر حتى في عيدي الفطر والأضحى وغيرهما من أعياد الإسلام. فقارنوا بين كلّ الأعياد الإسلامية ومنها الجمعة وبين عيد الغدير وانظروا هل يؤيدنا التاريخ في كونه أعظم الأعياد أم لا؟

إذن لم يعد يخفى علينا معنى قول الإمام الصادق سلام الله عليه *يوم غدير*

---

(١) كتاب سليم: ص٢٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦ / ٢١٥.

خم ... *هو عيد الله الأكبر*[١].

ماذا حدث بإقصاء الغدير؟

والآن بعدما سُلب الإمام حق الخلافة وأُقصي عن الحكومة ولم يُمتثل أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، فما الذي حدث؟

أقول: بعد جلوس الإمام ٢٥ سنة في الدار بل منذ السنة الأولى التي أُنكر فيها الغدير عملياً بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ظهرت المشاحنات والقتل والحروب والظلم بدءاً من الظلم الذي حاق بمولاتنا السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليه وإسقاطها محسناً[٢] ثم بالحروب التي أسماها القائمون بها بحروب الردة واستمراراً بما تلاها من حروب حتى يومنا هذا، حيث قتل الملايين من البشر! كلّ ذلك بسبب إقصاء الغدير وتجاهل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: *هذا وليكم من بعدي*[٣] أي متولّي أموركم وحاكمكم.

هناك رواية تستدعي التأمل وتؤيد ما ذهبنا إليه؛ مفادها أنه لو تحقق الغدير *لما اختلف في هذه الأُمّة سيفان*[٤] أي لما تحارب اثنان وهذه حقيقة واقعية. أما الحروب التي خاضها الإمام فلم تكن لتقع لو تحقق الغدير كما أراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ولكنها فُرضت على الإمام

---

(١) التهذيب: ٣ / ١٤٣ ح١ باب صلاة الغدير.

(٢) راجع أعيان النساء للحكيمي: ٣٤٩، ترجمة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٣) الكافي: ١ / ٢٥٣، ح٩.

(٤) حلية الأبرار للبحراني: ٧٦/٢ ح١ الباب٩ من خطبة الإمام الحسين عليه السلام.

سلام الله عليه من قِبل أولئك الذين مكّنهم الأسبقون الذين لم يـروقهم تحقـق الغدير.

فصرنا نشهد على مرّ التاريخ حروباً ودمـاراً وظلمـاً وفسـاداً وهتكـاً للحرمات حتى آل الأمر إلى ما نشهد اليوم من حروب وتفجيرات وقتـل وعنف في كل بقـاع العـالم تقريبـاً، فهـذا يقتـل ذاك وذاك يظلـم هـذا، وعمليات خطف وإبادة ودمار في كل مكان! وهذا ما حذّرت منه مولاتنا السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بقولها: *ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً*[1].

بعبارة أخرى: إن الهدف الذي سيظهر من أجله الإمام المهـدي عجّـل الله تعالى فرجه الشريف كان سيتحقق على يد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، لـو استقاموا على دين النبي صلى الله عليه وآله وائتمروا به.

مسؤوليتنا تجاه الغدير

النقطة الأخرى التي ينبغي التحدث عنها هي مسؤوليتنا تجاه الغدير.

إذا كان العالم لا يعرف الغدير وحقيقته بسبب إقصائه، وحُرم النهـل من مبادئه وعطاياه، وحتى بعض المسلمين لم يتعلّم من علـيّ سـلام الله عليـه وابتعد من سيرته، فما هي مسؤوليتنا نحن الذين أدركنا بعضاً من عظمـة الغدير ووعينا خسارة البشرية جراء تغييب الغدير؟ وبتعبيـر آخـر: كيـف نُحيي الغدير؟

---

(١) راجع معاني الأخبار للصدوق: ٣٣٦ _ ٣٣٨، باب معنى قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علّتها.

أقول: روي عن عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا سلام الله عليه يقول: *رحم الله عبداً أحيى أمرنا* فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: *يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس*[1]. والإمام لم يحصر المسألة في الشيعة أو المسلمين فقط بل قال "الناس" أي كل الناس.

فعالم اليوم يجهل الغدير، وتعاليم أهل البيت سلام الله عليهم بل يجهلها أكثر المسلمين مع الأسف. والمؤسف حقاً أن ترى شخصاً يُحسب من العلماء يعبِّر في موضع ما عن صلاح الدين الأيوبي بالقائد الإسلامي، مع أنّه حتى محبّوه وأتباعه ومن هم على مذهبه يقرّون أنّه حرق في واقعة واحدة مدينة بأكملها فأزهق أرواح كلّ سكّانها البالغ عددهم خمسين ألفاً وبينهم النساء والأطفال والشيوخ!!

أرجو الله تعالى ببركة عيد الغدير أن يزيدنا معرفة بعظمة الغدير فنحن لا نعرف منها إلا اللفظ، أما العظمة فالله تعالى يقدّرها ورسوله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما. نسأل الله أن يتفضّل علينا بما نستطيع به، أن نؤدي واجبنا تجاه هذه القضية المباركة.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) معاني الأخبار: ١٨٠، باب من تعلّم علماً ليماري به السفهاء.

المحاضرة الخامسة

أهمية أحكام الله تعالى

في ضوء الآية الكريمة

«ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل...»

• حديث سماحته في شهر ذي الحجة عام ١٣٩٨ هـ ، بمناسبة قرب شهر محرم الحرام وذكرى شهادة سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾.[1]

لاشك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو أفضل الخلق وأعزّهم عند الله تعالى، فهو أشرف المخلوقات، بل إنّ الله تعالى ما خلق الخلق إلاّ لأجله صلى الله عليه وآله، وهو الذي قال له يخاطبه ليلة المعراج- كما في الحديث القدسي - : *يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك*[2].

كما لا شك أنّه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى- كما عبّر عنه ربه الكريم - ولا يخون رسالة ربه. ولكن الله تعالى أنزل هذه الآيات ردّاً على جماعة من المشركين كذّبوا النبي وكانوا يقولون: إنّ الله لم يوحِ إليه بشيء وأنه يتقوّل على الله، أي ينسب أقوالاً إلى الله لم يقلها الله سبحانه. فلم يردّ الله تعالى في هذه الآيات على هذه المزاعم فحسب بل نزّه رسوله صلى الله عليه وآله أن يأتي بما لم يأمره الله تعالى به كما يظهر من

---

(١) الحاقّة: ٤٤ - ٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٦ / ٤٠٢، ضمن ح ١ باب ١٢.

حرف الامتناع (لو) وشدّد في التعبير أكثر من ذلك لبيان عدم المحاباة عنده مع من ينسب إليه قولاً كذباً ولو كان أحبّ الخلق إليه – من باب فرض المحال ليس بمحال – موضحاً أنّ خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وآله – على عظمته وعلوّ مقامه – لو تقوّل علينا بعض الأقاويل، وليس القرآن كلّه أو النبوة نفسها، بل لو أخبر عن أمور بسيطة ونسبها إلينا، فإنّنا سنشلّ يمينه وقدرته، ونقطع وتينه، وهو العرق الكبير في الجسم الذي بانقطاعه يموت الإنسان، ثم لا يستطيع أن يحول بيننا وبينه أحد!!

حقاً إنّ هذه الآيات من أعجب آيات القرآن وتستدعي التأمل كثيراً، إذ يتحدّث الله بهذه الشدة عن أحبّ الخلق إليه عندما يتعلّق الأمر بأحكامه تعالى. وهذا يكشف عن أنّ أحكام الله تعالى وحدوده أحبّ وأعظم وأكبر عنده من كلّ شيء، حتى أوليائه المقرّبين ورسله والناس أجمعين.

قد يُتساءل: كيف؟ أقول: لقد أخبر الله تعالى في مواطن عديدة من القرآن الكريم أنّه بعث أنبياءه إلى الأمم لتبليغ أحكامه ورسالاته، ولكن الناس قتلوهم واستهزءوا بهم ونكّلوا بهم. وهذا يعني أنّ الله تعالى كان يقدّم أنبياءه وأولياءه وكذلك الأئمة المعصومين سلام الله عليهم قرابين على طريق أحكامه وضحايا من أجل رسالاته. ولاشكّ أنّ ما يُضحَّى له أغلى مما يُضحَّى به. فلو أنّ أحداً مرض فإنّه سيبذل ماله من أجل استعادة صحته، مما يعني أنّ الصحة أغلى عنده من المال، وأنّ الأقل قيمة يضحّى به في سبيل الأعلى قيمة.

لنتأمل جيداً في الآيات، لا يقول الله تعالى إنّ أحكامه أغلى من حبيبه فحسب بل يستعمل شدة في التعبير توحي إلى السامع أنّ رسول

الله صلى الله عليه وآله وهو أشرف الأوّلين والآخرين، يبدو لا شيء إلى جنب أحكام الله تعالى، بحيث لو أراد أن يتلاعب بها أدنى تلاعب أو ينسب إلى أحكام الله ما لم يقله، فإنّه سيأخذه بهذه الكيفية!

إذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله اليوم فينا – وهو حي عند الله – فإنّ أحكام الله تعالى موجودة بيننا، فكيف سنحافظ عليها؟

وإذا كان الله تعالى يتحدث عن سيد رسله مقابل أحكامه بهذه الكيفية، فما بالك بي وبأمثالي من سائر الناس؟

إنّ أحكام الله تعالى تتمثّل في حلاله وحرامه، في آياته وتشريعاته، في القرآن الكريم والروايات المعتبرة، وفي المسائل الشرعية الموجودة في الرسائل العملية التي أتعب العلماء أنفسهم في استخراجها من القرآن الكريم وكلمات المعصومين سلام الله عليهم.

تقدير الله للعلم والعلماء

ومن تقدير الله لأحكامه تقديره تعالى للعلماء، فهم حفظة الأحكام؛ والله تعالى يقدّر حفظة أحكامه والعاملين بها؛ قال تعالى في وصف العلماء: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

كما ذكر تعالى العلم في القرآن أكثر من أيّ شيء آخر إلاّ اسمه الكريم، ثم يأتي بعده مباشرة كلمة «العلم».

ومما نُقل عن تقدير الله عزّ وجلّ للعلماء ما حكي عن بقاء جسد الشيخ الصدوق رحمه الله طرياً رغم مرور أكثر من ألف عام على موته.

---

(١) فاطر: ٢٨.

والشيخ الصدوق رحمه الله هو من علماء الطائفة الحقّة واسمه محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي. وقد مضى على وفاته أكثر من ألف سنة، ومدفنه في إيران عند مزار السيد عبد العظيم الحسني في مدينة ري. ولمّا أُريدَ تعمير مقبرته في العهود الأخيرة حصل ثقب أو حفرة في القبر فظهرت على أثره جنازة الشيخ الصدوق غضّة طرية وكأنه مدفون لتوّه رغم مرور كلّ هذه الأعوام على وفاته!

قد يقول قائل: ماذا يستفيد الشيخ الصدوق من بقاء جسده طرياً وهو غير حالٍّ فيه؟

فنقول في الجواب: إنّ هذا نوع من التقدير له جزاء على ما قدّم من أعمال، كما نقوم مثلاً للمرجع إذا دخل؛ إشعاراً منا بتقديره واحترامه، مع أنّ قيامنا نفسه غير مؤثر بحالنا ولا حال الشخص الذي نقوم له.

إن للشيخ الصدوق رحمه الله كتاباً ثميناً جداً يسمى «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» جمع فيه جزاء الأعمال الحسنة كالصلاة والصوم والصدقة والصبر وغيرها تحت عنوان ثواب الأعمال، وجزاء الأعمال السيئة كالغيبة والكذب وغيرهما تحت عنوان عقاب الأعمال.

يروي الشيخ الصدوق في هذا الكتاب أحاديث في ثواب مَن قلّم أظفاره في يوم الخميس، ومن قلّمها يوم الجمعة. ثم يقول الشيخ رحمه الله: من الأفضل للإنسان إذا أراد أن يحصل على الثوابين أن يقلّم أظفاره يوم الخميس إلاّ بعضها يتركه ليوم الجمعة.

وعندما رئي جسده بعد أكثر من ألف عام طرياً تحت التراب لوحظ أنّ أصابعه كلّها مقلّمة إلاّ إصبعاً واحدة كان قد تركها ليوم الجمعة إلا أن الأجل لم يمهله.

في التراب خاصية بحيث حتى الحديد لو دفن فيه لتآكل - كما نعلم - فكيف بقي ظفر هذا الرجل العالِم مع جسده حياً كلّ هذه السنين بقدرة الله تعالى؟ إلاّ تقديراً منه تعالى لحفظة أحكامه! فكم سيكون سخطه علينا لو فرّطنا في أحكامه؟ وكم سنكون مقرّبين منه تعالى لو قدّرنا تلك الأحكام؟!

وهناك حادثة أخرى لعالِم آخر من علماء الطائفة هو السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله الذي توفي قبل أكثر من مئتي سنة ومدفنه في النجف الأشرف - قرب مسجد الطوسي رحمه الله - في شارع الطوسي الممتد من باب صحن المولى أمير المؤمنين سلام الله عليه والمسمّى بباب الطوسي متجهاً إلى مقبرة وادي السلام.

نقل الحادثة في وقتها مَن شاهدها عياناً وهو أحد طلبة المدرسة الهندية - سابقاً - في كربلاء المقدسة، يقول:

كنت في النجف الأشرف نازلاً في مدرسة قوام - وهي مدرسة للعلوم الدينية بالقرب من قبر السيد بحر العلوم - وكان العمال مشغولين بالحفر عندما جاءوا إلى أحد أحفاد السيد بحر العلوم وهو السيد محمد تقي بحر العلوم وقالوا له: لقد عثرنا على جنازة جديدة!

يقول راوي الحادثة: فجاء السيد وأنا معه، فنَزلنا إلى القبر فوجدناها جنازة السيد مهدي وهي تبدو طرية بحيث عندما وضعت يدي على الجسد ثم رفعته فوجئت أنّه كان يشبه البدن الحي الذي لو ضغطت عليه فترة ثم رفعت يدك فإنّه يبيضّ أوّلاً ثم يعود للاحمرار بسبب جريان الدم فيه مجدداً.. وكان حال السيد أشبه بشخص نام من ساعتين!

فهذا يعتبر من تقدير الله تعالى للعلماء الحقيقيين من حفظة أحكامه.

قيمتنا عند الله يحددها دفاعنا عن أحكامه

إنّ أعظم قيمة لنا عند الله تعالى تتحقق بمقدار ما ندافع عن أحكامه تعالى وبمقدار ما نعمل بها ونطبقها على واقع سلوكنا، وبمقدار ما نحفظ هذه الأحكام لكي نبلّغها إلى الأجيال القادمة.

يقول النبي صلى الله عليه وآله لسبطه الإمام الحسين سلام الله عليه: *وإنّ لك في الجنة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة*[1]. فماذا فعلت شهادة الإمام الحسين سلام الله عليه سوى أنها حافظت على دين الله وأحكامه من الضياع في زمن الطاغية يزيد بن معاوية؟!

وهكذا تعتبر مجالس الإمام الحسين سلام الله عليه استمراراً لأحكام الله تعالى ودعماً لها وللقرآن والسنّة وأهل البيت سلام الله عليهم.

ترانا هل نقيم لأحكام الله تعالى وزناً كما يقيم بعضنا للدرهم والدينار؟ إنّ بعض الناس لو سمع بوجود مال وضيع مَرميّ في مكان ما، يجدّ في البحث عنه للحصول عليه، ولكن إذا قيل له إنّ الشيء الفلاني حرام استهان بالأمر، فهو لا يقيم وزناً لأحكام الله سبحانه حتى بمقدار عشرة دنانير يركض خلفها ويبحث عنها لمجرد احتمال حصوله عليها.

إنّ مَن لا يكرم أحكام الله تعالى فلا كرامة له عند الله. صحيح أنّ كرم الله تعالى عظيم ولطفه عميم بحيث يشمل المؤمن والكافر برزقه وعطفه في الحياة الدنيا، لكن هذا لا يعني تكريماً للكافر، بل هو أشبه بالوليمة العامة تقيمها وقد يحضرها مَن لا تحبّه، لكنك لا تمنعه، ولا يُعدّ ذلك تكريماً له؛ لأنّ الدعوة عامة ولم تكن من أجله.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ / ١٨٢ ح ٤٦، عن مجالس الصدوق: ٢١٧ المجلس الثلاثون.

إذن لنقرّر من الآن – ونُشهد الله – أن ندافع عن أحكام الله تعالى، فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، في البيت وخارجه، مع الأصدقاء، والجيران والغرباء بالمقدار الذي نتمكن. وليس المطلوب منا أن نجرّد سيوفنا ونحارب بل ليكن سلاحنا الكلمة الطيبة نقولها، فإن سُمعتْ منا فبها ونعمت، وإلاّ نكون قد أدّينا ما علينا وأبرأنا ذمتنا.

كذلك فلنبدأ من الآن فصاعداً بحفظ أحكام الله تعالى وتعلّم المسائل الشرعية حتى تلك التي لا يجب علينا تعلّمها، فلنتعلّمها أيضاً. فهب أن تعلّم أحكام الزكاة والتجارة ليست واجبة عليَّ ولكن ليكن تعلّمي لها من أجل حفظها ونشرها.

ليأخذ أحدنا الرسالة العملية ويقرّر أن يحفظ عدة مسائل منها كلّ يوم، في مختلف الأبواب، فيعرف حكم الله تعالى في التجارة والزراعة والصلاة والأراضي ومعاشرة الإخوان والجيران والأرحام والوالدين والأولاد؛ فإنّ أصحاب الأئمة سلام الله عليهم لم يكونوا كلّهم فقهاء متفرغين بل كان فيهم البقال والكاسب والتاجر والطحان والقصاب والتمار، ومع ذلك حفظوا لنا هذه الروايات وحفظوا لنا الأحكام حتى هذا اليوم؛ فإن استطعت أن تحفظ بعض الأحاديث ثم تقوم بطبعها ونشرها فاعمل، لعلّ الله تعالى يهدي بك بعض الناس وي بقى لك ثوابه.

إذن لنوقّر أحكام الله تعالى أوّلاً، ولنطبقها في حياتنا ثانياً، ونسعى في تقليل تخلّفنا عنها، ولنحاول الرجوع إلى الرسائل العملية ونقوم بتعلّم وحفظ عدة مسائل من مسائل الأحكام في الحلال والحرام كلّ يوم، لأنّنا إذا عملنا ذلك أكرمنا الله عزّ وجلّ لتوقيرنا أحكامه.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحاضرة السادسة

أحكام اللّه فوق كلّ شيء

لا يجوز الإفتاء لغير المتخصصين ، و الشعائر الحسينية جائزة شرعاً

تتمّة الحديث السابق

• حديث سماحته في محرم الحرام عام ١٣٩٩ هـ ، بمناسبة ذكرى شهادة الإمام الحسين سلام الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم قطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ (١).

مقدمة

ذكرنا في المحاضرة السابقة أنّ بعض المشركين ادّعى أنّ القرآن ليس من عند الله تعالى وأنّ النبي صلى الله عليه وآله – حاشاه – جاء به من نفسه، فردّ الله تعالى عليهم بهذه الآيات، وقلنا إنّها من الآيات العجيبة في القرآن الكريم؛ لأنّ الله تعالى يتحدّث فيها بشدّة بالغة عن نبيّه وحبيبه مع أنه من المحال أن يصدر عنه ذلك! فلم يقل الله تعالى مثلاً: إنّ رسولنا صادق وأمين كما تعرفونه، فكما لا يكذب عليكم لا يكذب على ربّه، أو إنّ سبيله صلى الله عليه وآله سبيل سائر الأنبياء، فلم يكذب على ربّه، بل قال إنه سيأخذه بهذه الشدّة لو صدر منه أدنى نسبة كذب حاشاه؛ وما ذلك إلا بياناً لعظمة أحكامه تعالى وعدم المحاباة فيها حتى مع أحبّ خلقه إليه.

---

(١) الحاقة: ٤٤-٤٧.

تفسير مفردات الآية

في اللغة: «قال عن فلان»، أي نقل عنه قولاً، و «تقوّل عليه» أي نسب إليه قولاً لم يقله.

إذن يكون تفسير قوله تعالى ﴿ولو تقوّل علينا﴾: لو أنّ هذا النبي نسب إلينا قولاً لم نقله، وليس شرطاً أن يكون تقوّله كلّ القرآن، بل لو تقوّل علينا ﴿بعض الأقاويل﴾، كأن يضيف آية واحدة مثلاً على آيات القرآن التي تعدادها ستة آلاف وستمئة وستة وستون آية.

﴿لأخذنا منه باليمين﴾: اليمين في اللغة: اليمن والبركة، والقوة والقدرة، واليد اليمنى أيضاً؛ وذلك لأنّ أكثر الناس يعتمدون على هذه اليد، ففيها إذاً اليمن والبركة أي استمرار الحياة، وفي هذه اليد القوة والنشاط والعمل. والمقصود بالآية اليد اليمنى والقدرة والسيطرة. فيكون المعنى: لو فعل ذلك إذاً لأخذنا منه يمناه وسلبنا عنه قدرته وجرّدناه من قوّته[1].

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يقول تعالى بعد ذلك:

﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أي قطعنا شريان حياته. فإنّ الوتين هو حبل

---

(١) يقول الله تعالى في آيات أخرى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ (المائدة: ٣٨) وهذا الحكم إنما يكون طبعاً بعد توفر الشروط الكثيرة المذكورة في الكتب الفقهية كشرح اللمعة والتبصرة وتسهيل الأحكام وغيرها.

وأوّل ما تقطع يمين السارق، ولا يكون القطع من الزند، بل تقطع الأصابع الأربعة فقط ويترك له الكف ليستعين به على السجود؛ قال تعالى: ﴿وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (الجن: ١٨)

فمَن قطع يد سارق من الزند فهو أعظم جرماً عند الله من السارق نفسه، لأنّ السارق تحدى بصورة فردية حكماً شرعياً واحداً، أما مَن طبّق حكماً من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى فقد ارتكب وزراً عظيماً دونه السرقة بكثير..

الوريد الذي ورد في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[١].

ولا يقف الأمر عند هذا الحد كذلك، بل يتعدّاه تعالى كما في تتمّة قوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾: أي لو أننا أردنا أن نفعل ذلك مع أشرف الأنبياء فإنّ أياً منكم - أيها المسلمون، يا أمّة رسول الله ويا مَن تعتزّون به - لا يتمكن أن يدافع عنه أو يكون حاجزاً يمنعنا عن إنزال هاتين العقوبتين به. لماذا؟ لأنّ أحكام الله تعالى بهذه المثابة من الأهمية!

التلاعب بأحكام الله من أكبر الكبائر

إذا كان هذا جزاء رسول الله صلى الله عليه وآله فيما لو تقوّل على الله تعالى ترى فما حال غيره من الناس؟!

إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيع أن يتصرف في أحكام الله تعالى، بل يكون مستحقّاً لهذه العقوبة الشديدة لو فعل ذلك مع أنّه أشرف المخلوقات، فكيف الحال بغيره؟!

نستنتج من هذا العرض المختصر أنّ أحكام الله هي أهم شيء عند الله تعالى، وأنّ التلاعب بها يعدّ أكبر جريمة عند الله كما عبّر عنها القرآن الكريم وتهون عندها كلّ الجرائم والمعاصي إلا الشرك بالله تعالى! فمن أكبر الكبائر أن يقول شخص: إنّ هذا حلال وهذا حرام كذباً على الله ومن دون علم.

---

(١) سورة ق: ١٦.

الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد

إنّ مَن يراجع كتب الفقه يدرك هذه الحقيقة بجلاء. فهناك على سبيل المثال أخذ وشد طويل وعريض ونقاش حاد بين فقهاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وحتى اليوم حيال الإفتاء طبق رواية أحد رواتها مجهول الحال. فمثلاً لو وردت رواية عن المعصوم عبر عشرة رواة كان تسعة منهم ثقات ولكن يقع في هذه السلسلة شخص واحد مجهول الحال أي لا يُعلم حاله هل هو ثقة أم لا؛ هنا يتوقف الفقهاء في الإفتاء طبق هذه الرواية، لأنّه لا يجوز القول إنّ حكم الله في مسألة هو كذا أو كذا دون دليل ومستند. فإذا كان الأمر كذلك فهل يحقّ بعد ذلك لمن ليس اختصاصه الفقه أن يعطي رأياً في أحكام الله فيحلل ما يشاء ويحرّم ما يشاء؟!.

لقد سمعت شخصياً من المرحوم الوالد رضوان الله عليه أنّه كانت هناك مسألة من مسائل الحج – لا يسعنا بيانها – وقعت مداراً للبحث بين مجموعة من المجتهدين، منهم مراجع للتقليد، وهم السيد الوالد رحمه الله نفسه والسيد آقا حسين القمي رحمه الله والشيخ محمد رضا الإصفهاني رحمه الله والسيد زين العابدين الكاشاني رحمه الله، واستمر البحث لمدة ثلاثة أسابيع ولم يستطيعوا في نهاية المطاف أن يقطعوا فيها بالحرمة فأفتوا بالاحتياط؛ مع أنّهم جمهرة من المجتهدين قضى كلّ منهم عشرات السنين من عمره حتى صار خبيراً في الفقه وصار استنباط الأحكام شغله واختصاصه، لكنهم مع ذلك توقفوا عندما أعوزهم الدليل ولم يتعجلوا في إصدار الحكم، فإن الجاهل وحده الذي يصدر الأحكام هكذا

اعتباطاً، أما المتخصص فهو يدرك أهمية الموضوع ولا يستهين بأحكام الله ويطلقها جزافاً لأنّه يعرف عظمتها وأنه سيكون مسؤولاً أمام الله الذي تحدث عن نبيّه بتلك الشدة، فقال: ﴿**ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل**. . . ﴾، فكيف بغيره من الخلق؟!

الشيخ المفيد مثالاً للخوف من الفتيا

لقد كان الشيخ المفيد رضوان الله عليه من كبار علماء الطائفة، عاش قبل أكثر من ألف عام في الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكان يحضر درسه في بغداد العلماء من مختلف الطوائف والملل من السنّة والشيعة والنصارى واليهود والصابئة. ورد في تاريخه أنه سئل يوماً في حكم امرأة حامل ماتت والولد ينبض في رحمها، فقال: يُشق الجانب الأيمن من البطن ويُخرج الولد ثم تدفن الأم. ثم تبيّن أنّه أخطأ في جوابهم، فكان ينبغي أن يقول بشقّ الجانب الأيسر، فأسف على إفتائه وقرّر أن لا يفتي أحداً بعد ذلك.

فمع أنّه لم يثبت من الناحية الطبّية وجود فرق في شقّ بطن الحامل الميّتة سواء كان من الجانب الأيمن أم الأيسر، ومع أنّ الشيخ المفيد لم يكن عامداً بل صدرت منه الفتوى بخلاف الحكم الشرعي خطأً، وكلّ الناس معرّضون للخطأ إلاّ المعصومين، إلاّ أنّ الشيخ المفيد تألّم إلى درجة بحيث قرّر ترك الإفتاء خشية الوقوع في الخطأ ثانية والقول بما لم يحكم الله – وإن لم يكن عامداً –.

هذا والشيخ المفيد بلغ درجة من العلم والفضل بحيث كان مرجعاً

ليس للشيعة وحدهم بل كان يرجع إليه المسلمون وغيرهم وينهلون من نمير علمه. ولقد نُقل أنّ الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف نعاه بنفسه عندما توفي وكتب على قبره:

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه يوم على آل الرسول عظيم[١]

عالِم بهذه المنْزلة يحذر من تكرّر الخطأ منه فيجلس في بيته ويغلق عليه بابَه ويقرّر عدم الإفتاء، دون أن يجدي معه إصرار المراجعين، حتى بعث إليه ـ على ما يُنقل – الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه، في أحد الأيام شخصاً وقال له: يقول لك الإمام: *أفِد يا مفيد، منك الفتيا ومنّا التسديد*[٢]. ثم اعلم أن الإمام بعثني على الجماعة الذين استفتوك وقلتُ لهم: إنّ الشيخ يقول: "لقد أخطأت"، فشقّوا البطن من الجانب الأيسر. عندها أرسل الشيخ خلف الجماعة ليتأكد من الموضوع، فقال لهم: ماذا عملتم بالمرأة الحامل؟ قالوا: شققنا بطنها من الجانب الأيسر كما أخبرنا الشخص الذي أرسلته خلفنا. بعد ذلك عاد الشيخ المفيد للإفتاء[٣].

العوام والإفتاء في الشعائر الحسينية!!

إذا عرفنا هذا الاحتياط من العلماء في صدور الأحكام فلنلق نظرة على واقعنا، وخاصة عندما يحلّ شهر محرم الحرام وذكرى استشهاد أبي الأحرار الإمام الحسين سلام الله عليه، ترى العجب العجاب، في كثرة المتصدين للإفتاء من عوام الناس! فهذا يقول لبس السواد حرام، وذاك

(١) بحار الأنوار: ٥٣/ ٢٥٥ في ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام، الحكاية الخامسة والعشرون.
(٢) انظر روضات الجنات للخونساري: ٦ / ١٥٣ – ١٧٨ رقم ٥٧٦ ترجمة الشيخ المفيد.
(٣) انظر كتاب قصص العلماء للتنكابني.

يقول بحرمة اللطم على أبي عبد الله، وآخر يحرّم التطبير، مع أنّ أحداً من المجتهدين لم يقل بحرمة أيّ من الشعائر الحسينية؛ لأنّ المجتهد لا يصدر الأحكام جزافاً وبسرعة بل ربما أتعب ثلة من المجتهدين أنفسهم ثلاثة أسابيع – كما قلنا – دون أن يخرجوا بحكم قاطع في مسألة واكتفوا بالاحتياط، أمّا الجهلة من الناس فتراهم يتسرعون في إصدار أحكام ليس من شأنهم ولا من اختصاصهم دون أن يبالوا!

فكيف يمكن أن يكون اللطم على الإمام الحسين سلام الله عليه حراماً وهذا هو الشاعر دعبل الخزاعي ينشد أشعاراً في رثاء الإمام المظلوم بمحضر الإمام الرضا سلام الله عليه ويقول فيها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات[1]

والإمام الرضا سلام الله عليه لا يردّه بل يستزيده. فهل يمكن أن ينسب دعبل الخزاعي عملاً محرّماً إلى فاطمة الزهراء سلام الله عليها ويسكت الإمام الرضا سلام الله عليه عنه؟!

ولقد سئل الإمام الصادق سلام الله عليه عن مسائل كهذه، فقال: *وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب*[2]، فهل الفاطميات وزينب الكبرى لا بل الإمام الصادق سلام الله عليه لا يعرفون الحرام، ويعرفه زيد من الناس أو عمرو؟

---

(١) راجع كشف الغمّة للأربلي: ٣ / ١٠٨ – ١١٧ نصّ القصيدة.

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي: ٨ / ٣٢٥ ح ٢٣ باب الكفارات.

وهكذا الحال مع لبس السواد على سيد الشهداء سلام الله عليه فلقد فعله المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

اقرأ التاريخ ثم تكلّم. راجع كتب الفقهاء والرسائل العملية وبعد ذلك قل ما بدا لك.

فها هو كتاب جواهر الكلام[1] ذو الأربعين مجلداً، هذا الكتاب الضخم الذي لا يَذكر صاحبه – وهو بحر من العلم – مسألة إلاّ ويذكر دليلها، وأصحاب الاختصاص يعرفون الجواهر وصاحب الجواهر.. هذا الرجل يستدلّ على مسألة واحدة في باب من أبواب الفقه عبر عشر صفحات من كتابه ثم يناقش الاستدلال ويرد ثم يقول أخيراً: لا يمكننا أن نفتي والاحتياط سبيل النجاة!

تأمّل جيّداً: صاحب اختصاص يناقش مسألة في عشر صفحات ولا يقطع أخيراً، ثم يأتي رجل ليس بصاحب اختصاص وليس بمجتهد ويصدر حكماً بسرعة، دون تفكير ودون دليل، ويقول لك إنّ العمل الفلاني حرام!

والعجيب أنّه عندما تأتي مناسبة استشهاد الإمام الحسين سلام الله عليه وينصب عزاؤه يصبح كلّ شيء حراماً وكلّ الناس فقهاء!! مع أنّ أحداً من المجتهدين لم يفت بحرمة أيّ من شعائر أبي عبد الله سلام الله عليه.

إن الحكم بغير ما أَنزل الله من أكبر الكبائر، حتى لقد تحدّث الله عن رسوله وأحبّ الخلق إليه بتلك الصفة عندما تعلّق الأمر بهذا الموضوع!

---

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للفقيه العلاّمة الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن المولى الشريف الكبير. راجع الذريعة لآغا بزرك الطهراني: ٢٧٥/٥ رقم ١٢٩٦.

الفتاوى التي بها تحبس السماء ماءها

تنازع رجلان في عهد الإمام الصادق سلام الله عليه عند أبي حنيفة في كراء حيث اكترى أحدهما فرساً من الثاني للذهاب إلى مكان للقاء صاحب له ولكنه عندما وصل إلى ذلك المكان لم يلقَ صاحبه لأنّه كان قد ذهب إلى نقطة أبعد منها، فاستمر في مسيره قاصداً إياه حتى بلغه، وهنا طالب صاحب الفرس أجراً أكثر لقاء المسافة الزائدة، لكن المكتري اعترض بأنّ الكراء كان بهدف الوصول إلى الصاحب وإن زادت المسافة، وحكم أبو حنيفة لصالحه استناداً إلى قاعدة فقهية أخطأ في فهمها، وهي «الخراج بالضمان». ولم يرض المكاري وطلب الاحتكام إلى الإمام الصادق سلام الله عليه، ورغم أنّ الخلاف كان في دراهم معدودة وأنّ أبا حنيفة أخطأ في فهم القاعدة وأنّ الإمام الصادق إمام معصوم وحفيد رسول الله فهو عنده علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان أستاذاً لأبي حنيفة، إلاّ أنّ الإمام لم يجب على المسألة أوّلاً بل قال قبل أن يجيب: *بمثل هذا القضاء تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها*.[1]

أي أنّنا لو قلنا عن أمر إنّه حرام مع أنّ الله لم يحرّمه، أو إنّه حلال وهو عند الله ليس بحلال، وكذا المكروه والمستحب والواجب فإن ذلك القول بغير ما أنزل الله يمنع الأمطار من النزول ويحبس بركات الأرض.

فلو سألك أحد: هل الشيء الفلاني حلال أم حرام؟ فلا تجبه من تلقاء نفسك بل سل مجتهداً وأعطه الجواب، فإنّ الله تعالى لم يجعل أحكامه بيد أيّ أحد، بل جعلها بيد نبيه صلى الله عليه وآله وقال: ﴿وما أتاكم

---

(١) الكافي: ٥ / ٢٩٠، عنه بحار الأنوار: ٤٧ / ٣٧٥ ح ٩٨.

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[١].

لقد قُتل الأنبياء والأولياء في سبيل أحكام الله تعالى، وأخبر الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمد بن الحنفية – لمّا أراد ثنيه عن الخروج إلى كربلاء – أنه رأى جدّه صلى الله عليه وآله في المنام، فقال له:

يا حسين اخرُج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: *قد قال لي إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا*[٢].

لماذا شاء الله ذلك؟ لأنّ أحكام الله فوق الحسين وزينب وأمّ كلثوم.

هل أنت أفقه من الإمام صاحب الزمان؟!

أمّا مَن يقول إنّ إخراج الدم على الإمام الحسين سلام الله عليه حرام فنقول له: هل أنت أفقه أم صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟! وهو الذي يخاطب جده الحسين سلام الله عليه بقوله في زيارة الناحية المقدسة: *لأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً* فهل الدم الذي يخرج من العين أخطر أم الدم الذي يخرج من الرأس بالتطبير أو من الظهر بالسلاسل أو من الصدر باللطم؟ أم أنّ الإمام الحجة –حاشاه– لا يعرف أنّ هذا العمل حرام ويعلمه فلان من الناس؟!

لقد نطحت زينب سلام الله عليها رأسها بمقدم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها. فهل فعلت زينب حراماً؟ ولماذا لم تندهش من فعلها؟

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٢٨ (ط. منشورات الشريف الرضي– قم).

الناس مسلطون على أنفسهم

هناك حريتان موجودتان في الإسلام؛ حرية الفكر حيث يقول تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[١] وحرية العمل؛ للقاعدة المسلّمة لدى الفقهاء «*الناس مسلّطون على أنفسهم*» ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أجمع المسلمون على نقله وهو: *الناس مسلّطون على أموالهم*[٢] يتصرّفون فيها بما يشاؤون. أمّا الإضرار بالنفس فليس حراماً في الإسلام إلاّ في موضعين واسألوا عن ذلك جميع الفقهاء؛ الموقع الأوّل هو الانتحار فهذا غير جائز في الإسلام، واستدلّ الفقهاء عليه بالآية الكريمة: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[٣]، وإن كانت في سياق آيات الجهاد لكن استدلّ الفقهاء بها؛ لاستدلال الأئمة بها في هذا المعنى. وكذلك لقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾[٤].

الموقع الثاني المستثنى من جواز الإضرار بالنفس هو أن يتلف الإنسان أحد أعضائه أو إحدى قواه. فلا يجوز للإنسان أن يعمي عينه أو يصمّ أذنه أو يقطع أنملة من أنامله هكذا عبثاً وليس لعملية جراحية في ضرورة من الضرورات.

كما لا يجوز للإنسان أن يشلّ قوة من قواه كالمرأة تقلع رحمها أو تشرب دواء يمنعها عن الإنجاب نهائياً – أمّا إذا كان شلّ القوة لفترة معيّنة فقال العلماء بجوازها – وكذلك الحال بالنسبة للرجل.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) عوالي اللآلئ للأحساوي: ١ / ٢٢٢ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي: ٤٩٤ وغيرها.

(٣) البقرة: ١٩٥.

(٤) النساء: ٢٩.

أجل إنّ الإضرار بالغير غير جائز حتى لو كان بمقدار عود ثقاب، ولقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله: *...ألا وإن الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه بأصبعه*[1]، فلو أنّ أخاك جلس إلى جانبك ووضعت طرف ثوبه بين إصبعين من أصابعك تريد أن تعرف نوع القماش مثلاً وهو لا يعلم، فإنّ ذلك لا يجوز لك إن كنت تعلم أنّه لا يرضى، ولسوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة. بل يقول الفقهاء إنّ الإنسان مسؤول عن مثل هذا التصرف – لو كان غصباً – حتى مع زوجته كما لو كانت تستحي من ذلك ولا ترضى مثلاً؛ فإنّ حق الرجل على الزوجة لا يتعدى أمرين هما: الفراش وخروجها من البيت بإذنه، وليس له وراءهما أيّ حق عليها بعد ذلك، ولا يجوز له أن يلحق بها أدنى ضرر.

أمّا الإضرار بالنفس فكما قلنا هو جائز إلاّ في موردين هما قتل النفس أو تلف أحد الأعضاء أو القوى. فهاهم الناس والتجار يسافرون في الحر والبرد وهم يتعرّضون للأخطار وربما قللوا من نومهم أو غذائهم وربما مرضوا وهم في الفُلك، وعلى هذا جرت سنّة الناس ولم يبلغنا أنّ الأئمة منعوا أحداً رغم وجود احتمال للغرق والموت – غير الغالب طبعاً –.

ولم ينهَ الفقهاء عن الضرر البالغ كالتدخين مثلاً، فمع أنّ الأطباء مجمعون على أنّ التدخين مضرّ بصحة الإنسان فهل سمعتم أنّ فقيهاً أفتى بحرمة التدخين؟ كلا بالطبع لأنّه لا دليل لهم على الحرمة بل الأصل

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ٣٤٦ ح ١، مقطع من عقوبات الأعمال.

«إنّ الناس مسلّطون على أنفسهم».

ومثل التدخين إدخال الطعام على الطعام والنوم بعد الأكل مباشرة وأمور كثيرة أخرى من هذا القبيل، واكتفى الشرع بكراهتها ولم يقل بحرمتها إلاّ في الاستثناءين المذكورين آنفاً، وما ذلك إلا لأنّ الناس مسلّطون على أنفسهم.

ولو كانت أحكام الله تعالى بيد الناس لأفتى كلّ واحد بها حسب أهوائه وتصوراته، ولانمحى الإسلام الذي بين أيدينا اليوم ولأصبح شيئاً ثانياً! لكنّ جهاد المصطفى صلى الله عليه وآله وإخلاصه في تبليغ ما أمر المولى تعالى به، وكذلك دماء أهل البيت سلام الله عليهم التي أريقت في سبيل ديمومة أحكام الله تعالى قد أبقتا على الدين حيّاً نابضاً إلى اليوم.

إذن لو سئل أحد عن مسألة ولم يكن من أهل الاختصاص فعليه أن يحيل سائله إلى المجتهد الجامع للشرائط أو أن يسأله بنفسه وينقل عنه جوابه إليه، ولا يحقّ حتى لوكيل المجتهد أن يجيب من عند نفسه، بل عليه أن ينقل رأي مرجع التقليد فهو الحجة علينا، وقد علمنا كم يبذل المجتهدون من الوقت والجهد للوصول إلى استنباط حكم من أحكام الله تعالى، وربما لا يتوصلون إليه فيعملون بالاحتياط ولا يفتون.

لم يفت مجتهد بحرمة أي من الشعائر الحسينية

الأمر الآخر الذي ينبغي أن لا ننساه هو أنّ أياً من الشعائر الحسينية المعهودة لم يفتِ مجتهد بحرمتها، بل الفقهاء قاطبة أفتوا بجوازها بل استحبابها؛ فلا يجوز لغير الفقيه أن يفتي من عند نفسه بحرمة شيء منها، فيقول مثلاً: إنّ اللطم على الحسين أو التطبير أو التشبيه أو ضرب

السلاسل حرام لأنّ فيها ممارسة لإيذاء الإنسان نفسه، مع أنّ كلّ هذه الممارسات لا تصل إلى حدّ خروج الدم من عين الإنسان، والإمام الحجة يمارسه، فلست أنا ولا أنت ولا غيرنا أفقه من صاحب الزمان صلوات الله عليه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف، وكلام غير المجتهدين ليس بحجة ولا يصحّ الأخذ به ولا يجوز نقله شرعاً.

نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

وصلى الله على رسوله الأمين وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

المحاضرة السابعة

الإمام الحسين عليه السلام أقام الدين

معرفة مكانة الإمام الحسين عليه السلام

في ضوء الآية الكريمة

«شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً... أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه»

• حديث سماحته في الأول من شعبان عام ١٣٩٦ هـ بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحسين سلام الله عليه في الثالث من الشهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾[1].

دين الله واحد

الدين: طريقة السلوك في الحياة. فالدين اليهودي يعني طريقة سلوك اليهود في الحياة. والدين المسيحي يعني طريقة سلوك النصارى في الحياة. والدين الإسلامي يعني طريقة السلوك التي رسمها الإسلام لأتباعه في الحياة.

هذا وإنّ الله تعالى يخبر المسلمين في هذه الآية أنّ الدين الذي شرعه ورسمه لهم لا يتعارض مع الدين الذي شرعه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. فطريق الأنبياء كلّهم واحد وهو عين ما أتى به محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) الشورى: ١٣ .

ومادام الأنبياء كلّهم يصدرون عن الإله الواحد، فطريقهم كلّهم واحد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ الآية.

ما وصّى الله به أنبياءه

فما هو الشيء الذي وصى به الله نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين محمداً سلام الله عليهم أجمعين؟

قال تعالى بعد ذلك: ﴿أن أقيموا الدين﴾. ويقول النحاة: إن قوله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿وما وصّينا﴾، وهذا يعني أنّ ما أوصى به الله سبحانه أنبياءه عليهم السلام – ومن جملتهم نبينا وسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله – هو إقامة الدين؛ أي جعله قائماً.

وكما أنّ الإنسان القائم يتحرّك ويمارس حياته بشكل طبيعي خلافاً للمريض الذي لا يستطيع القيام والنهوض، فكذلك الدين إذا كان مبعداً عن الحياة لم يكن قائماً، والله تعالى وصّى أنبياءه أن يقيموا الدين.

مكانة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في السماوات

إن الإمام الحسين سلام الله عليه أقام دين جدّه صلى الله عليه وآله، ولولاه لما قامت للدين الإسلامي قائمة. وهذا ما سنبيّنه خلال البحث؛ عسى أن نكون قد وفينا بعض ما علينا تجاهه ولو بمقدار ما تحمله رأس الأبرة من بلل البحر!! ذلك أنّ الحديث عن الحسين سلام الله عليه حديث عن الله سبحانه والقرآن وعن الرسالة والحق وعن كلّ فضيلة.

لقد ذكر القرآن الكريم قصّة إسراء نبيّه صلى الله عليه وآله وعروجه إلى

السماء في عدّة موارد منها قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثم دنا فتدلّى* فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[١].

جاء عن ابن عباس: *فلما بلغ* صلى الله عليه وآله *إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب فقال جبرئيل: تقدم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت*[٢].

وجاء في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال: *فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمد! وتخلّفَ عني، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمد إن انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربي جلّ جلاله. فزجَّ بي في النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه*[٣].

وهنا عندما بلغ الله تعالى بحبيبه هذه المرتبة جعل يريه آياته الكبرى، وتحقق قوله سبحانه: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[٤] وكان مما رآه صلى الله عليه وآله من الآيات الكبرى مكانة حفيده الإمام الحسين سلام الله عليه وعظمته في السماوات.

عن الإمام الحسين سلام الله عليه قال: *أتيت جدّي رسول الله* صلى الله عليه وآله ،

---

(١) النجم: ٨ – ٩. انظر الكافي: ١ / ٤٤٢، ح ١٣، وفيه: «... فقال أبو بصير للإمام أبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما قاب قوسين أو أدنى؟ قال: ما بين سيّتها إلى رأسها...».

(٢) مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ١ / ١٣٥ – ١٥٦ عنه بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٨، ص٢٨٦.

(٣) علل الشرايع للصدوق: ١ / ٥ ح ١ باب ٧ العلّة التي من أجلها صارت الأنبياء والرسل والحجج صلوات الله عليهم أفضل من الملائكة.

(٤) النجم: ١٨ .

فرأيت أُبَيّ بن كعب جالساً عنده، فقال جدّي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض فقال أُبيّ: يا رسول اللّه وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أُبَي بن كعب! والذي بعثني بالحقّ نبياً، إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة[١].

ومن هنا ينبغي لزائر الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف أنّه بين يدي مَن، ويكلّم مَن، ولو كنّا كذلك ونحن في حرم الإمام الحسين سلام الله عليه وبين يديه عندما نزوره لما شغلنا شيء آخر أبداً. يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: *مَن أتى الحسين* عليه السلام *عارفاً بحقّه كتبه اللّه في أعلى عليين*[٢].

إنّ الله سبحانه وتعالى دعا أشرف أنبيائه ورسله عليهم السلام ومن خاطبه بقوله: *لولاك لما خلقت الأفلاك*[٣]، دعاه في أعظم دعوة لأعظم وليمة يغذيه فيها بالتعاليم الروحية وليريه آياته الكبرى، ومنها *إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة*. فهذا هو الحسين سلام الله عليه؛ فهل عرفناه حقّ معرفته؟

أنّى لطاقاتنا الفكرية المحدودة أن تدرك عظمة الإمام الحسين سلام الله عليه؟ والله سبحانه يعبّر عنه بآيته الكبرى، ويقول عنه: إنّه مصباح الهدى وسفينة النجاة. فهذا ليس قول الإمام الصادق أو أمير المؤمنين سلام الله عليهما

---

(١) مدينة المعاجز، للبحراني: ٢ / ٣٢٧ رقم ١١٦.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ١١٠ ح ٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١ / ١٤٨ – ١٥٧، عنه بحار الأنوار: ١٦ / ٤٠٣ ح ١.

أو جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه، بل هو كلام الله مكتوب على ساق العرش وقبل أن يولد الإمام الحسين سلام الله عليه.

وهنا نسأل: لماذا يري الله أشرف أنبيائه هذه الكلمة عن سبطه ويعدّه آية كبرى؟ وما هو السرّ وراء ذلك؟

والجواب: هو أنّ الحسين سلام الله عليه خير مَن طبّق الآية التي صدّرنا بها البحث وما وصّى الله به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد سلام الله عليه وآله وعليهم أجمعين، وهو ﴿أن أقيموا الدين﴾. إن الحسين سلام الله عليه أقام الدين وحفظ الشريعة. فلولا الحسين لما كانت الصلاة اليوم ولا الصيام ولا حجَّ البَيت أحدٌ؛ لأنّ بني أمية كانوا على وشك القضاء على الدين، ولكن الحسين سلام الله عليه حفظه وأقامه بدمه ودماء أهل بيته.

نماذج من محاولات بني أمية للقضاء على الدين

● حقد معاوية على الدين والرسالة

كان لمعاوية بن أبي سفيان صديق ونديم اسمه المغيرة بن شعبة، وكان يشبه معاوية – فإنّ الطيور على أشكالها تقع – .

يقول المطرف ابن المغيرة بن شعبة: *دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، يتحدّث معه، ثم ينصرف إليَّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة ظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ فقال: يا بنيّ جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّاً*

يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، وإنّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، واجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر.. وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات: (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأيّ عمل يبقى، وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلّا دفناً دفناً[١].

● يزيد يثأر لقتلى بدر

أرأيت كيف كان يفكّر معاوية؟! أمّا ولده يزيد فقد أظهر ما كان يضمره بعد قتله سبط رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك ، فلا خبر جاء ولا وحي نزل[٢]

وقال في أبيات أخرى:

لّما بدت تلك الحمول، وأشرقت تلك الرؤوس على ربا جيرون
نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل فقد قضيت من الرسول ديوني[٣]

يعني أنه اقتصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قتل سبطه بمن

---

(١) المسترشد للطبري: ٦٨٠.
(٢) الاحتجاج: ٢ / ٣٤.
(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي: ٢ / ٣٠١.

قتلهم الإسلام من أجداده الكفرة في بدر. فالقضية عند يزيد تتلخّص في نزاع بين قبيلتين، فلا دين ولا نبوّة ولا وحي ولا جنّة ولا نار!

● خليفة يشتهي أن يفجر فوق الكعبة!!

نموذج ثالث من خلفاء بني أمية هو «الوليد بن يزيد».

ذكر ابن الأثير أنه: اتخذ له ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاّه الحج... فحمل معه كلاباً في صناديق، وعمل قبّة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه الخمور وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمور.[١]

ومن أخباره أنّه واقع جاريته وهو سكران وجاءه المؤذّنون بالصلاة فحلف لا يصلّي بالناس إلاّ هي، فلبست ثيابه وتنكّرت وصلّت بالمسلمين وهي سكرى متلطّخة بالنجاسات على الجنابة[٢].

فهل عرفتم الآن كيف أنّ الإمام الحسين سلام الله عليه أنقذ دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من براثن بني أميّة؟ وكيف أنّه حقّق وصيّة الله لأولي العزم من أنبيائه بإقامة الدين؟ ولهذا وجد رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوباً على ساق العرش *إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة*.

أليس للإمام الحسين سلام الله عليه حقّ على كلّ صلاة تقام على وجه الأرض؟ أليس لدمه سلام الله عليه حقّ على الكعبة والبيت الحرام؟ فلولا جهاد الحسين سلام الله عليه وثورته ودمه لما كانت صلاة ولا صيام وما كانت تؤدّى الزكاة ولا الخمس ولا سائر أحكام الإسلام.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٤٦٧ ذكر بيعة الوليد بن يزيد.

(٢) راجع شرح أصول الكافي: ٥ / ١٤٣.

وما نقلناه كان غيضاً من فيض، فاقرأوا التاريخ بأنفسكم لتعلموا ما أراد الأمويون فعله بالإسلام، وما هو دور الحسين سلام الله عليه؟ ولماذا قال الله تعالى عنه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله: *إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة!*

حسين منّي وأنا من حسين

وهكذا أيضاً يفسّر معنى الحديث النبوي الشريف: *حسين منّي وأنا من حسين*[1].

أمّا أنّ الحسين من النبيّ فهذا لا خلاف فيه، ولكن كيف يمكن أن يكون الجدّ من الحفيد أو السبط؟ لاشكّ أنّ النبيّ يقصد بذلك استمرار رسالته صلى الله عليه وآله. وهذا الكلام النبوي الشريف مقتبس من ذاك التعبير المكتوب على ساق عرش ربّ العزّة! لأنّ بقاء اسم النبي صلى الله عليه وآله يُرفع من على المآذن *(أشهد أنّ محمداً رسول اللّه)* إنما كان بتضحيات الإمام الحسين سلام الله عليه. ولولا الإمام الحسين سلام الله عليه لمحا معاوية ويزيد وآل مروان من بعدهما هذا الذكرَ، ولعادت الجاهلية من جديد، فهكذا كان تخطيط معاوية، ولكن الله تعالى شاء أن يرى الإمام الحسين قتيلاً! لتعلّق إرادته تعالى بإنقاذ الدين بأساليب طبيعية غير غيبية. وهكذا كان إنقاذ دين الله متوقّفاً على دم الحسين سلام الله عليه، ولولا شهادة الحسين وأهل بيته لما بقي للإسلام من أثر، ومن شاء فليراجع التاريخ.

إذن كلّ مسجد تدخله اليوم فهو مدين للحسين، وكلّ صلاة وصيام،

---

(١) كشف الغمة: ٢ / ٢١٨.

وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبرّ بالوالدين، وإخلاص لله، بل واسم رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يُرفع في الأذان.. كلّه من الحسين سلام الله عليه، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله: *وأنا من حسين*.

ولولا الحسين لكان اسم الرسول صلى الله عليه وآله – وكما تمنّى معاوية – حاله حال اسم أبي بكر وعمر، لا يزاد أن يُقال: كان محمد. أمّا رفعه في الأذان مقروناً بالرسالة كلّ يوم خمس مرات، وامتداده في استمرار تعاليمه في الصلاة والصوم والمساجد والحجّ والدين كلّه فكلّ ذلك رهين دم الحسين سلام الله عليه.

وهذا معنى مخاطبتنا له سلام الله عليه في الزيارة: *أشهدُ أنّك قد أقمت الصلاة* لأنّه لولا الحسين لما صلّى أحد.

ينقل الشيخ محمد شريعت رحمه الله – أحد علماء الشيعة الذين عاصرتهم، أصله من كراجي، وكان يسكن في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة – أنّه كانت تربطه صداقة بقسّ مسيحي فقال له يوماً:

> أنتم الشيعة عندكم الحسين سلام الله عليه ولكنّكم لا تستفيدون منه كما ينبغي. ولو كان الحسين لنا لركزنا في كلّ شبر من الأرض منبراً باسم الحسين نجمع الناس حوله ونبلّغهم ديننا ولما تركنا إنساناً على وجه الأرض إلاّ دعوناه إليه.

ختاماً: ماذا نقدّم للحسين سلام الله عليه؟

أقترح ثلاث وصايا بسيطة يتمكّن كلّ منّا العمل بها عسى أن نرفع شيئاً من تقصيرنا تجاه الإمام الحسين سلام الله عليه:

أوّلاً: قبل أيام من ذكرى ميلاده المبارك سلام الله عليه أخبِر كلّ مَن تلقاه – سواء في محلّ عملك أو في طريقك إلى البيت أو صَديقاً تلقاه – أنّ يوم الثالث من شعبان هو يوم ميلاد الحسين سلام الله عليه، ولا أبالغ إن قلت إنّ كثيراً من المسلمين الذين تعيش بينهم لا يعلمون بذلك!

ثانياً: لنتحف أولادنا وعوائلنا بفكرة ولو مبسّطة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم لاسيّما صاحب الذكرى الإمام الحسين سلام الله عليه في يوم ميلاده؛ ليتربّوا على حبّهم سلام الله عليهم.

ثالثاً: لنظهِر علامات الفرح والتهنئة ولنوزّع الهدايا أو الحلويات على عوائلنا وزملائنا في محلّ عملنا وأهالي منطقتنا في يوم ميلاد الإمام الحسين سلام الله عليه.

إنّ العمل بهذه الوصايا الثلاث هو أقلّ ما يمكن أن نقدّمه وأقلّ ما يُراد منّا، لكي يصدق علينا أنّنا نحبّ الحسين سلام الله عليه ونواليه.

أمّا الأمور والمؤهّلات المطلوبة منا لكي نكون على طريق الإمام الحسين سلام الله عليه فقد لا نكون بمستواها فإنّ الحسين سلام الله عليه أقام الدين، ونحن نرى محيطنا مليئاً بالمحرّمات، وذوينا لا يؤدّون الواجبات ولكن مع ذلك ترى بعضنا – ومع الأسف – لا يكترث! إذا كنّا من الذين يهتمّون بمعالجة الأمراض الروحية في المجتمع كاهتمامنا بمعالجة الأمراض البدنية خاصة إذا أصيب بها أحد أبنائنا، فليكن سعينا من الآن أن نبدأ بنشر حبّ الحسين سلام الله عليه، وفكر الحسين، ثم السعي للعمل وفقه إن شاء الله تعالى. أسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحاضرة الثامنة•

عاشوراء دروس وعبر

الاستلهام من قضية عاشوراء وتعظيم الشعائر الحسينية

• مقتبسة من ثلاث أحاديث لسماحته بمناسبة أيام عاشوراء، وذكرى استشهاد سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

عاشوراء أيضاً

مرة أخرى يطلّ علينا شهر محرّم الحرام وذكرى عاشوراء التي مافتئت مشعلاً يهتدي به الأنام منذ استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه إلى يومنا هذا، وفي كل مرّة تحيى فيها هذه المناسبة ينهل محبّو الإمام قيماً ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة، هذه الملحمة العظيمة المضيئة للأجيال على مرّ العصور، والتي جعلت الأغيار يطأطئون رؤوسهم إجلالاً لعظمة صاحب الذكرى، والمؤمنين يتزوّدون من دروسها الغنية لدنياهم وأخراهم.

لا ننسى بأنّ ذكرى عاشوراء مرّت بمسيرة طويلة من التحوّلات، وأنّ التضحيات التي قدّمها الأسلاف والوالهون بسيّد الشهداء سلام الله عليه هي التي أوصلت إلينا هذه المدرسة العاشورائية المناهضة للظلم، العريقة

بأهدافها المقدسة.

ولا يمكننا أن ندّعي انتماءنا لهذه المدرسة ما لم نرخص الغالي والنفيس في سبيل ديمومة أهدافها العالية، وأن نسلّم هذه الأمانة الحسينية، السماوية، إلى الأجيال اللاحقة مصانة لا تشوبها شائبة، وفي الوقت نفسه فاعلة وبعيدة عن أي زيغ أو حرف، طبعاً إذا خلصت النوايا، وأبعدت المصالح الشخصية، ليحلّ محلّها هدف تحقيق مرضاة الله عزّ وجلّ.

وأوّل مهامّ محبّي أهل البيت سلام الله عليهم إعلاء شأن عاشوراء ونشر ثقافتها وبرامجها، وإحياء مجالس عاشوراء، ومواكبها، بل إحياء كل ما يتعلّق بها من شعائر ليخلّد ذكراها، ولا يخفى أنّها مسألة محفوفة بالمشاقّ والصعاب، لكنّها مشاقّ عاقبتها الثواب الجزيل والأجر الوفير. فالذين قدّموا في هذا الطريق الخدمات الجليلة للإمام الحسين سلام الله عليه، وتحمّلوا في سبيله العناء والعذاب، سيسَجَّل لهم ذلك بأحرف من نور في سفر التاريخ، وفي المقابل ستكتب أسماء الذين وجّهوا أدنى إهانة لمواكب العزاء والمآتم الحسينية بأحرف من نار وهوان، أولئك الذين تصدّوا لمراسيم العزاء على سيد الشهداء سلام الله عليه وصدرت عنهم عبارات من قبيل: «هذا ليس شأنك، اترك الأمر لهم»، أو الزوج الذي منع زوجته من المشاركة، والزوجة التي ثبّطت من عزيمة زوجها، أو الأخ الذي منع أخاه، أو الجار الذي منع جاره، وبعبارة واحدة: كلّ من وضع عقبة في طريق إقامة الشعائر الحسينية، سيسجّل عليهم صغيراً كان أم كبيراً.

الخشية من عدل الله

ليس في أسماء الله تعالى ما يبعث على الخوف أو الصدود، فرحمته تعالى ورأفته ومغفرته وكلّ صفاته وأسمائه لا تحمل من معاني الخوف أو الرهبة شيئاً. ذكر في دعاء الجوشن الكبير ألف اسم من أسماء الله جلّ وعلا وصفاته، ليس في أيّ منها ما يشير إلى ذرة خوف أو فزع عدا واحدة وهي صفة العدل. وثمة صفات أخرى وردت في الدعاء تدخل في السياق نفسه، وجميعها تصبّ في صفة العدل، وعليه يجب الخشية من عدله سبحانه.

لماذا لا يخشى الإنسان عدل الله تعالى إذا علم أنّه ليس في عقاب الله عزّ وجلّ يوم القيامة وقفة، وأنّه خالد، وأن أسباب الهلاك والثبور من كل لون تصبّ على العاصي في ذلك اليوم، ومع ذلك لا يموت بل يذوق أشدّ أنواع العذاب؟ فلو تأمّل الإنسان قليلاً في وصف القرآن الكريم لجهنّم وعذابها لما هدأ باله، كما في قوله تعالى: ﴿**ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت**﴾[1].

ليس البائس من يبيت ليلته وهو جائع، أو من يقبع في غياهب الزنزانات ويذوق أشدّ أنواع التعذيب، لأنّ ذلك كلّه إلى أجل معلوم ثمّ بعدها يشبع الجائع ويتحرّر السجين، إنّما البائس من حكم الله تعالى عليه بالعدل وحاسبه على سيّئاته، يوم تعرض صحيفة أعمال الخلائق على الله تعالى، فلا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة. عندها يفوز الذين ثقلت موازينهم، ومنهم أولئك الذين تفانوا في خدمة شعائر الإمام

---

(١) إبراهيم: ١٧.

الحسين سلام الله عليه وكان محفّزهم في كلّ ما بذلوا من جهد وتضحية هو خدمة الإمام سلام الله عليه.

المحيون للمآتم الحسينية

إنّ لمواكب العزاء الحسينية منزلة رفيعة ومقاماً سامياً جعلت جهابذة العلماء وكبار الوجهاء والشخصيّات يفخرون بالمشاركة فيها أيّما افتخار.

على سبيل المثال، تقام سنوياً في مدينة كربلاء المقدسة، وفي يوم عاشوراء بالتحديد مراسيم عزاء تعرف بعزاء طويريج[١]، وكان السيد بحر العلوم[٢] مواظباً على المشاركة فيها، وكان يقول بأنّه قد شاهد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بين صفوف المعزّين.

كان العمل بهذه المراسيم مستمراً في كربلاء إلى ما قبل حوالي ٣٣ سنة، حيث كان يشارك فيها الآلاف، مهرولين حفاة، وضاربين بأيديهم على رؤوسهم ووجوههم، ولقد رأيت مرات عديدة مراجع كبار وهم يؤدّون هذه المراسيم مع الجموع المهرولة، كما كان يشارك فيها بعض الوزراء والوكلاء والأعيان.

هؤلاء لم يكونوا يفعلون ذلك حتى في مجالس عزاء آبائهم، ولم

---

(١) منطقة قرب كربلاء، تنطلق منها في يوم عاشوراء كلّ عام وفود المعزّين نحو الحرم الحسيني حفاة مردّدين هتافات: حسين حسين، وضاربين بأيديهم على رؤوسهم.

(٢) السيد محمد مهدي بن مرتضى بحر العلوم (١١٥٥- ١٢١٢هـ) من مشاهير العلماء الذين عُرفوا بالزهد والورع، وأحد تلامذة الشيخ وحيد البهبهاني قدس سره، انتقل إلى جوار ربه وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ودفن بجنب باب المسجد الطوسي في النجف الأشرف. راجع الكنى والألقاب للقمّي: ٢ / ٦٧، ترجمة بحر العلوم.

يكونوا ليجزعوا هذا الجزع حتى لو فقدوا أموالهم وثرواتهم. فهنيئاً لهم ثم هنيئاً.

إن مقيمي المآتم الحسينية إنما هم في الحقيقة يعزّون رسول الله صلّى الله عليه وآله. يقول الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام في ما جرى على الحسين سلام الله عليه وأهل بيته سلام الله عليهم: ***يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ولو كان في الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّى بهم***[١].

في الحقيقة، لا يمكننا مطلقاً أن نتصوّر ما كابد سيّد الشهداء سلام الله عليه في يوم عاشوراء. قد تراود الإنسان أحياناً بعض الخطرات، ولكن لا يمكن مطلقاً تصوّر ما جرى في ذلك اليوم فعلاً، وليس لنا أن نختصر القضية بالقول: إنّه إمام، والإمام يتمتّع بالصبر ورباطة الجأش. لاشك أنّ الإمام المعصوم سلام الله عليه أرقى وأعقل خلق الله، وله روح عالية تعلو على جميع المخلوقات، لكنّ له قلباً يطفح بعاطفة تسمو على عواطف جميع البشر وإن كانت معقودة بأكمل العقول.

لقد ذرف الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله الدمع حزناً على فقد ولده إبراهيم، الذي لم يتجاوز الرضاع، وكان صلّى الله عليه وآله يجهش بالبكاء لدرجة كان كتفاه يهتزّان حتى قال له بعض أصحابه: يا رسول الله، تأمرنا بالصبر وتبكي لهذه المصيبة؟ فقال صلّى الله عليه وآله: ***تدمع العين ويحزن القَلْبُ ولا نقول ما يُسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون***[٢].

فالرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله يبكي كلّ هذا البكاء لفراق ولده

---

(١) مصباح المتهجّد للطوسي: ٧٢٤ زيارة أُخرى في يوم عاشوراء.

(٢) الكافي: ٣ / ٢٦٢ ح٤٥ باب الجنائز.

الرضيع، في حين فقد الإمام سلام الله عليه في يوم عاشوراء أعزّ الناس وأقربهم إليه كأبي الفضل العباس وعلي الأكبر والقاسم... سلام الله عليهم. ولو كان هؤلاء أفراداً عاديين لهان الأمر، ولكنهم قد ترعرعوا في حجر الإمامة الطاهر، وكانوا بعد الإمام المعصوم سلام الله عليه قدوة في الوفاء والنخوة والأصالة، ولا مثيل لهم على وجه الأرض مطلقاً، وإنّنا لنعجز عن أداء حقّهم وفي وصف مكانتهم.

في أقلّ من نصف يوم، تجرّع الإمام الحسين سلام الله عليه كل هذه المصائب وتحمّل ما لا يطيقه بشر؛ وكلّ ذلك كان بعين الله التي لا تنام ولكن ستحلّ الساعة التي يُقرّر الله سبحانه بحكمته التامّة انتهاء أمر الصبر لتصل النوبة لعدل الله تعالى الذي يُعدّ الانتقام من الظالمين أحد فروعه.

قتلة سيد الشهداء سلام الله عليه

ورد في كتاب كامل الزيارات[١] أن كلّ من شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام ابتلي بأحد الأمراض الثلاثة: الجنون والجذام والبرص[٢].

وتقول الرواية أيضاً بأنّ هذه الأمراض قد انتقلت إلى ذراريهم من بعدهم، رغم أنّهم لا علاقة لهم بجريرة آبائهم، إلا أنّ هذا هو الذي حصل بالفعل، وكان ذلك من عواقب قتل الإمام الحسين سلام الله عليه، فكما السكّير تمتد آثار عمله إلى نسله، فكذلك الحال مع الظالم، وهذه مسألة تكوينية.

---

(١) أحد المصادر المعتبرة والقيّمة لدى الطائفة.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ٦١ ـ ٦٢ ح٨ الباب١٧.

كما نقرأ في (كامل الزيارات) أيضاً: أنّ قتلة الإمام الحسين سلام الله عليه قد قُتلوا جميعاً، ولم يمت أيّ منهم ميتة طبيعية. في هذا السياق يقول الإمام محمد الباقر سلام الله عليه: *واللّه لقد قُتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد*[١]، والله تعالى لم يرض بعد، لأنّ للإمام الحسين سلام الله عليه مكانة في أعالي الذرى، والانتقام الذي حلّ بهم - وهو القتل - ليس كافياً البتّة، وهذا ما يقرّ به الشيعي والسنّي والمسيحي... على السواء.

تفاخر الكعبة ومكانة كربلاء

نسب ربّ العزّة الكعبةَ إليه فسُمّيت بيتَ الله الحرام، وهو تقديس لمكانتها وتشريف لمنزلتها؛ وذلك لأن ليس لله سبحانه بيت بعينه فهو غنيّ عن المكان. لهذا، رفع هذه البقعة من أعماق الأرض إلى قمة السماء، وشرّفها بنسبها إليه عزّ وجلّ.

هذه الكعبة المشرّفة التي كرّمها الله، وأمر الحجيج أن ينزعوا عند مشارفها ألبستهم الدنيوية ويلبسوا لباس الإحرام، فيدخلوها مُحْرمين، تاركين بعض اللذائذ الدنيوية المباحة، تفاخرت[٢] على البقاع الأخرى، كما جاء عن الإمام الصادق سلام الله عليه حيث قال:

إن أرض الكعبة قالت: من مثلي و قد بني بيت اللّه على ظهري، ويأتيني الناس من كلّ فج عميق وجُعلت حرم اللّه وأمنه!

---

(١) كامل الزيارات، ص٦٣، الباب ٨٨، ح٢.

(٢) إنّ الكعبة وسائر الأشياء التي تحيط بنا هي مخلوقات الله تعالى، وجميعها لها إحساس وشعور، لكن معظم البشر لا يستطيعون درك ذلك، وقد ورد في القرآن الكريم أن جميع الخلائق تسبّح لله لكنّا لا نفقه تسبيحها.

فأوحى الله إليها أن كفّي وقرّي، فوعزّتي وجلالي ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيتُ به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر! ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به؛ فقرّي واستقري...».[١]

لقد أعزّ الله تعالى الكعبة وشرّفها إذ نسبها إليه عزّ وجلّ وسمّاها البيت الحرام، فماذا عن كربلاء؟ وأيّ ميزة تمتاز بها؟

لمعرفة ذلك اقرأ ما جاء عن الإمام الصادق سلام الله عليه حيث قال:

وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله تبارك وتعالى، فبارك الله عليهما فقال لها: تكلّمي بما فضّلك الله تعالى؛ فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض. قالت: أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني بل شكراً لله. فأكرمها وزادها بتواضعها.[٢]

فإذا وُفّقنا لإقامة مجالس العزاء الحسينية، وأسدينا خدمة لسيد الشهداء سلام الله عليه، وتحمّلنا العناء والمشقّة في هذا السبيل، وكان لنا شرف المشاركة في هذه المآتم نقول: الحمد لله الذي وفّقنا لهذا، الحمد لله الذي أكرمنا لنستظلّ بمظلّة الإمام الحسين سلام الله عليه، إن هو إلا توفيق من عند الله لنتشرّف بخدمة الإمام سلام الله عليه.

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٩ ح٢، فضل كربلاء.

(٢) المصدر نفسه: ٤٥٥ ح١٧.

عطاءات عاشوراء

في الواقع، إنّ جلّ ما نملك من مُثُل وقيم هو من بركات تضحيات سيد الشهداء سلام الله عليه. فعاشوراء هي التي غرست في أعماقنا مبادئ الإنسانية والعبودية لله عزّ وجلّ والإيثار وخدمة الآخرين والعطف على المستضعفين والدفاع عن المظلومين، ولأجل هذا كلّه يجب أن نبقي جذوة ملحمة عاشوراء متّقدة على الدوام، وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا.

إننا ننفق في حياتنا اليومية الكثير من الأموال في مختلف الشؤون، وكذلك نصرف الكثير من الجهد والوقت مع الأولاد والزوجة وفي البيت والعمل والتجارة وما إلى ذلك، ولكن لنعلم أن ما ينفق ويبذل في سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه هو الأفضل حيث يحظى بمكانة أرفع وقيمة أكثر، ولنعلم أيضاً بأنّ أي خطوة نخطوها في خدمة أهل البيت سلام الله عليهم، سنثاب عليها من قبلهم بأفضل الثواب.

ثواب ذكر الإمام الحسين سلام الله عليه

كان هناك عالمان جليلان، رهن أحدهما عمره في خدمة مجالس عزاء سيد الشهداء سلام الله عليه، ولم يتوان عن بذل أي خدمة بماله أو بلسانه في هذا السبيل، أمّا الآخر فلم يكن يعر أهمية تذكر لهذه القضية. والآن، وبعد مضي سنوات على وفاتهما، كان الثواب الذي ناله الأول هو أنّ الله قد وفّق أبناءه وأحفاده فجعل منهم المؤلف والعالم والمدرس والمرجع الديني، منتشرين في أصقاع الأرض يحيون ذكرى أبيهم عندما يحيون

الأمر الذي نذر أبوهم له نفسه، في حين لم يبق من الثاني أي أثر يخلّده، وهذا بالتأكيد نتيجة تعظيم الأول لمسألة التفاني والإخلاص لسيد الشهداء سلام الله عليه، وعدم اكتراث الثاني لهذه المسألة، وهنا يتبيّن بأنّ أي خدمة تقدّم لمواكب العزاء الحسينية لن تذهب سدى أبداً.

يروى أيضاً أنّه كان هناك شخصان يعيشان في أحد البلدان، أحدهما بائع بسيط ذو دخل متواضع، والآخر من أغنياء المدينة وأعيانها، وكلاهما رحل عن هذه الدنيا. كان البائع البسيط يكدّ ويشقى من الصباح حتى المساء لتأمين رزقه، وعندما كان يعود إلى بيته كان يأخذ ثلث دخله اليومي ويقول هذا سهم الإمام الحسين سلام الله عليه، وكان يدفع عن المبلغ المتبقّي (الثلثين الآخرين) فريضة الخمس إن فاض عنه شيء، فكان يجمع المال باسم الإمام الحسين سلام الله عليه ويبتاع به أراضي خارج المدينة، فكان الناس يقولون له: لماذا تشتري أرضاً في البراري، حيث لا ماء فيها ولا عمران؟، وكان يجيبهم: ليس لديّ المال الكافي لشراء أراضٍ في المدينة، وقد اشتريت هذه الأراضي على أمل أن يبنى في موضعها حسينية. واليوم، أصبحت تلك القفار مدينة عامرة، تقع في مركزها تلك الأرض التي تحوّلت إلى حسينية كبيرة تقام فيها أغلب أيام السنة مراسم العزاء على سيد الشهداء سلام الله عليه بالإضافة إلى المراسم الدينية الأخرى. وقد قال ابن ذلك الكاسب خلال رحلة له إلى إيران قبل فترة، بأنّ أهل البلد الذي تقع فيه تلك الحسينية عرضوا عليه شراء تلك الحسينية مقابل مبلغ ٥ مليارات تومان وذلك لتحويله إلى مبنى عام، لكنه رفض وقال: هذا المكان وقف، وهو بالتالي ليس لنا، هو للإمام الحسين سلام الله عليه.

إن خدمات ذلك الكاسب في الدنيا محفوظة له، والمراسم التي

كانت تقام في تلك الحسينية خلّدت ذكراه، هـذا بالإضـافة إلـى الثـواب الأخروي الذي ينتظره.

أمّا ذلك الرجل الثري فلم أسمع أن أوقـف ولـو شـبراً واحـداً مـن أملاكه للإمام الحسين سلام الله عليه، وقد اقتسم ورثته أمواله مـن بعـده، ولـم يبق منها أي شيء يحيي اسمه من بعده.

ومن هذا المنطلـق، تعتبـر قضـية الإمـام الحسـين سلام الله عليه قضـية تكوينية، بمعنى أنّه من قدّم خدمة خالصة للإمام سلام الله عليه، سيثاب عليهـا في الدنيا قبل الآخرة.

عاقبة محاربة المواكب الحسينية

كما أنّ لخدمة المواكب الحسينية ثواباً وأجـراً جـزيلاً، كـذلك فـإن التصدي لهذه المواكب ومحاربتها ستكون لـه عاقبـة سـيئة. ومـن يضـع العراقيل في طريق المواكب الحسينية عامداً أو جاهلاً، سيلقى جزاءه فـي دار الدنيا قبل الآخرة. إنّ الثواب الحقيقي للأعمال هو في يوم الحسـاب، لكن المسيء للإمام الحسين سلام الله عليه سيدفع ثمن ذلك فـي الـدنيا أيضـاً قبل وصوله الدار الآخرة.

مسألة أخرى يجب الالتفات إليهـا ألا وهـي السـعادة والنعمـة التـي يهبهما الله تبارك وتعـالى لعبـاده مقابـل تقـديم الخدمـة فـي المواكـب الحسينية، لذا علينا أن نغتنم هذه الفرص لننعم بظلالها قبل أن نندم علـى التفريط بها، ولات ساعة مندم، ولا مجـال حينـذاك للعـودة إلـى الـدنيا للتعويض عمّا فات.

كما علينا أن نعلم بأنّنـا إذا كنّـا قـد وُفّقنـا لإحيـاء مجـالس العـزاء

الحسينية، فالفضل في ذلك كلّه يعود لآبائنا وأجدادنا وأسلافنا. لذلك، علينا أن نتذكّرهم دائماً، وأن نعلم بأنّنا نحن أيضاً سنترك تأثيراً على أجيالنا وذلك بحسب هممنا وعزائمنا في خدمة سيد الشهداء سلام الله عليه.

ثواب الحزن على أهل البيت عليهم السلام

من المناسب أن نقيّم أعمالنا ونرى ما لمجالس العزاء والحزن على مصاب أهل البيت سلام الله عليهم من ثواب من خلال ما ورد في ذلك عن الإمام المعصوم سلام الله عليه، ففي رواية عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه أنّه قال: *نَفَسُ المَهمومِ لِظُلْمِنا تَسْبيحٌ، وَهَمّهُ لَنا عِبادَة*[١].

إنّكم تحملون في داخلكم همّاً عظيماً بسبب ما لحق الإمام الحسين سلام الله عليه من ظلم وإجحاف، إذن أنفاسكم كلها تسبيح تسجّلها الملائكة لكم في صحيفة أعمالكم، ففي كل نفس يكتب لكم قول: سبحان الله. كما أنّ حزنكم عبادة، وبالإضافة لهذين الثوابين هناك ثواب عظيم آخر لكم هو خدمتكم في هذا الطريق.

لذا، فمن يتحمّل مشاقَّ وأعباءً أكثر ويضع راحته وسهره في خدمة الإمام الحسين سلام الله عليه، بطبيعة الحال له أجرٌ أعظم، وأحد أوضح الأمثلة على ذلك ما رُئي لاثنين من الفقهاء الأفاضل في المنام[٢]، أحدهما الشيخ الأنصاري رحمه الله الذي تنهل الحوزات العلمية الدينية منذ ١٥٠

---

(١) الأمالي للطوسي: ١ / ١١٤ _ ١١٥ المجلس٤.

(٢) الرؤيا ليست دليلاً ولكن عُبِّر عنها أحياناً في الروايات بالمبشرات، فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشّرات؟ يعني الرؤيا. نقله الكليني في الكافي ٨ / ٩٠ ح٥٩ ، حديث الأحلام والحجّة على أهل ذلك الزمان.

عاماً من علمه، والآخر الشيخ الدربندي رحمه الله. هذان العالمان كانا زميلي دراسة في مرحلة الشباب، وكانا من تلامذة المرحوم شريف العلماء المازندراني رحمه الله، وأصبح كلاهما فيما بعد مرجعين للتقليد، وفي ذلك الوقت كان الشيخ الأنصاري هو المرجع العام للشيعة، والدربندي له مرجعية محدودة. ذات يوم عزم أحد طلاب الشيخ الأنصاري - وكان طالباً مجدّاً يحمل صفات العلم والورع - على السفر إلى إيران، فقام الشيخ الأنصاري بوداعه حتى مشارف المدينة مشياً على الأقدام حيث كان يعتزم السفر إلى مدينة كربلاء ثم الكاظمية وسامراء ليذهب بعدها إلى إيران، لكنّه في اليوم التالي لم يذهب إلى كربلاء، ورجع من وسط الطريق. وعندما رأى الشيخ الأنصاري تلميذه في النجف الأشرف سأله: «لماذا عدت؟». أجابه: «ليلة أمس غلبني النوم وأنا في الطريق في جوف الصحراء، فرأيت ملكاً في منامي يقول لي: إلى أين أنت ذاهب في هذه الصحراء، إنّك راحل عن هذه الدنيا بعد ثلاثة أيّام. وهذا القصر لك (وأشار الملك إلى قصر) ولم أكن أعلم على وجه اليقين إن كانت هذه رؤيا صادقة أم لا، فقفلت راجعاً إلى النجف، لأكون عند أمير المؤمنين سلام الله عليه وليس في الصحراء فيما لو تحقّقت الرؤيا، وإذا لم تتحقّق أواصل رحلتي من جديد.

وبالفعل، تحقّقت الرؤيا وتوفّي الرجل بعد ثلاثة أيّام كما وُعد بذلك.

يروي هذا الشخص نفسه – قبل وفاته - للشيخ الأنصاري بأنّه قد رأى في ذلك المنام أيضاً قصراً شامخاً فسأل: لمن هذا القصر؟ قيل له: «إنّه للشيخ الأنصاري»، وفي ناحية مجاورة من ذلك القصر رأى قصراً

آخر أفخم من القصر الأول فسأل: وهذا لمن؟ قيل له: «هذا قصر الشيخ الدربندي». في ذلك الوقت كان الشيخان لا يزالان على قيد الحياة، كان الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف، والشيخ الدربندي في كربلاء المقدسة. وبالإضافة إلى كون هذا الأخير مرجعاً دينياً، كان خطيباً يعتلي المنابر الحسينية وكان له منبر خاص في كل عام، حيث نُقل لي بعض من قصصه تلك بواسطتين عمّن حضر مجلسه، وكانت مجالسه تقام في الصحن الشريف في ظهيرة يوم عاشوراء من كل عام بعد انتهاء المجالس الأخرى حيث كانت تعجّ بجماهير غفيرة، وأحياناً كان يتحدث قبل ساعة من موعده، ويقول أحياناً: «لا أريد أن أقيم مجلس ندب ونواح فقد سمعتم منها ما يكفي طيلة الليل وحتى الظهيرة، لكنّني أريد أن أوجّه بضع كلمات باسمكم إلى الإمام الحسين سلام الله عليه...» وكان مجلساً مميّزاً حقّاً. كما دوّن المرحوم الدربندي كتاباً مسهباً عن الإمام الحسين سلام الله عليه يحمل عنوان «إكسير العبادات».

كان المتحدّث ـ تلميذ الشيخ الأنصاري ـ يعرف الشيخين جيداً، ويعلم أنّ مرجعية الشيخ الدربندي لا تضاهي مرجعية الشيخ الأنصاري، لذلك أثارت فخامة قصر الشيخ الدربندي في تلك الرؤيا السؤال في نفس تلميذ الشيخ الأنصاري ليسأل الملك عن سبب ذلك، لأنّه من المتوقع أن يكون قصر الشيخ الأنصاري أكثر فخامة وعظمة، فأجابه المَلَك قائلاً: هذا ليس جزاء أعمال الدربندي، بل هو هدية له من قِبل الإمام الحسين سلام الله عليه.

سيد الشهداء عليه السلام يلي حساب الناس

روي عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه قوله: *إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليهما السلام، فأما يوم القيامة فإنّه هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار*[1].

كلنا سنرحل عن هذه الدنيا وسنحاسَب على أعمالنا في ثلاث محطات - أعاننا الله عليها - حيث نُقل في بعض الروايات أنّه عند الموت، يؤتى بروح الإنسان عند الله الرحمن الرحيم لتُسأل، وحسب الرواية فإنّ الجسد لا يرفع من مكانه ما لم يتمّ الانتهاء من الحساب. وهناك حساب ثانٍ قبيل يوم القيامة، وثالث في يوم القيامة. وتصرّح الرواية المذكورة بأنّ حساب البرزخ للمؤمن والكافر فرادى وجماعات هو من اختصاص سيد الشهداء سلام الله عليه فقط. إذن كلنا سنواجه الإمام الحسين سلام الله عليه وسنكون مسؤولين أمامه، وقد خصّه الله جلّ وعلا بخصوصية لم يخصّ جدّه أو أباه وأمّه أو أخاه بها- مع أنّهم جميعاً يفوقونه في المنزلة- هذه الخصوصية هي في حسابه للخلق قبل يوم القيامة.

لقد كان قبر الإمام الحسين سلام الله عليه في عرض الصحراء حيث لا أثر أو علامة تميّزه، ولم يكن باستطاعة أحد الاهتداء إليه وزيارته من غير دليل مرشد، ومن ناحية ثانية، كان الجواسيس منتشرين في تلك الناحية ومأمورين بالقبض على كل زائر يتّجه صوب القبر، لتسليمه إلى السلطات. وقد أدخل هذا الأمر الرعب في قلوب الجميع، ولم يكن أحد ليجرؤ على الزيارة!

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف للكوراني: ٩٠/٤.

يقول عبد الله بن بُكير أحد أقرب أصحاب الإمام الصادق سلام الله عليه الذي نقل عنه روايات كثيرة: قلت له (أي للإمام عليه السلام): إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح؟ فقال الإمام سلام الله عليه: *يابن بكير أما تحبّ أن يراك الله فينا خائفا؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزع فإن فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة*»[١]

إن الكثير منا قد قرأ قوله تعالى: ﴿في يومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَة﴾[٢]. في ذلك اليوم العصيب الذي ينشغل كلٌّ بنفسه ومصيره، هناك مكان آمن يرفل بالطمأنينة والسكينة ألا وهو ظلّ العرش حيث يقف الإمام الحسين سلام الله عليه، فأولئك الذين تحمّلوا المشاقّ والهوان في سبيله سلام الله عليه سيحظون بشرف التحدّث والأمن، أمّا الذين لم يسيروا في ذلك الطريق ولم يتحملوا الصعاب فيه فسيحرمون هذه النعمة العظيمة.

ذخر ليوم الحساب

علينا أن نتزوّد ليوم الحساب مادامت الفرصة سانحة، حيث يقول الإمام علي سلام الله عليه: *فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم*[٣].

---

(١)كامل‌الزيارات: ١٢٥، الباب ٤٥ ثواب من زار الإمام الحسين سلام الله عليه.

(٢) المعارج: ٤.

(٣) نهج البلاغة: ٦٢، الخطبة ٢٠ .

وفي رواية أخرى له سلام الله عليه: *فإن اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل*[1]، لا يستطيع الإنسان يومئذ إضافة حسنة لصحيفة أعماله ولا محو سيئة منها.

لهذا، وبسبب انقطاع الأموات عن العمل في الدار الآخرة – من ذكرٍ ينفعهم أو حسنة تضاف لهم – تراهم يتحسّرون ويحسدوننا على كلّ لحظة من لحظات حياتنا، في حين أننا على العكس منهم، نستطيع أن نصحّح أخطاءنا ونعوّض عما فاتنا.

بعبارة أخرى: إنّ صلاتنا وصومنا وحسن أخلاقنا ومعاشرتنا في الأسرة والمجتمع وكلّ ما يصدر عنّا من عمل صالح، كلّ ذلك حسابه عند الله تعالى، أمّا الخدمة في سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه فلها وضع خاصّ عمّا سبق من الأعمال، والإمام سلام الله عليه وحده الذي أعطاه الله أن يثيب عليها، فهنيئاً لمن ضاعف من خدمته على هذا الطريق.

قد لا يخطر هذا الشيء على بال بعض، ويسأل: هل هذا معقول؟

جواباً على ذلك نقول: بأنّ الله سبحانه وتعالى قد خصّ الإمام الحسين سلام الله عليه بامتيازات دون غيره، فمثلاً: طبقاً للعديد من الروايات يكره المشي حافي القدمين حتى على الأرض الطاهرة، كما يكره لمن يرتدي زيّاً خاصّاً مثل العمامة والعباءة أن يخرج بدون عباءة، وهذه الكراهة تصدق في جميع أيّام السنة، في حين جاء في رواية صحيحة عن عبد الله بن سنان – نقلها الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار، والشيخ الحرّ في الوسائل

---

(١) الكافي: ٨ / ٥٨ ح ٢١.

وكذلك نقلها شقيقنا المرحوم[١] في كتاب الدعاء والزيارة في أعمال يوم عاشوراء- ما يستفاد منها أنّ من كان يضع العباءة طوال العام يستحبّ له أن يخلعها في يوم عاشوراء، ومن كان ينتعل يستحب له أن يخلع نعليه في ذلك اليوم[٢].

كما ورد في روايات أنه يكره الصلاة بلباس أسود، لأنّ السواد يقلّل من ثوابها، كما يكره الطواف بلباس أسود، ويكره أيضاً الجزع على الميّت وهو غير الحزن والبكاء، فالجزع يعني العويل على الميّت، أو الضرب على الرأس واللطم على الوجه، لكنّ الجزع ولبس السواد على الإمام الحسين سلام الله عليه ليس مكروهاً، بل هو مستحبّ.

فكلّ الامتيازات التي خصّ الله تعالى بها الإمام الحسين سلام الله عليه لم يخصّ بها أحداً من المعصومين سلام الله عليهم، وبعض الأمور التي تكره في مواضع أخرى هي مستحبّة إذا كانت في سبيل الإمام الحسين عليه السلام بل تُعدّ فضلاً وثواباً، هذا علاوة على الثواب الإلهي جزاءً على فعل الطاعة.

فالله تعالى قد أكرم الإمام الحسين سلام الله عليه بقائمة طويلة من الامتيازات، وعلى هذا الأساس، فإنّ أولئك الذين يتحمّلون قسطاً أكبر من الشدائد والصعاب سيغبطهم عليها غيرهم وآخرون يتحسرون لها.

---

(١) سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدّس سرّه.

(٢) روي عن عبدالله بن سنان، أنّه قال: دخلت على سيدي أبي عبدالله، جعفر بن محمّد عليهما السلام في يوم عاشوراء ... قال: ياعبدالله بن سنان، إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم ـ يعني يوم عاشوراء ـ أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتتسلّب. قلت: وما التسلّب؟ قال: تحلّل ازرارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصائب، اُنظر مصباح المتهجّد للطوسي: ٧٨٢، زيارة أُخرى في يوم عاشوراء.

وفي الحقيقة، إنّ مثل الآخرة كمثل أسواق الدنيا، من يعمل ويكدّ أكثر، يكون ربحه في نهاية الموسم أكبر، ومن كان عمله أقلّ كان ربحه بطبيعة الحال أقلّ من غيره، مع فارق واحد وهو أنّ كلّ ما يجمعه الإنسان في سوق الدنيا قلّ أو كثر فهو سراب، بينما خدمته لسيد الشهداء سلام الله عليه هي الثروة الحقيقية وهو ما يتجمّع له من الذخر الذي يستطيع أن يأخذه معه لآخرته، بينما لا يستطيع المرء أن يشتري بأموال الدنيا الزائلة حتى حسنة واحدة.

يقول سيّد الشهداء سلام الله عليه مخاطباً أصحابه: *واعلموا أنّ الدُّنيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلم*[1]. أحياناً يرى الإنسان أحلاماً سعيدة، لكن ما إن يصحو من نومه حتى يتحسّر على كونها مجرّد أحلام، وكذلك الحال حينما يرى كابوساً، يسعد في صحوته لكونه كان كابوساً لا حقيقة، وبالنسبة لنا عندما ننتقل إلى الآخرة سنرى بأنّ الدنيا لم تكن إلا حلماً قد انتهى، إلا أن الخدمات التي قدّمناها على طريق محبة الإمام الحسين سلام الله عليه باقية، وكلما كانت هذه الخدمات أكبر كانت فرحتنا أعظم.

صيانة المكاسب

إن للمدرسة الحسينية عطاءً لا ينفد، ومكاسب لا تبلى، وهي تجسّد عظمة سيد الشهداء سلام الله عليه. فهو إمامنا ومثلنا الأعلى، فلنرَ ماذا قدّم لنا حتى نسلك طريقه ونتبع أثره، وهاهنا نستعرض بعض المكاسب التي جادت بها المدرسة الحسينية على الإنسانية، علّنا نتنفع بها في حياتنا:

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١ / ٢١ ح١٠١.

أحد الأعمال التي قام بها الإمام الحسين سلام الله عليه هو تقديمه الماء لأصحاب الحرّ الرياحي، فمن هم يا ترى أصحاب الحرّ. إنّهم جماعة كلّفهم ابن زياد بمهمة اقتياد الإمام الحسين سلام الله عليه إليه، وكان الإمام سلام الله عليه قد قال: «حتى لو استسلمت لهم، فلن يتورّعوا عن قتلي»، نعم، إنّهم جاءوا لمحاربة الحسين سلام الله عليه وقتله في حال عدم استسلامه، لكنّ الحرّ رجع إلى نفسه وتاب في يوم عاشوراء بعد الذي بدر منه في البداية، فتاب الله عليه وكذلك عفا عنه الإمام سلام الله عليه. والآن لنرَ ماذا فعل أصحاب الحرّ؟ فريق منهم رمى الإمام بوابل من سهامه، وفريق آخر حاربه بالرمح والسيف، وأولئك الذين لم يكن معهم سلاح أمطروه بقطع الخشب والحجارة، كما ساهم بعضهم في قتل علي الأكبر سلام الله عليه، ومنهم من رمى أبا الفضل العباس بالسهام. وكان الإمام سلام الله عليه يعرفهم ويعرف نواياهم، لكن مع ذلك سقاهم الماء، وهنا نسأل غير معترضين: «يا أبا عبد الله لماذا سقيتهم الماء؟». الجواب: هو أنّ الله تعالى يريد من الإنسان أن يخدم أخاه الإنسان صالحاً كان أم شريراً، كافراً أم مسلماً، عادلاً أم فاسقاً، ولكن بشرط أن لا تكون تلك المساعدة علامة على تأييد مسلكهم الخاطئ.

لنحاول تعلّم هذه الدروس من الإمام الحسين سلام الله عليه وهي أن نستعمل ألسنتنا ومواقفنا في فعل الخير دائماً ومع الجميع دون استثناء، فإذا كان باستطاعتنا التفريج عن كربة مكروب فلا نتردد في ذلك، وإذا كان بإمكان المرء أن يساعد بماله أو لسانه أو التوسّط للمساعدة لصالح من يعرفه أو حتى من لا يعرفه، فليفعل.

وهنا نسأل: أليس قتلة الإمام الحسين سلام الله عليه هم شرّ خلق الله؟

لكن مع ذلك نرى الإمام سلام الله عليه نفسه في ذلك اليوم يترجّل عن فرسه ليسقي من ماء قربته أحد أفراد العدو الذي خارت قواه من شدّة العطش ولم يقوَ على النهوض. يقول بعض الرواة بأنّ ذلك الشخص كان أحد الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين سلام الله عليه يوم عاشوراء، والإمام نفسه كان يعلم بهذا، ومع ذلك سقاه الماء.

هناك نقطة أخرى وهي: أن بعض محبّي أهل البيت سلام الله عليهم هم من الذين يقطنون في مختلف بلدان العالم غير الإسلامية، وهم بأمسّ الحاجة إلى الحسينيات والمساجد والمدارس والكتب لأبنائهم، فإذا كنتم لا تستطيعون بناء الحسينيات والمساجد، فعلى الأقل شجّعوا الآخرين على هذا العمل النبيل، أو المساهمة في الأعمال الثقافية المتعلقة بمواكب الإمام الحسين سلام الله عليه. فقد يتّصل بكم أحد الأقارب أو الأصدقاء أو يبعث لكم برسالة، أو قد تتّصلون أنتم بهم، فهذه فرص مناسبة لتشجيع الآخرين على تقديم الخدمات في سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه، حتى لو بدأ المرء من نقطة الصفر، والإمام الحسين سلام الله عليه هو الكفيل بأن يأخذ بيده ليصل بعمله إلى النتيجة المطلوبة.

ابدأوا العمل في هذا الطريق بأقلامكم وألسنتكم وتشجيعكم، وإذا كانت لديكم استطاعة مالية، مهما كانت متواضعة، فبادروا ولا تترددوا، فإن أعمالاً كهذه هي التي جعلت المرحوم الدربندي يحظى بقصر من لدن الإمام الحسين سلام الله عليه أفخم وأعظم من قصر المرحوم الشيخ الأنصاري مع ما لهذا الأخير من مكانة ومنزلة مرموقة.

ونقطة أخرى هي أنّه يمكنكم أن تضيئوا مصباح الهداية الحسيني في بيوتكم، وذلك من خلال إقامة مجالس العزاء الحسينية العامة، فمن

تمكّن من فعل ذلك فهنيئاً له، ومن لم يتمكّن فليقم مجالس عزاء خاصة في بيته، وإذا تعذّر ذلك أيضاً فيمكنه إقامة مجلس عزاء لأسرته فقط مع مشاركة جار أو قريب له. ولهذا العمل بركات دنيوية جليّة تسبق بركاته الأخروية.

بالإضافة إلى أنّ الحضور في الحسينيات والمجالس العامة له أهمّيته كذلك، لكن من الأفضل أن ينقل المرء هذه البركات إلى داخل بيته، وإذا لم يستطع تحمّل أعباء هذه المجالس، فليكتف بأقلّها، وسترون بأمّ أعينكم كيف أنّ الله سيبارك بها وستتمكّنون حتى من الإطعام.

حفظ الأمانة

إنّ شبابنا هم أمانة الله وأهل البيت سلام الله عليهم في أعناقنا، وقد حافظ أسلافنا على الأمانة على أحسن وجه وسلّمونا الدين ومضوا، لذلك علينا أن نسعى بدورنا أن نصون الأمانة الواصلة إلينا على أتمّ صورة، لنسلّمها إلى الأجيال من بعدنا، فلنحاول أن لا يُحرم أيّ شابّ في محلّتنا أو عشيرتنا أو بين أصدقائنا من المشاركة في الحسينيات ومجالس العزاء، وإذا كنّا نعرف شباباً كهؤلاء فلنشجّعهم على المشاركة في هذه المجالس، ولندفع الشباب نحو المواكب الحسينية والتي هي حبل النجاة من الضلال والجهل بكلّ وسيلة متاحة، ولنكرّر محاولاتنا معهم مرة وثانية وثالثة... وهكذا، ولا نيأس من عدم استجابتهم، حتى ينضمّوا إلى الصفوف الحسينية. فلو سألكم مولانا أبو عبد الله سلام الله عليه: «كان فلان شابّاً صالحاً، فلماذا لم تشركوه في هذه المجالس؟» وأجبتم: «يا مولانا حاولنا معه ولم يستجب»، فإنّه سلام الله عليه سيقول لكم: «هلاّ حاولتم مرّة

ثانية»، فإن قلتم: «أرسلنا في طلبه ولم يأت»، فسيقول لكم: «كان عليكم أن تشجّعوه..» فبم ستجيبونه حينئذ؟ لنحاول دفع الشباب باتجاه المواكب والشعائر الحسينية، فهذه المسألة تحظى بأهمية كبيرة، خاصة في عالم اليوم حيث تحاول وسائل الأعلام المضلّلة وبشكل واسع إغراء الشباب وجذبهم نحوها. وعلينا أن نعلم بأنّ كلّ حسينية هي بيت من بيوت الإمام سيد الشهداء سلام الله عليه، فلنحاول تجنيب هذه الحسينيات من أن تتحوّل إلى مسرح لطرح الخلافات والنزاعات، بل على العكس، لنجعل منها أماكن للاجتماعات والوحدة والوئام.

الاقتداء بسيّد الشهداء سلام الله عليه

إنّ المشاركة والخدمة في المجالس الحسينية فيها ثواب عظيم، ولكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحدّ، فلم يكن يوم عاشوراء مناسبة للندب والتعزية فحسب، بل كان وما يزال وقفة للتأسّي بدروسه والاقتداء بأبطاله، وعليه يجب علينا أن نقتدي بسيد الشهداء سلام الله عليه وأن نتأسّى به في جميع شؤوننا.

إن قضية الإمام الحسين سلام الله عليه تتميز بميزتين هما العَبرة والعِبرة، وهاتان الميزتان متلازمتان. من هنا، فإنّ الذي يحظى بمنزلة أرفع وحرمة أكبر عند سيّد الشهداء سلام الله عليه هو الأقدر على أخذ العِبرة منه سلام الله عليه وذرف الدمعة والعَبَرة عليه، وعلى قدر السعي في هاتين المسألتين يكون الثواب والجائزة، بعبارة أخرى، إن توقّع الإمام الحسين سلام الله عليه من الأفراد يتناسب مع منزلتهم ومقامهم. ولم يهمل المعصومون سلام الله عليهم في رواياتهم هذا الجانب أي منازل الأفراد، حيث يقول الإمام الصادق سلام الله

عليه لأحد أصحابه: *إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منّا ، وإن القبيح من كلّ أحد قبيح وإنّه منك أقبح...* [١].

وفيما يتعلّق بالنقطة الثانية وهي أخذ العبرة من سيد الشهداء سلام الله عليه، فقبل كل شيء يجب أن نعلم لماذا اختار الإمام سلام الله عليه وأبناؤه وأصحابه طريق الشهادة وبهذه الطريقة المفجعة، ولعلّ زيارة الأربعين تجيب عن تساؤلنا حيث جاء فيها: *لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ*[٢]. هنا استخدمت كلمة «عبادك»، وهي لا تخصّ الشيعة وحدهم، بل جميع العباد. في الحقيقة، إن الإمام الحسين سلام الله عليه باستشهاده قد فتح مدرسة العبرة للجميع، ليقارعوا الظلم ويتحمّلوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا طعم السعادة.

فالإمام سلام الله عليه أراد أن ينجي العباد من الجهل والضلال والتيه، فإذا أردنا أن نتقرّب منه أكثر علينا أن نبذل ما نملك في خدمة هذه القضية.

إنّ الإمام الحسين سلام الله عليه استشهد من أجل ثلاثة أهداف: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية، فمن أراد البرهنة على ولائه لسيد الشهداء سلام الله عليه وأهدافه السامية عليه أن يسعى لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة التي استشهد من أجلها الإمام سلام الله عليه، وأن يضعها على رأس أولوياته، لتقرّ عين الإمام الحسين سلام الله عليه والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. ولنعلم بأنّه على قدر هممنا في المضي في هذا الدرب، تكون عنايتهما ولطفهما تجاهنا.

---

(١) العدد القوية لرضي الدين الحلي: ١٥٣.

(٢) التهذيب للشيخ الطوسي: ٦ / ١١٣ ، ح ١٧ .

نور الله

ميزة أخرى للإمام الحسين سلام الله عليه نرويها هنا نقلاً عن كتاب (كامل الزيارات) وهي قول سيدتنا زينب الكبرى سلام الله عليها: *وَلْيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّة الكُفْرِ وَأَشْياع الضَّلالة في محوه وتَطميسِهِ فَلا يَزْدادُ أثره إلّا ظُهوراً وَأَمْرُهُ إلّا عُلوّاً*[1].

إنّ التصدّي والقمع يؤدّيان إلى إضعاف واضمحلال السلطة وأهمّ من ذلك الفكر أحياناً، ولكن بالنسبة لمواكب سيد الشهداء سلام الله عليه كان الأمر على العكس، فكلما كان القمع والضغط يشتدّان، كان نورها يشتدّ ويقوى، وكلما كان عدد المعارضين والمتصدّين لهذه المواكب يزداد كانت المواكب تترسّخ وتصلب.

في الماضي كانت طقوس محرّم والمجالس الحسينية مقتصرة على المناطق الشيعية وأحياناً بعض المناطق الإسلامية، أمّا الآن، وبسبب السياسات التي اتّبعت لمحو هذه الطقوس، نرى أنّ النطاق الجغرافي لإقامة هذه الطقوس والمراسم بدأ يتّسع ليشمل مختلف أرجاء العالم بما فيها البلاد غير الإسلامية، وهذا هو معنى الظهور الوارد في الرواية. ونتيجة لهذا الانتشار، أصبح الذين لم يسمعوا باسم الإمام الحسين سلام الله عليه يتعاطفون معه ومع أهدافه في الثورة ومحاربة الظلم، وبدأوا يدخلون في الإسلام، وأصبحوا هم أنفسهم عاملاً مهمّاً في إقامة هذه الشعائر.

نقطة أخرى تشير إليها السيدة زينب سلام الله عليها أيضاً وهي علوّ الأمر الوارد في الرواية أعلاه (وهو كل ما يرتبط بالمواكب الحسينية). ففي

---

(١) كامل الزيارات: ٢٦٢ الباب ٨٨.

الأيام السالفة كانت مجالس العزاء تقام في المحلات السكنية والحسينيات والتكايا و...إلخ، فكان الحاضرون لهذه المراسم هم الذين يشهدون وقائعها، أما اليوم، وفي ظل التقدّم الكبير في وسائل الاتصال، يمكن لجميع الناس مشاهدتها عن طريق وسائل الإعلام كالتلفزيون وغيره، وأن يشهدوا وقائعها عن كثب، وهذا هو معنى علوّ الأمر.

سبايا أهل البيت سلام الله عليهم في ساحة المعركة

حينما أراد جيش عمر بن سعد في اليوم الحادي عشر من محرّم اقتياد السبايا إلى الكوفة، كان الإمام السجّاد سلام الله عليه من شدّة ما ألمّ به من مرض لا يقوى على ركوب الناقة، لذلك قاموا بربط رجليه من أسفل بطن الناقة. وعندما اقتيد السبايا من وسط ساحة المعركة، رمت النسوة والصبية بأنفسهم على جثث الشهداء، أمّا الإمام السجّاد سلام الله عليه فلم يستطع فعل ذلك، ويقول في هذا الشأن: *فكادت نفسي تخرج وَتَبَيَّنَت ذلك مني عَمَّتي زينب...*[1].

العقيلة زينب ليست ضمن المعصومين سلام الله عليهم، لكنّها صاحبة «العصمة الصغرى»، ومكانتها تأتي بعد مكانة المعصوم سلام الله عليه مباشرة، لذلك عندما رأت الإمام السجّاد سلام الله عليه يوشك أن يلفظ أنفاسه، تركت جثث الشهداء وتوجّهت إليه سلام الله عليه، وذكرت له بعض الأمور – والتي طبعاً هو أعلم بها– حتى هدأ قليلاً. وقد أخبرت العقيلة زينب ابن أخيها سلام الله عليهما بأنّ هذا الحال لن يدوم، فسوف يأتي زمان يقيم أناس مجالس

---

(١) كامل الزيارات: ٢٦١ الباب ٨٨.

عزاء للإمام الحسين سلام الله عليه ويحيون ذكراه. وهكذا أسكنت روعة قلبه الشريف قليلاً.

أسأل الله ببركة سيّد الشهداء سلام الله عليه – هذا الإمام الهمام الذي هو منشأ البركات في الدنيا والآخرة – أن يوفّقنا أكثر فأكثر على طريق خدمته سلام الله عليه وأهدافه الرفيعة ومجالسه المباركة. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة التاسعة

سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه

استعراض لخطط بني أمية للقضاء على الإسلام
والأدوار العظيمة التي نهض بها الإمام زين العابدين سلام الله عليه
للحفاظ على الرسالة

• تقرير المحاضرة التي كان قد ألقاها سماحته في الثامن والعشرين من محرم الحرام عام ١٣٩٩هـ. ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه آلاف التحية والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.[1]

مقدمة

اتفقت كلمة المسلمين بمذاهبهم المختلفة على أن هذه الآيات المباركة نزلت في أئمة المسلمين، أي أئمة أهل البيت الاثني عشر، وهم علي وبنوه سلام الله عليهم.

ومعنى الآية واضح وهو وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر سلام الله عليهم بعد طاعة الله تعالى، لأن المقصود بأولي الأمر من جعل الله بيدهم أمر المسلمين.

في الآية الكريمة نكتة نقف عندها ثم ننتقل للحديث عن دور الإمام زين العابدين سلام الله عليه.

---

(١) النساء: ٥٩.

لقد كررت الآية المباركة فعل الأمر ﴿أطيعوا﴾ عندما ذكرت وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ولكنها لم تكرره عند ذكر أولي الأمر سلام الله عليهم، فما هو الوجه؟

بتعبير آخر: لماذا لم تقل الآية: (أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) بدون تكرار كلمة (أطيعوا)، ولا قالت: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر) بذكر الفعل (أطيعوا) ثلاث مرات، لأن الذين تجب طاعتهم ثلاثة أيضاً؟

يقول المحققون من المفسرين إن الله تعالى نبّه بهذا التفريق (إذ قال: أطيعوا الله، ثم فصل بين الرسول وأولي الأمر بفعل جديد وقال: وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) إلى أن طاعة الله تختلف عن طاعة من سواه وإن كان ممن تجب طاعته أيضاً كالرسول وأولي الأمر. فدارسو البلاغة والأدب العربي يدركون أن تكرار الكلمة في العطف (كما لو قلت جاء فلان وجاء فلان وجاء فلان) لابد وأن يرمز أو يشير إلى تغيير ما في المعنى، كما أن عدم التكرار (كما لو قلت جاء فلان وفلان وفلان) ينبئ إلى عدم الفرق.

وهنا عندما قال الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فكرر كلمة الأمر بالطاعة للرسول وأولي الأمر بعد ذكر الأمر بالطاعة لله تعالى، فمعناه أن طاعة الله شيء وطاعة الرسول وأولي الأمر معاً شيء آخر، وعدم الفصل بين طاعة الرسول وأولي الأمر بفعل جديد إشارة إلى أنهما من جنس واحد، وتنبيهاً إلى أن الأصل والأساس في الطاعة هي طاعة الله سبحانه، وأن طاعة الرسول وأولي الأمر فرع طاعته عز وجل؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذي خلقنا فجعلنا شيئاً بعد أن لم نكن شيئاً،

وجعلنا ذا أشياء بعد أن لم يكن عندنا شيء، فأعطانا الصحة والقدرة والمال والجاه وكل شيء، وسخّر لنا كل الطاقات التي خلقها في الكون بعد أن أوجدنا من العدم؛ قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾[1]، وسخّر لنا الشمس والقمر والبر والبحر وكل شيء، كما صرّح سبحانه في آيات أخرى[2]، ولهذا يجب علينا أن نطيع الله تعالى لأنه هو الذي خلقنا وأوجدنا ومنحنا كل شيء.

إذن الطاعة في الأساس هي لله سبحانه، أما رسول الله صلى الله عليه وآله فلو لم يأمرنا الله تعالى بطاعته لما كانت واجبة علينا، لأنه صلى الله عليه وآله مخلوق لله كما نحن مخلوقون لله أيضاً، ولكن الفرق بيننا وبينه صلى الله عليه وآله هو أن الله تعالى أمرنا بطاعته، فطاعته أصبحت واجبة ولازمة علينا لأن الله أمرنا بها.

إن طاعة النبي وطاعة الإمام من طاعة الله تعالى. ولو أن الله تعالى أمرنا بطاعة عبد غيرهم لأطعناه.

وهذا هو الحق فنحن إنما نعتقد بإمامة علي بن أبي طالب سلام الله عليهما ونقول بإمامة ولديه الحسن والحسين سلام الله عليهما، وهكذا إمامة سائر الأئمة من أبناء الحسين سلام الله عليهم لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بذلك. ولو أمرنا الله سبحانه وتعالى بطاعة آخرين بدلاً من طاعة علي بن أبي طالب وأبنائه سلام الله عليهم لامتثلنا.

إذاً طاعة الله تعالى أصلية أما طاعة الرسول والإمام فهي طاعة فرعية

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) منها قوله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ لقمان: ٢٠.

تتفرع على طاعة الله. فحيث إن الله تعالى تجب طاعته، وقد أمرنا بطاعتهم، وجبت طاعتهم أيضاً؛ امتثالاً وتنفيذاً لأمره تعالى.

وحيث كانت طاعة النبي والإمام في سياق واحد، لذا لم يفصل الله تعالى بينهما بكلمة (أطيعوا) بل حذفها، خلافاً لطاعته تعالى، فقد فصل بينها وبين طاعة الرسول والأئمة، وكرر الفعل (أطيعوا) بياناً للفرق.

الأئمة نور واحد

لا شك أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، فلابد إذن أن نزيد من معرفتنا به. فنحن في الغالب نعرف الكثير عن الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه؛ من خلال مواقفه وحروبه وشجاعته وخطبه ومختلف أدوار حياته، ونعرف الإمام الحسين سلام الله عليه بجهاده وتضحيته في سبيل الله والحق، وثورته من أجل الإسلام والإبقاء على أحكامه، ولكن بعضاً منا قد لا يعرف عن الإمام زين العابدين سلام الله عليه وسائر الأئمة من ولده شيئاً سوى أنهم أئمة مفترضو الطاعة، مع أن اللازم علينا أن نعرف دور كل إمام منهم، وأن نعلم أن اختلاف معطياتهم وأدوارهم واختلاف أساليبهم في الحياة وطريقة تعاملهم مع الناس والأحداث إنما ينبع من اختلاف الظروف، ومن ثم اختلاف الواجب الديني الملقى على كلّ منهم حسب عصره الذي يعيش فيه.

وحيث كانت العصور متفاوتة، تفاوَت تصرف كلّ إمام حسب عصره، واختلف عن الإمام الذي يعيش في عصر آخر وظروف أخرى.

وهذا ما يفسر اختلاف سيرة الأئمة سلام الله عليهم دون أن يعني أنهم مختلفون فيما بينهم، بل كلهم نور واحد، كما ورد في الحديث الشريف[١].

إن مثل الأئمة سلام الله عليهم ليس كمثل اثني عشر مصباحاً متماثلة بل مثلهم مثل مصباح واحد. وإذا كانوا كذلك فإن ما نلاحظه من اختلاف في سيرهم إنما يعود لاختلاف الأوامر التي تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، بسبب اختلاف ظروفهم، كما نجد مثلاً أن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة تختلف عن حياته في المدينة مع أنه صلى الله عليه وآله رسول لإله واحد ومأمور بتبليغ مهمة واحدة وهي الإسلام، بل إن هذا الاختلاف ملاحظ حتى في آيات القرآن الكريم. فالسور المكية أي التي نزلت في مكة المكرمة، تختلف في طابعها العام عن السور المدنية أي التي نزلت في المدينة المنورة. إن السور المكية تمتاز بغلبة الطابع العقائدي وتعنى بمسائل المعاد والنبوة والإمامة

---

(١) عن جابر قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يحدث أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بمكة قال: سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عز وجل أوحى إلي ليلة أسري بي: يا محمد من خلفت في الأرض على أمتك؟ وهو أعلم بذلك. قلت: يا ربّ أخي. قال: يا محمد، علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب. قال: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فلا أُذكر حتى تُذكر معي، أنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت إلى الأرض اطلاعة أخرى فاخترت منها علي بن أبي طالب فجعلته وصيك، فأنت سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء. ثم اشتققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد إني خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين و الأئمة من نور واحد ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان من المقربين، ومن جحدها كان من الكافرين. يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع ثم لقيني جاحداً لولايتهم أدخلته ناري... مقتضب الأثر لأحمد بن محمد بن عياش، عنه: بحار الأنوار: ٣٦ / ٢٢٢ ح ٢١.

وأصول الدين والعقيدة، فيما تمتاز السور المدنية ببيان أحكام الإسلام وفروع الدين كمسائل التيمم و الوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج والإرث والقضاء والحدود والديات والنكاح والطلاق وسائر الأحوال الشخصية كالعقود والبيع والشراء والمعاملات وما أشبه، دون أن يعني ذلك أن القرآن مختلف بل هو قرآن واحد نزل من عند إله واحد على صدر نبي واحد، ولكن الظروف في مكة كانت تقتضي بأن تعنى الآيات بشؤون العقيدة والأصول فيما كانت ظروف المدينة تناسب بيان التشريعات والأحكام.

فكما أن اختلاف مواضيع سور القرآن لا يعني اختلاف القرآن نفسه، فكذلك الحال بالنسبة للاختلاف الموجود في سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين سلام الله عليهم وإنما هو اختلاف نابع من اختلاف الظروف ومقتضياتها، ولذلك نحن نعتقد أنه لو كان الإمام الحسين سلام الله عليه في مكان الإمام الحسن سلام الله عليه لهادن معاوية بلا شك ولا ريب، ولو كان الإمام الحسن مكان الإمام الحسين لحارب يزيد بن معاوية كما حاربه الحسين، وهكذا الحال بالنسبة لسائر أئمة آل البيت. وهذه حقيقة يدركها كل من له أدنى إلمام بتاريخهم سلام الله عليهم.

دور الإمام السجاد سلام الله عليه

وههنا تساؤل قد يختلج في القلوب، وهو: ماذا كان دور الإمام زين العابدين سلام الله عليه في حياته الشريفة؟

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال آخر وهو: لماذا يجب أن نعرف أدوار الإمام سلام الله عليه وسيرته؟

والجواب: لأن الإمام يعني من ينبغي لنا الائتمام والاقتداء به، يقول الإمام أمير المؤمنين علي سلام الله عليه: *ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه...*[١].

إذن يجب علينا معرفة سيرة الإمام لنهتدي بها ونقتدي به سلام الله عليه.

وفي الحديث أيضاً – عن إمام الجماعة – : *إنَّمَا جُعِلَ الإمامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلا تَخْتَلِفُوا عَلَيْه. فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا... وَ إذا سَجَد فاسْجُدوا...*[٢]

فما الفائدة في أن يكون السجاد سلام الله عليه إماماً لي ولك ولا نعرف عن سيرته شيئاً؟!

من الضروري إذن، أن نقرأ ولو مختصراً من سيرة أهل البيت سلام الله عليهم لتعلّق إسلامنا وإيماننا بمعرفة من أمرنا الله تعالى بطاعتهم.

ومن الكتب الجدير قراءتها كتاب «الصحيفة السجادية» للإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين سلام الله عليهما – هذا الكتاب الصغير الحجم العظيم المحتوى الذي بذل العلماء أعمارهم من أجل سبر أغواره وكشف معانيه ومازالوا– حقيق بأن يقرأ بتدبر وإمعان ليُعرف من خلاله من هو الإمام زين العابدين سلام الله عليه، ومن هم أهل البيت سلام الله عليهم.

أما الجواب على السؤال عن دور الإمام السجاد فهو أنه سلام الله عليه قام بالأدوار الثلاثة التالية:

١ ـ شراء العبيد وتربيتهم تربية إسلامية ثم عتقهم بعد ذلك.

٢ ـ تعليم الناس المسائل الشرعية والأدعية.

٣ ـ تربية الخواص من أهل بيته وأصحابه على الخط الجهادي.

---

(١) نهج البلاغة ٤١٦ رقم ٤٥ من كتاب الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة.

(٢) مستدرك الوسائل: ٤٩٢/٦ باب ٣٩ وجوب متابعة المأموم الإمام.

توطئة: خطط بني أمية للقضاء على الإسلام

ولكن قبل بيان هذه الأدوار والخطط الثلاث للإمام سلام الله عليه لابد أولاً من معرفة الظروف التي كانت تحيط الإمام في ظل حكم بني أمية.

● لقد أنكر الأمويون كلّ ما جاء به الإسلام منذ البداية أي بدءاً من شيخهم أبي سفيان الذي قال في جمعهم بعد أن اطمأن بعدم وجود أحد من غيرهم: «والذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار»[١]، مروراً بابنه معاوية مؤسس الدولة الأموية الذي كان يعمل جاهداً لطمس اسم الرسول صلى الله عليه وآله وصرّح بذلك لأحد ندمائه عندما سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله» فقال معاوية: لا والله إلا دفناً دفناً...[٢] ثم بيزيد الذي أعلنها كفراً وفسقاً وضلالاً فكان فيما قال معلناً بذلك كفره:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل.[٣]

---

(١) قال الشعبي: فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبو سفيان بن حرب: أ عندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا. قال: يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة. (شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٩ / ٥٣ من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان).

(٢) كما مرّ تفصيله في صفحة ١٠٣ – ١٠٤ من هذا الكتاب، وانظر كشف الغمة: ٢ / ٤٤ – ٤٥.

(٣) قال الراوي: ثم دعا يزيد عليه اللعنة بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين سلام الله عليه ويتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلْناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

اللهوف: ٧٩.

ثم بسط مائدة القمار وشرب الخمر في المحفل العام.

أجل، لقد كان يزيد بن معاوية يشرب الخمر ويعمل المنكرات كما كان يفعل ذلك من قبله أبوه معاوية، ولكنه كان -كأبيه أيضاً- يتستر على ذلك، فكان إذا أراد فعل المنكرات خرج من الشام إلى قرية في جنوب لبنان قريبة من النبطية وصور تسمى "حوارين" مازالت موجودة ومعروفة إلى الآن وتبعد زهاء مئتي أو ثلاثمئة كيلو متر عن الشام، ولكنه بعد أن قتل الإمام الحسين صلوات الله عليه تصور أن الجو قد خلا له، وأنه قد حقق أمنيات جدّه وأبيه، ولذلك قام بما قام علناً أمام ملأ المسلمين مدعياً في الوقت نفسه أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ يريد بذلك تشويه صورة الإسلام. وهذه كانت أولى خطط الأمويين في مواجهة الإسلام بهدف القضاء عليه.

● أما الخطة الثانية فتمثلت في العمل ضد أهل البيت سلام الله عليهم ومحاولة فصلهم عن الأمة وتشويه صورتهم، و ذلك من خلال أساليب دنيئة منها سب الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه من على المنابر، روى العلامة المجلسي عن الزمخشري في ربيع الأبرار قوله: إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه قد كان فيما جعلوه سنة
سبعـون ألـف منبـر وعشـرة من فوقهن يلعنون حيدرة[1]

(١) بحار الأنوار: ٣٣ / ١٧٨ ـ باب ١٧ ماورد في معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما ـ .

• أما الخطة الثالثة لبني أمية فتمثلت في محاولة ترسيخ حكمهم بمختلف الطرق وأبشع الأساليب.

يقول أحد الغربيين: إن أقوى الحكومات التي حكمت البلاد الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هي حكومة بني أمية ـ أي إنها كانت أقوى من حكومات العباسيين والعثمانيين والأدارسة والحمدانيين والفاطميين وغيرهم ـ فقد أرسى الأمويون دعائم حكمهم بنحو لا يكون القضاء عليهم أمراً هيناً، ولكنا ـ والقول للباحث الغربي ـ نرى أن هذا الحكم كان أقصر عمراً من كل الحكومات التي تلته، وما ذلك إلا لظلم بني أمية وغيهم وانكشاف حقيقتهم بسرعة.

وكان للإمام زين العابدين سلام الله عليه الدور الكبير في تحطيم حكومة بني أمية، فقد أطلق الإمام الحسين سلام الله عليه الشرارة الأولى وتابع الإمام زين العابدين سلام الله عليه المسار حتى آل الأمر إلى انهيار هذه الحكومة الجائرة وزوالها إلى الأبد.

أدوار الإمام السجّاد سلام الله عليه

ولم يكن دور الإمام زين العابدين مشابهاً لدور أبيه الحسين سلام الله عليهما لأنه لو كان يطلق كلمة واحدة ضد النظام فإنها كانت كفيلة بالقضاء عليه وإنهاء حياته المباركة، ولذلك انتهج سلام الله عليه أساليب أخرى، منها:

١. شراء العبيد و عتقهم في سبيل الله

كان الإمام زين العابدين سلام الله عليه يشتري العبيد و الإماء بكثرة، وكانت عنده بساتين وبيوت كان معظمها ملكاً خاصاً له سلام الله عليه ومن

الأراضي ما وصلته عن جده الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، والتي ساوم عليها معاوية بن أبي سفيان يوم كانت بيد الإمام الحسين سلام الله عليه فرفض أن يعطيها له، مع أن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه كان قد نحلها الإمام الحسن سلام الله عليه ومن بعده للإمام الحسين سلام الله عليه وأنه يحل لمن كانت بيده بيعها إذا احتاج إلى ثمنها، وكانت أراضي واسعة عملت فيها يد أمير المؤمنين سلام الله عليه في الزرع والحرث وإخراج الماء والسقي. وعندما انتقلت ملكية هذه الأراضي إلى الإمام زين العابدين سلام الله عليه استفاد منها في هذا المجال. فكان يملأها بالعبيد والإماء الذين لا عمل لهم، ما خلا القليل الذين يقومون بالخدمة، وكان يهدف الإمام من وراء ذلك أن يشاهدوا سيرته فيتأثروا بها حتى إذا ما حال الحول أعتق منهم من رآه قد اكتسب من أخلاقه وفكره عليه السلام و بلغ تأثره به حداً يؤهله لأن يؤدي دوراً إيجابياً في المجتمع، فكان الإمام سلام الله عليه يخلي سبيل العديد منهم بعتقهم لوجه الله الكريم. فكان هؤلاء العبيد والإماء يتحدثون عن سيرة الإمام وعبادته وزهده وتقواه وينشرون الإسلام الصحيح الذي لمسوه في سلوك الإمام بين الناس. ومن ذلك ما حدثت به إحدى جواري الإمام سلام الله عليه حين قالت: ما فرشت له في ليل فراشاً قط ولا قدمت له في نهار طعاماً قط [1]. أي أن الإمام سلام الله عليه كان صائماً نهاره قائماً ليله.

---

(١) روي في علل الشرايع: ٢٣٢ ح ٩، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، أنّه قال: سألتُ مولاة لعلي بن الحسين عليهما السلام بعد موته فقلت: صفي لي أمور علي بن الحسين عليهما السلام؟ فقالت: أطنب أو أختصر؟ فقلت: بل اختصري. قالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، ولا فرشت له فراشاً بليل قط.

من رأى ليس كمن سمع

ولا شك أن النظر غير السمع، وأن تأثير الأول يفوق تأثير الثاني كثيراً. والدليل على ذلك ما نلاحظه من أن بعض الذين يحضرون مجالس العزاء الحسيني لا يبكون في كل مرة يستمعون المصيبة، وذلك بسبب تكرر سماعهم لتفاصيل المصيبة التي حلّت بالإمام الحسين سلام الله عليه وأهل بيته وأصحابه. فالدموع لا تجري من أعينهم لأن الألم وإن كان يعصر قلوبهم ولكن العصرة لا تبلغ من القوة بحيث تجري الدموع، ولكن لو مثلت لهم الواقعة أو جانباً منها، بل لو جيء بطفل رضيع فقط ورُفع تذكيراً للناس برضيع الحسين سلام الله عليه كما يُفعل في التشابيه عادة، فإن الدموع حينذاك ستنهمر من الأعين بمجرد رؤيتها لهذا الطفل الرضيع! وما ذلك إلا لأن للمنظر تأثيراً يفوق تأثير السمع بمراتب.

هناك مثل يقول: صورة واحدة خير من ألف كتاب. أي لو أنك قرأت عن موضوع ما ألف كتاب، ثم نظرت إلى صورة واحدة عن الموضوع نفسه، فإن التأثير الذي تتركه الصورة يفوق التأثير الذي تركته قراءة ألف كتاب؛ لأن الأثر الذي تتركه الصورة في نفسك قد لا ينمحي أبداً في حين أن الأثر الحاصل من القراءة قد لا يستمر لأكثر من أشهر أو أعوام على أكثر تقدير!

إذا اتضح هذا، نقول: إن الإمام زين العابدين سلام الله عليه كان يأتي بهؤلاء العبيد لكي يتعلّموا عبادته وتقواه حين يبصروه بأعينهم فيتأثروا بهما، ويعكسوا ما شاهدوه بدورهم إلى المجتمع حين يعتقهم الإمام سلام الله عليه.

يقول أحد أصحاب الإمام زين العابدين سلام الله عليه: نظرت إلى الإمام وقد وقف إلى الصلاة فلما كبّر وقفت كل شعرة في بدني[١]، أي أن تكبيرة الإمام وحدها كافية لخلق التحول والتغيير لدى من يراه!

إننا لم نشاهد كيف كان يكبّر الإمام ولا أسلوبه في القراءة، ولكن هذه الأمور الصادرة عن المعصوم سلام الله عليه جديرة بأن تغيّر الإنسان حقاً، وإلا لما كان هؤلاء العبيد والإماء وغيرهم يتأثرون ويتغيّرون، ثم يخرجون للناس يحملون معهم يواقيت الحكمة ولآلئ الأخلاق.

إننا نكبّر للصلاة أيضاً ولكن تكبيرة الإمام تختلف عن تكبيرتنا من حيث الإخلاص والخشوع، ولذلك تترك ذلك التأثير الذي عبّر عنه الراوي الرائي لتكبيرة الإمام سلام الله عليه.

آية الله البروجردي مثالاً

لقد أسس آية الله البروجردي رحمه الله مركزاً إسلامياً في مدينة هامبورغ في ألمانيا، وبعث مبلّغاً دينياً هناك.

---

(١) روى النوري في مستدرك الوسائل: ٣ / ٤١١، عن أَبي حَمْزَةَ الثُّماليِّ قال: بَيْنَا أَنَا قَاعدٌ يَوْماً في الْمَسْجد عند السَّابعة إذا برجُلٍ ممَّا يلي أَبوابَ كِنْدَةَ قَدْ دَخَلَ، فَنَظَرْتُ إلى أَحْسَنِ النَّاس وَجْهاً وأَطْيَبِهمْ ريحاً وَأَنْظَفهمْ ثَوْباً مُعَمَّم بلا طَيْلَسَانَ وَ لا إزار، عَلَيه قَميصٌ ودُرَّاعَةٌ وعمامةٌ وفي رجلَيه نَعْلان عَرَبيَّان، فَخَلَعَ نَعْلَيْه ثُمَّ قَامَ عندَ السَّابعَة ورَفَعَ مُسَبِّحَتَيْه حَتَّى بَلَغَتَا شَحْمَتَيْ أُذُنَيْه ثُمَّ أَرْسَلَهُمَا بالتَّكْبير، فَلَمْ تَبْقَ في بَدَني شَعْرَةٌ إلاَ قَامَتْ، ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَات أَحْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وسُجُودَهُنَّ وَقَالَ: إلَهي إنْ كُنْتُ قَدْ عَصَيْتُكَ... الدُّعَاءَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. فَتَأَمَّلْتُهُ فَإذَا هُوَ مولايَ زَيْنُ الْعَابدينَ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْن عليه السلام فَانْكَبَبْتُ عَلَى يَدَيْه أُقَبِّلُهُمَا. فَنَزَعَ يَدَهُ منِّي وأَوْمَأَ إلَيَّ بالسُّكُوت. فَقُلْتُ: يا مَولايَ أَنَا مَنْ قَدْ عَرَفْتَهُ في ولائكُمْ، فَمَا الَّذي أَقْدَمَكَ إلَى هَاهُنَا؟ قَال: هُوَ لمَا رَأَيْتَ.

قيل: فطُلب من هذا المبلّغ في هامبورغ أن يعطيهم صورة للسيد البروجردي لعرضها في (التلفزيون). ففكر المبلّغ أي صورة ستكون مؤثرة جداً لو عرضت، وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيد وهو يتوضأ لأنها ستكون مؤثرة جداً في نفوس مشاهديها؛ لما تعكس من خشوع السيد حال تهيئه للقاء الله تعالى في الصلاة.

لا شك أن أفعال الوضوء التي يأتي بها السيد البروجردي لا تختلف عن الأفعال التي يؤديها سائر المتوضئين من المسلمين ممن هم على مذهب أهل البيت سلام الله عليهم على الأقل.

يقول هذا المبلّغ: ما إن عرض هذا الفيلم الذي يصوّر وضوء السيد البروجردي حتى أثار في نفوس المشاهدين روح الحب والولاء، وأسلم في اليوم نفسه عشرة من النصارى ممن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هذا تأثير مشاهدة صورة وضوء السيد البروجردي – وهو بمثابة تلميذ تلميذ تلميذ الإمام زين العابدين سلام الله عليه – فكيف بالتأثير الذي يتركه سلوك الإمام نفسه على من يشاهده؟!

مثال آخر

لقد رأيت بنفسي في مدينة كربلاء المقدسة قديماً أحد المراجع رحمه الله وكان شيخاً مسناً ذا لحية بيضاء، إذا حضر مجالس العزاء في أيام محرم الحرام يبكي قبل أن يبدأ الناس بالبكاء، لأنه كان رجلاً بكّاءً شديد التألم لما حلّ بالإمام الحسين سلام الله عليه، ولكنه كان يحبس بكاءه فلا يبكي بصوت عال فكان يبدأ البكاء عادة والخطيب بعد في أول ذكر المصيبة، فكان يبكي بصوت خافت ولكن وجهه كان يحمر وأكتافه

تتحرك وجسمه كلّه يهتز، وعيناه تهملان بالدموع، فكان كل من يراه ـ وأنا من جملتهم ـ يتأثر لبكائه فيبكي، فكان الناس يبكون لهذه الصورة أكثر مما يبكيهم ما يذكره الخطيب!

فإذا كان لهذا العالم المسنّ كل هذا التأثير في من يراه، فكيف بالإمام زين العابدين سلام الله عليه وهو جبل العلم والتقوى؟ فلا عجب أن تكون نظرته مؤثرة، وتكبيره مؤثراً، بل لابد أن يكون مؤثراً في كل حركة من حركاته بل حتى في سكونه.

مع الإمام مرة أخرى

لقد كان الإمام زين العابدين سلام الله عليه يستطلع أحوال عبيده وإمائه في كل عيد، وربما في بعض أيام الجمع. فإن وجد فيهم من بلغ تأثره وتلقيه حداً مناسباً، بادر إلى عتقه وتحريره في سبيل الله تعالى. ومن الطبيعي أن أكثر هؤلاء العبيد لم يكونوا من أهل المدينة بل كانوا كفاراً في الأصل من بلاد أجنبية أسروا في الحروب الإسلامية وجيء بهم إلى المدينة، فاشتراهم الإمام سلام الله عليه. فكان كل فرد منهم يعتقه الإمام سلام الله عليه يعود إلى بلده، وكان بعضهم يذهب إلى الشام وآخرون يذهبون إلى العراق وجماعة إلى اليمن أو البحرين والحبشة وغيرها، وكلّهم يحملون الولاء لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام. فكانوا مبلّغين أشدّاء للإسلام ولآل البيت سلام الله عليهم.

وهكذا عمل الإمام سلام الله عليه على هذه الطريقة طيلة عمره الشريف يخرّج الدعاة العاملين ويصنع الوعاة والمحبين وينشر المبلّغين الصادقين في ربوع البلاد الإسلامية وغيرها.

وهكذا استطاع سلام الله عليه أن يقوّض حكم بني أمية بأمور أحدها هذا، دون أن يخوض حرباً عسكرية ضدهم لأنه لم يكن بإمكانه أن يجرّد السيف في ظل تلك الظروف البالغة الشدة والقساوة.

٢. تخريج الفقهاء والعلماء

الدور الثاني الذي نهض به الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو أنه ربّى فقهاء حملوا على عاتقهم حفظ شريعة الإسلام. ولقد خطط الإمام سلام الله عليه لتربيتهم بنحو يكونون مرضيين عند الخاصّة والعامّة جميعاً. ولو راجعتم كتاب المراجعات للسيد شرف الدين رحمة الله عليه لرأيتم أنه يذكر قائمة بأسماء مئة شخصية من أصحاب الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ممن وردت أسماؤهم في الصحاح الستة للعامة، أي من المعتمدين لديهم. ولو دققتم النظر فيهم لاكتشفتم أن أكثرهم من تلاميذ الإمام زين العابدين سلام الله عليه ومن خرّيجي مدرسته المباركة ، الأمر الذي يشير إلى أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه عني بهؤلاء الفقهاء ورباهم تربية خاصة لكي يعتقد بهم علماء العامة أيضاً.

ومن هؤلاء الفقهاء: أبو حمزة الثمالي الذي يُنسب إليه دعاء الإمام زين العابدين سلام الله عليه في أسحار شهر رمضان المبارك المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي. فلقد كان أبو حمزة – وهذه كنيته أما اسمه كما في كتب الرجال فهو ثابت بن دينار – بطلاً في العلم والزهد، ومن الذين يعتمد عليه حتى علماء غير الشيعة من سائر المذاهب. ويقول عنه أصحاب الأسانيد في كتبهم إذا ورد اسمه: عالم، ورع، تقي، زاهد، عدل

ثقة، وأمثال هذه الكلمات.

نختصر فيما يلي تجنباً للإطالة، ونعيد التذكير بأن الإمام سلام الله عليه استطاع من خلال هذه الأدوار تقويض حكم بني أمية الذي كان أقوى الحكومات ولكنه صار أقصرها عمراً، وما ذلك إلا بسبب شدة ظلمها وانحرافها، وكذلك للدور العظيم الذي نهض به الإمام سلام الله عليه في القضاء عليهم وفي نشر الإسلام الأصيل بدل الإسلام الأمويّ.

يقول الإمام الصادق سلام الله عليه بعد أن يذكر عدداً من أمثال أبي حمزة: *أنه لولا هؤلاء لاندرست آثار النبوة*[1]. فهؤلاء هم الذين حفظوا آثار النبوة وأبقوا على أحكام الإسلام ونشروا مبادئه وتعاليمه وزرعوا حب آل البيت سلام الله عليهم في النفوس.

٣. رعاية الخط الجهادي

إلى جانب تأهيل العبيد، وإعداد العلماء، عمل الإمام زين العابدين سلام الله عليه على تربية مجاهدين من أمثال ابنه زيد وحفيده يحيى وغيرهما من أولاد عمه الإمام الحسن سلام الله عليهم، فثار هؤلاء المجاهدون الأبطال في وجه حكومات بني أمية المتعاقبة حتى انتهى الأمر إلى تقويضها وانهيارها وزوالها بفضل نهج الإمام زين العابدين سلام الله عليه وإرشاداته.

فذلكم هو الإمام زين العابدين سلام الله عليه، في جانب من سيرته العطرة ودوره وجهاده، فحريّ بنا أن نتعرف على ذلك كله وأن نسير بسيرة

---

(١) فرائد الأصول للأنصاري: ١ / ٣٥٤.

الإمام سلام الله عليه، فإن نحن فعلنا ذلك فمعناه أننا استطعنا أن نساهم في إبقاء الإسلام وإدخال الناس إلى حظيرة الدين والعقيدة الإسلامية الحقّة وخط أهل البيت سلام الله عليهم الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله في كتابه حيث قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة العاشرة

الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه

منـّة الله على مستضعفي الأرض

في ضوء الآية الكريمة

«ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمّة...»

• ألقيت هذه المحاضرة في الأول من شعبان عام ١٣٩٨ هـ بمناسبة ذكرى ميلاد منقذ البشرية الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه في الخامس عشر من الشهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمّة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1].

هاتان الآيتان المباركتان من الآيات الواردة في صاحب الزمان المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه وعجّل الله تعالى فرجه الشريف. يشهد على ذلك - إضافة إلى الأحاديث الكثيرة المرويّة في تفسير الآية[2] - ما تحمله الآية نفسها، ونعنونه في النقطتين التاليتين:

---

(١) القصص: ٥ - ٦.

(٢) عن الإمام محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن جده أمير المؤمنين سلام الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ قال: هم آل محمد يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذلّ عدوّهم. ذكره الطوسي في كتاب الغيبة: ١١٣.

أ. التأكيد على المستقبل

قد لا تجد في القرآن الكريم كلّه آية مشابهة لهاتين الآيتين من هذه الجهة؛ حيث بلغ عدد أفعال المستقبل فيهما – على قصرهما – ستّة أفعال، وهي (ونريد.. أن نمنّ.. ونجعلهم أئمّة.. ونجعلهم الوارثين.. ونمكّن لهم.. ونري..).

وما هذا التكرار في استعمال صيغة المستقبل إلاّ للتأكيد على أنّ هذا الفعل سيقع في المستقبل وأنّ وقته لم يحن بعد، فهو لم يصدر في الماضي ولا هو صادر في الحاضر، بل إنه سيصدر في ما يأتي من الزمان ويقع لاحقاً وفي المستقبل.

ب. شمول دائرة المنّة لكلّ أهل الأرض

لقد نهانا الله عن المنّة فقال يخاطب نبيّه الكريم: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾[1]. أي أنّك لو تصدّقت بمليون دينار على الفقراء – مثلاً – فلا تستكثرها ولا تمنّ في ذلك.

وقال – يخاطب المؤمنين – في آية أخرى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذىً﴾[3].

وحيث إنّ الله تعالى نهانا عن المنّة، نراه سبحانه لم يستعمل تعبير

---

(١) المدثر: ٦.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) البقرة: ٢٦٢.

المنّة – في القرآن الكريم – في ما تفضّل به على عباده، إلاّ في حالات محدودة؛ منها:

الحالة الأولى: على أنبيائه سلام الله عليهم حيث قال عزّ من قائل مخاطباً نبيّه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله: ﴿**ولقد منَنّا عليك مرّة أخرى**﴾[١].

وقال في آية أخرى يمنّ على نبيّيه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام: ﴿**ولقد منَنّا على موسى وهارون**﴾[٢].

الحالة الثانية: منّ الله فيها على المؤمنين في مورد واحد فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً**﴾[٣].

فقد توسّعت الدائرة هنا وجُعلت المنّة على المؤمنين ببعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

الحالة الثالثة: على أهل الأرض كلّهم، أي أنّ الدائرة هنا أصبحت عامّة وشملت كلّ البشرية، حيث لم يحدّد سبحانه الذين يمنّ عليهم بالمستضعفين من الأنبياء ولا من المؤمنين بل قال: ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض**﴾.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا غيّر الله تعالى الأسلوب في الحالة الثالثة، فعندما تحدّث عن بعثة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قال: ﴿**لقد منّ الله على المؤمنين**﴾ ولكن عندما وصل الدور في هذه الآية إلى صاحب العصر والزمان المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف وسّع من إطار منّته (تعالى) حتى شملت كلّ الكرة الأرضية؛ إذ قال: ﴿**ونريد أن نمنّ على**

---

(١) طه: ٣٧.

(٢) الصافات: ١١٤.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

الذين استُضعفوا في الأرض﴾ مع أنّ لكلّ كلمة واستعمال في القرآن غاية وأبعاداً ينبغي التوقّف عندها؟!

والجواب واضح، وهو أنّه لم تعمّ منّة الله على أهل الأرض كلّهم حتى اليوم، فمازال حتى الآن وفي كلّ مكان وزمان أُمم وألوف بل ملايين من الناس لم تبلغهم حجّة الله وأحكام دينه ولا عرفوا الله عزّ وجلّ. فهناك اليوم أكثر من ثلاثة آلاف مليون غير مسلم على وجه الكرة الأرضية، فهل تمّت منّة الله عليهم؟ كلاّ بالطبع؛ إذ بأيّ شيء منّ الله عليهم؟ هل بالمال ولا قيمة له عند الله تعالى ولا ذُكر بعنوان المنّة؟ أم بالوجود البحت ولا قيمة له عند الله أيضاً، وكذا الصحّة وكلّ الدنيا؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يخبرنا: *إنّ الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة*[1].

إنّ الشيء الذي له قيمة عند الله تعالى ومنّ به على البشر هو معرفته سبحانه وتعالى؛ وأن يعرف الإنسان لماذا خُلق ومن أين أتى، ولماذا جاء إلى هذا الوجود، وإلى أين سينتهي!

ولذلك نلاحظ أنّ الله تعالى لم يمنّ على الناس لأنّه أعطاهم الصحّة، ولا يمنّ على من يدخلهم الجنة، بل قال تعالى: ﴿فمَن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنّة فقد فاز﴾[2]، في حين نراه منّ على المؤمنين ببعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فحقّ لنا أن نسأل: ما هو هذا الأمر الذي يستوجب منّة الله على

---

(١) راجع مستدرك الوسائل: ٢ / ٤١٩ باب ٦٤: استحباب الصبر على البلاء.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

الناس كلّهم كما استوجب المنّة على المؤمنين خاصة ببعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؟ أليس في هذا إشارة إلى الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّه كجدّه الرسول صلى الله عليه وآله تماماً إلاّ في مقام النبوّة؟!

فإن قيل: لماذا يمنّ الله على مستضعفي الأرض كلّهم بظهوره؟

نقول: لأنّ المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف يحقّق النتيجة النهائية التي أرادها الله تعالى من وراء بعثة الرسل والأنبياء كلّهم من لدن آدم حتى الخاتم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ومن الطبيعي أن تقرن هذه النتيجة العظمى بالمنّ كما قرنت ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

خلاصة الدليل

تبيّن إذن أنّ الله تعالى لم يذكر المنّة في القرآن الكريم إلاّ في عدّة مواضع؛ الأوّل على أنبيائه في آيتين، والثاني على المؤمنين وكلها وردت بصيغة الماضي (لقد منَنّا.. ولقد منَنّا.. لقد منّ الله على المؤمنين..) لكن هنا (في آية القصص) تبدّلت الصيغة إلى زمان المستقبل، وكانت المنّة شاملة لكلّ أهل الأرض.

وهكذا نرى أنّ هذه الآية المباركة هي من الآيات الواردة في شأن الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، كما تؤيّد ذلك الأحاديث الشريفة[1].

---

(١) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فلما نظر إليّ قال: يا سلمان... ليحضرن إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان محضاً، ومحض الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والتراث ولا يظلم ربك أحداً، ويجرى تأويل هذه الآية ﴿ونريد ان نمنّ على الذين استضُعفوا في الأرض...﴾ الآية. مقتضب الأثر لأحمد بن عياش الجوهري: ٧.

الإمام عجّل الله تعالى فرجه ناظر إلينا

إنّ الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يرانا ويرى أعمالنا كما ورد في تفسير قول الله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[١].

وفي الروايات أنه عجل الله تعالى فرجه الشريف *مؤيّد بروح القدس، بينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد، وكلّ ما يُحتاج إليه*[٢].

فهو يرى كلامنا وأجسامنا وكلّ ما يظهر منّا، ويرى كذلك ما وراء الكلام والأجسام والسطور كالفكر والنوايا، ويعرف فيما إذا كانت نيّاتنا وأفكارنا لله أم لغيره.

ما يحول دون تشرّفنا بلقاء الإمام المهدي عجّل الله فرجه

إنّ موضوع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من المواضيع العميقة والواسعة وهو متشعّب الجوانب كثير الفروع، الأمر الذي يتطلّب من كلّ منّا أن يزيد من مطالعاته في هذا الموضوع الهام، لكنّي أحببت أن أثير سؤالاً في هذا المجال، وهو: إذا كان الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف موجوداً بين ظهرانينا - كما هو الحق - فلماذا لا نراه مع أنّه يرانا صلوات الله وسلامه عليه؟.

في جواب هذا السؤال أذكر لكم قصّة رواها المرحوم والدي تعود

---

(١) عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ قال: هم الأئمة. الكليني في الكافي: ١ / ٢١٩ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١١٧ باب ٤ - جامع في صفات الإمام...

إلى الأيّام التي كان يعيش فيها في سامرّاء العراق:

يقول السيد الوالد رحمه الله: كان أحد العلماء يكثر من ارتياد سرداب الغيبة في أيام الجمع وغيرها، يخلو فيه .. يقرأ دعاء الندبة والعهد وزيارة صاحب الزمان ويدعو الله بفنون الدعوات على أمل اللقاء بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يحكي والدي عن هذا العالِم أنّه قال:

مرّ زمان وأنا على هذه الحال أرتاد السرداب مشتاقاً لرؤية صاحب الزمان صلوات الله عليه. وفي أحد الأيام وبينما أنا جالس وحدي - ولم يكن في السرداب أحد غيري - منشغلاً بالدعاء والمناجاة، مفكّراً في حالي وأنّ المدّة قد طالت وأنا مواظب على الحضور إلى هذا المكان دون أن أوفّق للقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، متسائلاً مع نفسي عن السبب الذي يحول دون تشرّفي برؤيته، قائلاً: ما هو ذنبي ولماذا لا يمنّ عليَّ الإمام بشرف رؤية طلعته؟... وبينما أنا ساهم في هذه الحالة إذ أُلهمت بأنّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف سيدخل السرداب حالاً، ولقد وقع هذا الموضوع في قلبي على نحو اليقين لا وقوع تخيّل أو مجرّد تصوّر، بل عرفت ذلك من ضميري وأيقنت -بوجداني- أنّ الإمام سيدخل السرداب الآن، وشعرت أنّي سأوفّق للقائه.

ولكن ما إن عرضت لي فكرة قرب التشرّف والتوفيق للقاء الإمام حتى تملّكتني هيبة عصرتني عصرة لم أشعر معها إلاّ وأنا خارج من السرداب متسلقاً درجات السلّم.. وبدأ قلبي يدقّ بشدّة. فأدركت أنّه لم يحن بعد الوقت الذي أكون لائقاً ومؤهّلاً للقاء الإمام الحجّة عجل الله فرجه.

قصة الرجل المحبّ للضيف

ولكي أوضّح لكم الموضوع أكثر أنقل لكم الرواية التالية:

يحكى أن رجلاً شكا إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه يحبّ إقراء الضيف لكن زوجته تكره ذلك وتعكّر عليه، فقال صلى الله عليه وآله قل لها: *إنَّ الضَّيْفَ إذَا جَاء جَاء بِرِزْقِهِ وإذَا ارتَحَلَ ارتَحلَ بِذُنُوبِ أَهْلِ البيتِ*[1].

أي أن الله سيضيف في رزق أهل ذلك البيت ما ينفقونه في إقرائه، ثم إذا انصرف عنهم بعد ذلك وارتحل ارتحلت ذنوبهم معه.

يقال: إن الرجل عاد ثانية إلى النبي صلى الله عليه وآله وأخبره أن ذلك لم ينفع معها. وهنا أمره النبي صلى الله عليه وآله أن يمسح بيده على وجهها إذا حلّ الضيف.

وفعَل الرجل ذلك، فأصبحت المرأة تتمنى إقراء الضيف بعد ذلك؛ لأنها رأت الأمور التي أخبرها بها زوجها عن النبي صلى الله عليه وآله على حقيقتها، بعد أن مسح على وجهها بأمر النبي صلى الله عليه وآله، أي رأت الضيف عندما يدخل الدار ترافقه أنواع الأطعمة والفواكه، وعندما يخرج تخرج معه الأوساخ والعقارب والحيّات مثلاً.

نستفيد من هذا الحديث أموراً عديدة؛ منها أمران لهما صلة بموضوعنا وهما:

الأمر الأوّل: الولاية التكوينية لرسول الله صلى الله عليه وآله. فمع أنّه صلى الله عليه وآله لم يقم هنا بفعل، فلم يمسح بيده الشريفة على وجه المرأة مثلاً بل أمر الزوج أن يمسح هو بيده على وجهها، مع ذلك أثّر في تكوين المرأة،

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٦ / ٢٥٩ ح ١١ باب ٢٣: كراهة كراهة الضيف.

أي أنّ أمر النبي صلى الله عليه وآله وكلامه يكفي لتغيير الكون، ولا حاجة حتى لفعله المباشر، بل تكفي إرادته وقوله. والإمام كالنبي في هذا.

الأمر الثاني: هو أنّ الذنوب قاذورات وأوساخ وحيّات وعقارب تحيط بنا من الرأس إلى القدم وتكون مانعاً من تشرّفنا بلقاء صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أي أننا لا نكون جديرين بسببها للقائه عليه السلام فنحرم هذا التوفيق.

ويمكن تقريب هذا الموضوع بمثال:

لو أنّ رجلاً دقّ عليك الباب وأنت في غرفتك. وعند فتحك الباب رأيته كريه المنظر والرائحة لكثرة ما علق به من قاذورات ونجاسة وأوساخ وديدان وعقارب وحيات.. فهل ستسمح له بالدخول إلى المكان النظيف الذي تجلس فيه؟ كلاّ بالطبع.

هذا يعني أنّك لو كنت في مكان صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لما أذنت بلقاء رجل يحمل كلّ هذه القاذورات العالقة بلسانه وعينه وأذنه وأنفه ويده ورجله وبطنه وفكره – وهي الذنوب – .

عرفنا إذن لماذا لا نرى الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكلّ المشكلة تكمن هنا.. فينا نحن.

إنّ ذلك العالِم الديني تهيّب للقاء الإمام فلم يره. أما كثير منا فلم يصل حتى إلى هذه الدرجة، فذلك الرجل العالِم كان قد قطع شوطاً للقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وفينا من لم ينتهج الطريق بعد.

وكما أنّك تطلب من الشخص المنتن الذي أتى لزيارتك أن يذهب أوّلاً ويزيل عنه الأوساخ والقاذورات ويرمي العقارب والديدان عنه ثم تقول له: تفضّل أهلاً وسهلاً فبابنا مفتوح لك، فكذلك الإمام صاحب

الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف فاتح بابه لكلّ إنسان ولكنه يطلب منّا أن نتطهّر أوّلاً ثمّ نأتي للقائه.

إن الأرواح النجسة غير لائقة للقاء الإمام، والأعين الخطّاءة لا تستحقّ أن تطلّ على حضرته، والآذان المليئة بالمعاصي غير جديرة بسماع صوته، وأنّى لهذه الشفاه التي صدرت من بينها آلاف المعاصي أن تتشرّف بتقبيل يديه!

وإلاّ فلِمَ لا يسمح لنا الإمام بلقائه وهو أهل الكرم والجود؟ ألم يلتقِ السيد الفلاني والشيخ الفلاني والبقّال الفلاني والعطّار الفلاني بل وأشخاصاً أمّيين لا يعرفون القراءة والكتابة، فلماذا لا يسمح لي ولك نحن المتعلّمين؟ إن الذنوب هي التي تحول دون لقائنا بالإمام، فإنّ الإمام لا ينظر إلى أبداننا بل ينظر إلى قلوبنا وأرواحنا وعقولنا.

فلنعاهد الله في هذه المناسبة أن نبدأ بسلوك الطريق؛ فلعلّنا نبلغ المقصود بعد زمان طال أو قصر، فإنّ من سلك الطريق لابدّ وأن يصل، وصاحب الزمان عليه الصلاة والسلام يعرف عن قلبك وقلبي إن كنّا سالكي الطريق حقّاً أم لا؛ فإن علم صدقنا فسيأخذ بأيدينا. ولو أنّ أحدنا تقدّم إليه بمقدار خمسة في المئة من الطريق فإنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف سيتقدّم إليه في الباقي ويفتح له ذراعيه، ولكن علينا أن نجعل أنفسنا أهلاً لذلك.

ذكرى المولد فرصة لمراجعة أنفسنا

لنعاهد الله سبحانه وتعالى على أن نكون عند مرور ذكرى مولد الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، في كلّ سنة أحسن من السنة السابقة. ولنبدأ الطريق بأن يسعى كلّ منا لتقليل نقاط ضعفه وإصلاح نفسه، فلو

أصلحنا أنفسنا فإنّ صاحب الزمان هو الذي سيأتي إلينا قبل أن نذهب إليه.

لنخطّط لأرواحنا قبل أن نخطّط لبطوننا وأيدينا وبيوتنا وأهلينا ولنسرْ قليلاً بهذا الاتّجاه لنحظى بلقيا المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ختاماً: بودّي أن أذكر شيئاً عسى أن نكون بذلك قد قدّمنا خدمة ولو صغيرة لمولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فلعلّ كثيراً من الشيعة لا يعلم شيئاً عنه صلوات الله وسلامه عليه، والذنب في ذلك يعود علينا نحن المتعلّمين.

إننا بحاجة إلى مليارات النسخ من المطبوعات عن الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ فإنّ نفوس العالَم لم تعُد بالملايين بل بلغت المليارات، فليخصّص كلّ واحد منكم منذ الآن مقداراً من المال يطبع فيه كتاباً عن صاحب الزمان، ولا مانع من طلب العون من أهله وأقربائه ومن زوجته وابنه وأخيه وأخته في هذا المجال بأن يضع سهماً من عنده وأسهماً من أقربائه وأصدقائه ثمّ يقوم بطبع الكتاب ولا يُشترط أن يكون الكتاب ضخماً فكلٌّ حسب سعته. وإذا لم تستطع أن تعطي مبلغاً خلال يوم فقد تستطيع أن تعطيه خلال شهر وقد تستطيع من خلال الاستعانة بأهلك وأقربائك وأصدقائك.

فهذا شيء بسيط وأقلّ ما يمكن أن نقوم به لخدمة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المحاضرة الحادية عشرة

في ذكرى ميلاد منقذ البشرية المهديّ المنتظر عجّل الله فرجه الشريف

لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل

من خلال الحديث الشريف

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»

- ألقيت المحاضرة في ليلة النصف من شعبان عام ١٤٢٣ هـ ، ذكرى ميلاد منقذ البشرية الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

في هذه الأيام من شهر شعبان المبارك، التي تنتسب للمولى صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أودّ الإشارة لموضوعين؛ الأوّل: يتعلّق بمعرفة الإمام سلام الله عليه وعلى آبائه، والآخر: يتعلّق بنا وبمسؤوليتنا وواجبنا في عصر الغيبة.

١ ـ لنعرف إمامنا أكثر

أمّا الموضوع الأوّل فقد روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: *مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية*[١].

فكما تكون الميتة الجاهلية، على كفر وشرك وإلحاد؛ لأنّها ليست في ظلّ الإسلام، فكذلك تكون حال مَن يموت ولا يعرف إمام زمانه، أي يموت وحكمه حكم المشرك والملحد والكافر.

---

(١) رجال الكشي: ٢٦٦ – ٢٦٧، عنه بحار الأنوار: ٢٣ / ٨٩ ح ٣٥، باب وجوب معرفة الإمام.

قضية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه من الأمور المسلّمة

إنّ البحث العلمي حول هذا الموضوع واسع ومتشعّب، ولكنّي لا أريد التعرّض إلى تفاصيله. فأصل وجود المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومعرفته بصفته إماماً مفترض الطاعة، يُعدّ من أصول الإسلام، وهو من الأمور المسلّمة والمتواترة. وإذا ما بلغ أمرٌ حدّ التواتر، فإنّ الجدال فيه يكون من باب السفسطة وإنكار الوجدانيات[١].

إنّ المولى سيشرّفنا بحضوره إن شاء الله تعالى، ويظهر للناس كافة، ويعلن للعالم أنّه المهديّ من آل محمّد صلّى الله عليه وعلى آبائه الطيّبين أجمعين. فكيف سيكون حاله سلام الله عليه في ذلك اليوم المبارك؟ وكيف سيكون حال الناس؟!

إنّه يصدع بالحكمة والموعظة الحسنة

قال الله تعالى يخاطب نبيّه الكريم: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٢]. فمن صفات الرسول صلى الله عليه وآله أنّه يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

هذا التعبير نفسه، وهاتان المفردتان عينهما (الحكمة والموعظة الحسنة) وردتا في زيارة الإمام المهدي المرويّة عن المعصوم سلام الله عليه

---

(١) هناك أشخاص تضخّمت عندهم قوة التخيّل حتّى صاروا ينسبون كلّ شيء إلى الخيال وينكرون الوجدانيات والأمور المتعلّقة بالعلم الوجداني كالمتواترات؛ فلا شيء عندهم يسمى العلم؛ وإنكارهم لوجود المولى صاحب الزمان من هذا القبيل، أي هو إنكار للوجدانيات والمتواترات. (عنه، دام ظلّه).

(٢) النحل: ١٢٥.

حين يصفه بأنّه *الصادع بالحكمة والموعظة الحسنة*[١].

فهو كجده صلى الله عليه وآله، يصدع بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويسير بسيرة جدّه أمير المؤمنين سلام الله عليهما

روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال: *إنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب عليّ عليه السلام وسار بسيرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام*[٢].

وتقول الروايات أيضاً: *إنّ علياً سار بالمنّ والكفّ*[٣]، أي أنّه سلام الله عليه كان لا يعاقب بل يمنّ.

فإذا أردتم أن تعرفوا سيرة الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف في التعامل مع الأصدقاء والأعداء فانظروا إلى سيرة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه. فهذا تاريخه صلوات الله عليه بين أيديكم دوّنه الشيعة والسنّة والنصارى واليهود وغيرهم في صفحات مشرقة.

لقد كان أمير المؤمنين سلام الله عليه يدفع مَن ناهضه وبارزه بالنصح والموعظة ما أمكن، وكان يسعى للحؤول دون وقوع الحرب وإراقة الدماء، سواء عن طريق المواعظ الفردية والجماعية أو غيرها.. ولكن إذا وصل الأمر بالطرف الآخر أن يهجم ويريد القتال قام الإمام بدور الدفاع لا أكثر، ولكن ما إن يتراجع الخصم أو ينهزم حتّى يتوقّف الإمام عن ملاحقته ولا يسعى للانتقام منه، ولم يروَ أن الإمام بدأ أحداً بقتال أبداً.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٩ / ١٠٢ باب زيارة الإمام الحجة بن الحسن صلوات الله عليه.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧ / ٥٤ ح ٩٢ ـ باب ٣ النص عليه صلوات الله عليه ـ .

(٣) بحار الأنوار: ٥٣ / ٣٥٣ باب ٢٧ – سيره وأخلاقه – .

وهذا الأمر مشهود في تاريخ أمير المؤمنين سلام الله عليه.

ومع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يصرّح له بالقول: *يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي*[١] نلاحظ أنّ الإمام سلام الله عليه لم يأسر حتّى فرداً واحداً من أعدائه، ولا صادر أو سمح لأصحابه بمصادرة أيّ شيء من أموال الخصم وإن كان ذلك الشيء رخيصاً أو عديم الثمن.

تروى في هذا المجال أمور لا نظير لها، في التاريخ، ولا في الحاضر ولا في الآتي من الزمان، إلاّ ما كان عن الإمام أمير المؤمنين وما سيكون من الحجّة المنتظر سلام الله عليهما.

فقد روي أنّ الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه لم يسمح بمصادرة حتّى «ميلغة» واحدة من العدوّ![٢]

---

(١) بحار الأنوار: ٣٤ / ٢٦١ ـ باب ٦٣ ـ ح ١٦.

(٢) الميلغ، والميلغة والجمع مبالغ: الإناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه. (المنجد في اللغة: ٩١٨، مادّة ولغ). وكان الناس آنذاك إذا كسرت كيزان الماء الخزفية لم يرموا بكعوبها بل يتّخذون منها أوعية للماء الذي تلغ فيه الكلاب.

فقد روي أنه بعث النبي صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد على صدقات بني المصطلق حيّ من خزاعة، وكان بينه وبينهم في الجاهلية ذحل فأوقع بهم خالد فقتل منهم، واستاق أموالهم، فبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله ما فعل فقال : «*اللّهمّ أبرأ إليك ممّا صنع خالد*» وبعث إليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمال وأمره أن يؤدي إليهم ديات رجالهم وما ذهب لهم من أموالهم، وبقيت معه من المال زعبة، فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من متاعكم؟ فقالوا: ما نفقد شيئاً إلاّ ميلغة كلابنا، فدفع إليهم ما بقي من المال فقال: هذا لميلغة كلابكم، وما أنسيتم من متاعكم، وأقبل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما صنعت؟ فأخبره بخبره حتّى أتى على حديثه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أرضيتني رضي الله عنك يا عليّ أنت هادي أمّتي، ألا إنّ السعيد كلّ السعيد مَن أحبّك وأخذ بطريقتك، ألا إنّ الشقي كلّ الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة. بحار الأنوار ٢١ / ١٤٣ ح٦ ذكر الحوادث بعد فتح مكّة.

ويلبس ثياب عليّ سلام الله عليه

أما عن السيرة الشخصية للإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد روى البرقي عن حماد بن عثمان قال: حضرت أبا عبد الله عليه السلام، وقال له رجل: أصلحك الله ذكرت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد؟ فقال له: *إنّ عليّ بن أبي طالب كان يلبس ذلك في زمن لا يُنكر ولو لبس مثل ذلك اليوم شُهّر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب عليّ عليه السلام وسار بسيرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام*[1].

فهو عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يرتدي طيلة عهده الشريف والمبارك حتّى حلّة ثمينة واحدة مع أنّ الله تعالى يملّكه الدنيا وما فيها. فكلّ شيء في الوجود هو من أجل المعصومين سلام الله عليهم – كما في حديث الكساء الشريف – ولكنّهم يزهدون عنها، ويعيشون في بساطة كسائر الناس العاديين بل أبسط؛ ففي كتاب الكافي كثير من المطالب حول أحوال الأئمّة وقد جمعها المجلسي رحمه الله في كتابه «بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار»؛ منها:

عن المعلى بن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يوماً: جُعلت فداك ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت: لو كان هذا إليكم لعشنا معكم، فقال: *هيهات يا معلّى أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ولبس الخشن وأكل الجشب، فزوي*

---

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ٥٤ ح ٩٢ ـ باب ٣ النص عليه صلوات الله عليه ـ .

ذلك عنا ، فهل رأيت ظلامة قطّ صيّرها الله تعالى نعمة إلا هذه.[١]

أجل هكذا كانت حياة الأئمة سلام الله عليهم؛ وذلك *كيلا يتبيّغ بالفقير فقره*[٢] كما يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه. أي لا يتأذّى الفقير بفقره إذا رأى كيف يعيش زعيم القوم وإمام المسلمين وقائدهم ورئيسهم.

عن أبي إسحاق السبيعي، قال:

> كنت على عنق أبي يوم الجمعة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب وهو يتروّح بكمّه، فقلت: يا أبه! أمير المؤمنين يجد الحر؟ فقال لي: لا يجد حرّاً ولابرداً، ولكنه غسل قميصه وهو رطب ولا له غيره فهو يتروّح به.[٣]

كما يشير لمثل هذا الموضوع الإمام سلام الله عليه بنفسه في نهج البلاغة في رسالته إلى عثمان بن حنيف واليه على البصرة عندما يقول: *ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه*[٤] أي بقميص واحد وإزار واحد يرتديهما لا غير، فقد كان لباس الناس في ذلك الوقت يتألّف من قطعتين؛ قميص وإزار. ولم يكن الإمام يملك أكثر منهما، وهذا هو المقصود بقوله سلام الله عليه: بطمريه. أي ما يكفي لملبس واحد فقط.

هذه هي حياة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، وهكذا ستكون حياة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ١ / ٤١٠ ح ٢ ـ باب سيرة الإمام عليه السلام في نفسه وفي المطعم...

(٢) نهج البلاغة: ٣٢٤ رقم٢٠٩ من كلامه عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده.

(٣) الغارات لابن هلال الثقفي: ٦٢.

(٤) نهج البلاغة، من كتاب له سلام الله عليه إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف.

أهل البيت سلام الله عليهم كلّهم رحمة

هل تريدون أن تعرفوا عن حكومة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف أكثر؟ إذن انظروا إلى تاريخ الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، وكيف كان حكمهما، فهكذا سيحكم المهديّ أيضاً.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبدأ المناوئين له بقتال، بل إنّ العدوّ هو الذي كان يتعرّض للرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهكذا كان حال الإمام عليّ سلام الله عليه، وكذلك الإمام الحسين سلام الله عليه؛ فمع أنّ العدوّ كان قد حاصره إلا أنا نراه سلام الله عليه يقول: *إنّي أكره أن أبدأهم*[1].

هذا هو واقع أهل البيت سلام الله عليهم. فإن أردتم أن تعرفوا الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فانظروا إلى هذه الوقائع عن حياة الرسول والأئمّة المعصومين من أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وكيف كانوا يعيشون، وكيف كانت معاشرتهم للناس، وكيف كانوا في الحرب والسلم.

الإمام المهدي مرآة المصطفى والمرتضى صلوات الله عليهما وآلهما

والإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو مرآة رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ شيء، ما عدا مقام نبوّته. وهو عجل الله تعالى فرجه الشريف مرآة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في كلّ شيء ما عدا مقام أفضليته سلام الله عليه. فما أحلى العيش وأطيبه آنذاك: في ظلّ الإمام صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف!

حقّاً إنّ التعلّق بالإمام المهديّ وحبّه هو تعلّق وحبّ لشخصه وللحياة الطيّبة أيضاً التي تكون في ظلّ حكومته، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٣٤ في مكالمة الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مع الطغاة.

أحوال الناس في زمن الظهور

كان ذلكم جانباً من سيرة الإمام سلام الله عليه في عصر ظهوره، أمّا عن حال سائر الناس في زمن الظهور فيروى عن الإمام الباقر سلام الله عليه أنّه قال: *إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم*[١].

واليد هنا تعني القدرة كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] أي إنّ قدرة الله فوق قدرة كلّ أحد. وهكذا الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنّه يضع يد – قدرته – على رؤوس العباد فتكمل عقولهم.

ولهذا الأمر معنى طبيعي وآخر غيبيّ، ولا مانع أن يكونا معاً، أي بعض يُشمل بالأوّل وبعض بالثاني، كما في الحيوانات حيث تتآلف ويسود التعايش حتّى بين المتعادية منها. فقد يكون هذا من ضمن *يضع يده* أيضاً وإن كان النصّ يقول: *على رؤوس العباد* لأنّه كما قلنا لا مانع أن يكون لهذا الأمر معنى غيبي أيضاً، يكون هذا من مصاديقه؛ إلى جانب المعنى الطبيعي للجملة - أي البشر.

وإذا كمل عقل الإنسان فإنّه لا يلهث بعد ذلك وراء حطام الدنيا، لأنّ ضعف العقل هو الذي يسوقه صوب التهافت على الدنيا.

وإذا كمل عقل الإنسان لم يركض خلف أهوائه، فهل سيكون ثمّة ظلم أو فقر أو بؤس حينئذ؟ كلاّ بالطبع.

وإذا كمل عقل الإنسان كملت عقيدته وكمل إيمانه بل كملت حياته

---

(١) الكافي: ٢٥/١ ح٢١ ـ كتاب العقل والجهل ـ .

(٢) الفتح: ١٠.

أيضاً، فتكون حياة الناس هانئة طيّبة ومريحة بل أحسن حياة يحياها جيل من الأجيال. وهكذا سيكون حال معظم الناس يومذاك وليس حالة استثنائية لبعض الناس، فمعظم الناس سيحيون في راحة وهناء ورغد وعيش كريم.

٢. لنعرف وظيفتنا بنحو أفضل

أمّا الموضوع الثاني الذي أودّ الإشارة إليه في هذه المناسبة المباركة، فهي معرفة وظيفتنا في عصر الغيبة.

إنّ الوظيفة شيء والرغبة شيء آخر، ويحسن الفصل جيّداً بينهما. تأمّلوا في هذا المثال: إذا مرض شخص ما، حينها تصبح بعض الأغذية مضرّة بالنسبة إليه، وهذا لا يعنى أنّ هذه الأغذية مضرّة بذاتها، بل هي حسنة في الأصل، ولكنّها لا تصلح لهذا الشخص بسبب مزاحمة الأهمّ في حقّه. فتناول هذه الأغذية تشكّل رغبة لهذا الشخص، ولكنّ وظيفته شيء آخر.

فكذلك الحال بالنسبة لنا تجاه المولى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ لنا في لقائه سلام الله عليه رغبة، ولنا إزاءه وظيفة، فإذا كان هذان الأمران قابلين للجمع فما أحسن ذلك! أمّا إذا لم يمكن الجمع بينهما فهل على الفرد أن يسعى لتحقيق الرغبة أم العمل بالوظيفة؟ لا شكّ أنّ الواجب هو السعي للعمل بالوظيفة.

إنّ علقتنا الشديدة – جميعاً – بوليّ العصر صلوات الله وسلامه عليه هو الذي يدفعنا لأن نهتمّ ونعمل ونجدّ ونجتهد لسلوك الطريق الذي ينتهي بنا إلى التوفيق للانضواء تحت لوائه الشريف، أمّا الأمل بزيارة حضرته

في عصر الغيبة، فهو مطلب مهمّ أيضاً ولكنه رغبة عظيمة؛ فمن وُفّق لها فقد نال مقاماً شامخاً وشرفاً رفيعاً، ولكنّها ليست الوظيفة.

إنّه لشرف كبير وكرامة عظيمة أن يلتقي الإنسان بإمامه عن قرب ويقبّل يده، وهذا لا شكّ فيه ولا شبهة، ولكن هل هذا هو ما يريده الإمام منّا؟ وهل هذا هو واجبنا؟

الواجب مقدّم على الرغبة

وهو تعلّم الإسلام والعمل به وتعليمه

صحيح أنّ الذين وفّقوا أو سيوفّقون أو هم موفّقون لنيل هذا الشرف العظيم بلقاء الإمام الحجّة وزيارته في الغيبة الكبرى، هم - في الغالب وحسب القاعدة – ممّن يعرفون الواجب ويعملون به، وإلاّ لما حصلوا على هذا الشرف، ولكن هذا - أي الطموح للقائه عجل الله تعالى فرجه الشريف – ليس هو الواجب، بل من الأفضل أن نجمع بينهما، وإلاّ فإنّ الواجب مقدّم على الرغبة، والواجب هو معرفة الواجبات الشرعية والعمل بها وتشخيص المحرّمات والاجتناب عنها، تجاه النفس والآخرين، وتعليم الجاهلين كلّ حسب قدرته ومعرفته، والسعي لكسب المزيد من المعرفة على هذا الطريق.

إنّ المسؤولية هي تعلّم الإسلام والعمل به وتعليمه، وتقع على عاتق كلّ فرد سواء كان رجلاً أو امرأة، زوجاً أو زوجة، أولاداً أو آباءً وأمّهات، أساتذة أو تلاميذ، وباعة أو مشترين، ومؤجّرين أو مستأجرين، وجيراناً أو أرحاماً، وفي كلّ الظروف والأحوال.

على كلّ فرد منّا أن ينظر ما هي وظيفته تجاه نفسه وتجاه الآخـرين؛ وما هي الواجبات المترتّبة عليه، وما هي المحرّمـات التـي يجـب عليـه الانتهاء عنها.

وعلى كلّ فـرد منّـا أن يعـرف مـا هـي الواجبـات بحقّـه ومـا هـي المحرّمات عليه. فعلى الزوج أن يعرف واجباته تجاه نفسه وتجاه عائلته، وتجاه الآخرين، وكذا المرأة عليها أن تسعى لمعرفة ما يجب عليها تجـاه زوجها وأولادها والمجتمع. وهكذا الأولاد تجاه والديهم والوالدين تجاه الأبناء، وكذا الإخوة فيما بينهم، وهكذا الجيـران والأرحـام والمتعـاملون بعضهم مع بعض.

إنّ الواجب هو أن يعرف الإنسان أحكامه - ولا أقلّ مـن الواجبـات والمحرّمات - ثم يلتزم بها. وعلى رأس الواجبات معرفة المولى صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه وعجّل الله تعالى فرجه الشـريف. وهـذا واجـب الجميـع فإنّه *مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية*[1]. ولكي لا يموت أحدنا بحكم الكافر، عليه أن يعرف ما هي واجباته وما هـي المحرّمـات عليه، فيما يخصّ العقائد والعمل، لنفسه وللآخرين.

يقول الفقهاء إنّ على كلّ شخص أن يسـعى للحصـول علـى ملَكـة العدالة في نفسه، وهذا من المسلّمات، وهو - على حدّ التعبير العلمي - مقدّمة وجود الواجب المطلق.

إذن على كلّ فرد منّا سواء كان رجـلاً أو امـرأة، شـاباً أو شـيخاً، أن يحصل على ملَكـة تحصّـنه مـن ارتكـاب المحرّمـات أو التخلّـف عـن

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ٨٩ ح ٣٥، باب وجوب معرفة الإمام.

الواجبات، ثمّ عليه بتعليم الآخرين حسب مقدرته ومعرفته.

أمّا ما لا يعرفه فيلتعلّمه إن كان يستطيع ذلك، ثـمّ يعلّمـه للآخـرين فإنّ نسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى العلم هي نسبة الواجب المطلق، وليس المشروط، ولكنّه واجب كفائي، فـإذا لـم يكـن مَـن فيـه الكفاية صار واجباً عينياً أيضاً. أي أنّ على كلّ شخص مكلّـف أن يـتعلّم الواجبات والمحرّمات التي عليه وعلـى الآخـرين للعمـل بهـا وتعليمهـا والأمر بها للوصول إلى حدّ تتحقّق فيه الكفاية. فهذا هو الواجـب، وهـذا ما يسرّ الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ويجعله يرضى عنّا. فإنّ مَـن أدّى واجبه بصورة صحيحة كان مرضيّاً عند الإمام سلام الله عليه، أمّا مَـن لـم يـؤدِّ واجبه فليس بمرضيّ عنده.

الشيخ المفيد نال أوسمة من الحجّة لم ينل مثلها أحد

لو راجعتم كلّ ما وصلنا من عبـارات المـدح والتقـريظ مـن الإمـام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين بشـأن جملـة مـن الأفـراد، وخاصّـة نوّابه الأربعة الخاصّين، والسفراء الآخرين ووكلائه[1] قد لا تجـدون فـي كـلّ كلمـات المـديح والتقـريظ التـي تفضّـل بهـا الإمـام بحـقّ هـؤلاء الأشخاص ما يرتقي لمستوى ما قاله سلام الله عليه بحق الشيخ المفيد؟

ينقل العلاّمة المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» رسـالتين عـن الإمـام

---

(١) إنّ السفراء هم غير النوّاب الأربعة، فقد سمي غير هؤلاء الأربعة سفراء وإن أُطلق عليهم أيضاً، فهم السفراء المطلقون، وكان هناك للإمام سفراء محدّدون كمَن كاتبوا الإمام سلام الله عليه وأجابهم، وثمّة بعض الكتب التي كتبها الإمام ابتداءً لبعض أصحاب أبيه وجدّه عليهم السلام (عنه، حفظه الله).

الحجّة سلام الله عليه إلى الشيخ المفيد[١] يذكر فيهما بعض المطالب التي في بعضها إشارة بالمدح للشيخ المفيد، وهذا المدح قد لا تجدون له نظيراً حتّى في حقّ نوّابه الخاصّين وهم الحسين بن روح والسمري والعمريّان.

إننا نلمس تقريظاً من خلال هاتين الرسالتين والعبائر الأخرى التي نُقلت عنه سلام الله عليه بحقّ المفيد ما لا نلمسه - من حيث المجموع - بحقّ أيّ شخصية أخرى على الإطلاق، ممّن تشرّفوا بلقاء الحجّة سلام الله عليه.

فمما ورد في إحدى هاتين الرسالتين الموجّهتين للشيخ المفيد رحمه الله قوله عجل الله تعالى فرجه الشريف:

للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه. من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: سلام عليك أيها المولى المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ونعلمك - أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق - : أنه قد أُذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك - أعزهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته -

---

(١) قال المجلسي وآخرون إنّ هذه الرسائل كانت ثلاثاً ضاعت واحدة منها ولم تصلنا (عنه حفظه الله).

فقف - أيّدك اللّه بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء اللّه.

نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أراناه اللّه تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتقوا اللّه جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومبائتكم بأمرنا ونهينا، واللّه متمّ نوره ولو كره المشركون ... واللّه يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام:

هذا كتابنا عليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودّنا الصفي، والناصر لنا الوفي، حرسك اللّه بعينه التي لا تنام، فاحتفظ به! ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه بما له ضمناه أحداً! وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم

بالعمل عليه إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين[١].

أقول: إنّه لشرف كبير ومصدر فخر واعتزاز أن يمثل الشخص بين يدي الإمام ويكون في حضرته؛ يزوره عياناً ويتشرّف برؤيته وتقبيل يده. فهنيئاً - وألف هنيئاً - لأمثال الحاجّ عليّ البغدادي والسيّد بحر العلوم وغيرهما ممّن نالوا هذا الشرف الكبير وهذا المجد الرفيع وهذه الكرامة. ولكن - اعلموا أيّها الإخوان - إنّ هذا ليس هو الواجب فإنّه لم يبلغنا عن الشيخ المفيد أنّه التقى بالحجّة - لا يُعرف ما هو السبب، وربما التقاه ولم يصلنا خبره - ولكنّه مع ذلك نال هذه الأوسمة منه سلام الله عليه.

بمقدار ما نعمل بواجبنا يرضى عنّا الحجّة

على كلّ حال إنّ مسؤوليتنا هي التي يرضى بها الإمام عنّا إن نحن عملنا بها، وإذا أردنا أن نعرف نسبة رضاه عنّا فلنفكّر مع أنفسنا في مدى معرفتنا للواجب والمسؤولية والعمل بهما - تجاه أنفسنا والآخرين، أقرباء وأرحاماً وسواهم - هذه أهم مسألة وواجب يتحتّم علينا عمله في عصر الغيبة، وإنّ الدرجات التي تُمنح في الآخرة ستكون على هذا الأساس أيضاً.

نسأل الله أن نبقى أحياء حتّى ندرك ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ونكون في خدمته وفي ركابه، ولكن اعلموا أنّه حتّى درجات ذلك اليوم تعطى على أساس دورنا وعملنا وإنجاز وظيفتنا اليوم.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣١٨/٢ _٣٢٤، توقيعات الناحية المقدّسة.

أويس القرني أفضل من كثير من الصحابة!

ولتكن لنا في أويس القرني قدوة وعبرة، فإنّ هذا العبد الصالح لم يوفّق لأن يدرك الرسول صلى الله عليه وآله، مع أنّه كان في عصره، فقد كان يعيش في اليمن، وعندما توجّه منها إلى المدينة لرؤية الرسول صلى الله عليه وآله وزيارته لم يدركه الوقت، فحينها كان صلى الله عليه وآله قد استشهد. وتأثّر أويس لذلك كثيراً. ولكن هل تعلمون أنّ أويساً هذا مقدّم على كثير ممّن صحبوا الرسول صلى الله عليه وآله؟

فإذا أردتم التحقّق من ذلك فانظروا إلى سيرته:

يُنقل أنّه كان أحد الأشخاص يسبّ أويساً كلّما مرّ به أو التقاه. وفي إحدى المرّات رآه أويس يقبل من بعيد فغيّر طريقه.

ـ ربّما كثير من الناس يتجنّب المواجهة مع مَن يريد سبّه، لأنّه قد تتوتّر أعصابه أو يراق ماء وجهه بين الناس. ولكن أويساً لم يغيّر طريقه لهذه الأسباب ـ وعندما سألوه عن السبب أجاب قائلاً: لئلاّ يقع ذلك الشخص – السابّ – في المعصية[1].

إذن فلنقتد بمثل هذه النماذج الخيّرة لننال ـ إن شاء الله تعالى ـ رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأئمّتنا الطاهرين عليهم السلام لاسيما مولانا الإمام الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ختاماً: ونحن في عصر الغيبة إن أردنا أن نكسب رضا مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فعلينا أن ندرك أنّ هذا الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً وأكيداً بمدى معرفتنا للمسؤولية والواجب الملقى

---

(١) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤٢١/٩.

علينا ليتسنّى لنا العمل بهما.

أرجو من الله تعالى ببركة هذه الأيام، وببركة ميلاد الإمـام ووجـوده المقدّس وآبائه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، أن يزيد فـي توفيـق مَـن كانـت عنده هذه الخصلة – أي معرفة الواجب في عصر الغيبـة – وأن يمنحهـا لمَن يفتقدها.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المحاضرة الثانية عشرة•

القيام للّه أبلغ الموعظة

اعتبار نكران الذات مصدر الفضائل

في ضوء الآية الكريمة

«قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا للّه مثنى وفرادى ثم تتفكّروا»

• ألقيت المحاضرة عام ١٤٢١ هـ، في قم المقدسة، ضمن المحاضرات الأخلاقية التي كان يلقيها سماحته على طلاّب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[1].

مقدمة

هذه الآية الكريمة من عجائب آيات الذكر الحكيم، فإنّ الله سبحانه وتعالى يأمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول للمشركين ولعبدة الأصنام والنصارى واليهود وغيرهم: ﴿إنّما أعظكم بواحدة﴾ أي لا أطلب منكم سوى الإصغاء إلى موعظة ونصيحة واحدة فقط.

لاشكّ أنّ مواعظ القرآن الكريم كثيرة، بل إنّ القرآن معظمه مواعظ، كما لا شكّ أنّ كلّ ما أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام وما نزل عليهم

---

(١) سبأ: ٤٦.

يتلخّص بالقرآن الكريم، فهو عصارة الرسالات السماوية كلّها، كما أنّ مواعظ النبي صلى الله عليه وآله تختزل مواعظ الأنبياء والرسل الذين سبقوه كافة، إلا أنّ الله سبحانه يطلب من نبيّه أن يلخّص المواعظ كلّها بكلمة واحدة؛ يقول تعالى لنبيه الكريم: ﴿قل إنّما أعظكم بواحدة﴾ و(إنّما) كما هو معلوم تفيد الحصر، أي بموعظة واحدة وحسب.

فما هي تلك الموعظة التي يأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للمشركين والنصارى واليهود إنّه يعظهم بها وحدها؟ تقول الآية المباركة: ﴿أن تقوموا لله﴾ أي أن يكون قيامكم ونيّتكم وتوجهكم وتفكيركم خالصاً لله. ولا يراد من القيام هنا القيام للصلاة، بل المقصود التفكّر وإخلاص النية، وبتعبيرنا المعاصر نكران الذات والتجرّد عنها في الفكر والعمل، وأن يكون الله تعالى هو الهدف والنية والوجهة، وليس الذات ومصالحها.

الإنسان بطبعه ميّال لذاته

كلّ إنسان ـ في الأعمّ الأغلب ـ يوقّر ذاته ويحترمها ويراها أولى من كلّ شيء، مع أنّ كلّ البلايا والمصائب وكلّ ظلم وتجاوز يأتي من حبّ الذات.

والطامّة الكبرى عندما يؤثر الإنسان ذاته في مقابل الحقّ سبحانه وفي مقابل الأخلاق والمجتمع والفضائل، فأكثر الناس ــ مع الأسف ـ يرى الله ويرى ذاته معه؛ ينظر إلى المجتمع والأخلاق ويرى ذاته معهما؛ ولذلك تراهم في الغالب يسحقون كلّ شيء من أجل ذواتهم.

فالذي يفعل الحرام بأكله الربا أو بظلم الناس مثلاً إنّما يفعل ذلك

من أجل ذاته.. فهو يريد لها المال.. يريد لها التقدير والظهور والوجاهة والزعامة وتحقيق كلّ رغباتها ولو عبر الطرق غير الشرعية. فإذا لم يكن الإنسان يرى الله وينكر ذاته تراه يسحق أحكام الله ولا يبالي، ويولّي ظهره لله ولأنبيائه ويتّخذ نفسه إلهاً من دون الله.

ومن هنا كان نكران الذات وحبّ الله أساس كلّ فضيلة، وهذه الآية تلخص هذا المعنى. فكما أنّ الإنسان الذي يحبّ ذاته يرتكب كلّ رذيلة من أجلها، كما في الحديث النبوي الشريف: *حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة*[1]، فكذلك يكون معرفة الله والقيام له ونكران الذات أساس كلّ فضيلة. فمن ينكر ذاته يترفّع عن الرذائل. وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

مع الشيخ محمد تقي الشيرازي

كان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي رضوان الله عليه ـ مفجّر ثورة العشرين في العراق وقائد حركة تحرّره من الاستعمار الإنجليزي وهو في الثمانين من العمر ـ مرجعاً دينياً كبيراً عُرف بالورع والتقوى، حتى أنّ تلاميذه عندما كانوا يُسألون عن عدالته كانوا يجيبون: سلوا عن عصمته وهل هو معصوم أم لا؟ ـ لاشك أنه غير معصوم ولكن التعبير من باب المبالغة ـ . هذا الرجل العالِم الورع كان يفتي بأنّه لا يجوز استئجار غير العادل لقضاء ما فات الميتَ من صلاة وصيام وإن كان ثقة، بل يشترط فيه العدالة. ولا يخفى أنّ الفقهاء يختلفون في هذه المسألة، فبعض لا يشترط العدالة ويرى أنّ مجرّد الثقة بأنّ الشخص سيؤدّي هذه الصلوات

(١) إرشاد القلوب للديلمي: ٢١، باب الزهد في الدنيا.

والعبادات يكفي ولا يلزم أن يكون عادلاً، بينما يشترط آخرون – كالشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله مثلاً – العدالة في الشخص الذي يستأجر لقضاء ما فات الميت من عبادات.

ينقل المرحوم الوالد رضوان الله عليه أنّ أحد المؤمنين جاء يوماً إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي وشكا عنده الفقر والعسر وطلب منه أن يحوّل إليه قضاء صلاة أو صوم عن بعض الأموات – فإنّ الورثة والأوصياء يعطونها في العادة للمرجع لكي يحوّلها إلى مَن يراه صالحاً – ولكن الشيخ رحمه الله اتفق أنه لم يكن عنده آنذاك من العبادات الاستيجارية شيء، فاعتذر وقال: لا يوجد عندي الآن. ولما كان الرجل – السائل – قد أضرّ به الفقر وضغط عليه لم يتمالك نفسه فأخذ يسبّ الشيخَ؛ هذا العالِم الورع الذي كان تلامذته يرونه في التقوى تالي تلو المعصوم!

وبعد بضعة أيام جاء للشيخ محمد تقي بعض المؤمنين وأعطاه مالاً لاستئجار مَن يصلّي عن ميّت له. وهنا بادر الشيخ ووجّه أحد الأفراد المقرّبين منه ليذهب بهذا المال إلى ذلك الرجل ـ الذي سبّه ـ لاستئجاره في قضاء هذه الصلوات!

وهنا تعجّب هذا الشخص الذي هو من أصحاب الشيخ ومقرّبيه وقال: شيخنا، ألستم تشترطون العدالة فيمَن يُستأجر للقضاء عن الميّت؟ قال: بلى، فقال: ولكن هذا الرجل على فرض أنّه كان عادلاً ولكنّه فقد العدالة عندما سبّكم وكلّنا نعلم أنّ سبّ المؤمن حرام، وارتكاب الحرام مسقط للعدالة ـ ولا شكّ أنّه يصدق على الشيخ أنّه مؤمن، فضلاً عن أنّه مرجع تقليد ومضرب المثل في الورع والتقوى ـ .

فتبسّم الشيخ ثم قال: سبّ الفقراء للعلماء غير مسقط للعدالة. اذهب

وأعطه المال؛ فإنّه لم يكن ملتفتاً حينما سبّني.

أجل إنّ مَن هيمنت عليه حالة الغضب لا يشعر بما يقول، وخاصة الفقير الذي لا يدري كيف يرجع بلا قوت إلى عائلته، ولا يتوقع بعد لقائه الشيخ العودة لأسرته بلا قوت.

أجل، كلّ هذا صحيح، ولكن لو لم يكن نكران الذات عند الشيخ رضوان الله عليه لما قال إنّ الرجل لم يكن يشعر حين شتمني! خاصة وأنّه غير مستعد لتحمل مسؤولية قضاء صلاة الأموات وصيامهم من أجل فذلكة خلقية، لكنه شخّص أنّ هذا الرجل غير فاسق، وإلاّ لما أعطاه المال لقضاء الصلوات وهو المشترط للعدالة في هذا الأمر.

أمثلة على حب الذات

هكذا فعل نكران الذات. تعالوا الآن وانظروا في الطرف المقابل إلى الرؤساء والحكّام في الدنيا. إنّ شتيمة واحدة توجّهها للحاكم كفيلة بأن تطيح برأسك، أو تعرِّضك للتعذيب، وربّما تعرِّض أبناءك وإخوتك وعشيرتك وأصدقاءك إلى التحقيق والتعذيب والاستجواب بسببها.

فما أكثر الدول التي يصدر حكّامها قانوناً بالسجن ـ لمدة عشر سنوات أو أقلّ أو أكثر ـ لمَن يسبّ الحاكم، وما أكثر الذين يُسجنون بالظنّة والتهمة فيها.

لقد طالعتنا مجلة معروفة أنّ أحد المجرمين الجلاوزة أذاق اثنين من المؤمنين أنواع التعذيب ولمدة شهرين حتى فارقا الحياة، ثم تبيّن له بعد ذلك أنّه كان مشتبهاً بهما!

تصوّر كيف تنقلب المعادلة عندما تصبح الذات هي الحاكمة. إنّ

الاحتمال وحده يكفي لقتل الناس وظلمهم! لماذا؟ لأنّ نكران الذات غائب. والذات تقول أنا كلّ شيء. أمّا الذي ينكر ذاته فيقول: الله أكبر وهو فوق كلّ شيء.

نكران الذات مصدر كلّ الفضائل

إنّ نكران الذات مصدر كلّ الفضائل، ومن ثم لخّص القرآن الحكيم هذا الأمر فقال: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي لا حاجة إلى كلام كثير ومواعظ جمّة بل موعظة واحدة تكفي إن التزمتم بها؛ لأنّها خلاصة المواعظ كلّها.

إنّ مَن أنكر ذاته لا يرجّح الدنيا وملذّاتها على حكم الله تعالى، ولا يعني هذا أن يترك الإنسان الدنيا ويتخلّى عنها؛ فإنّ الله خلق الدنيا للمؤمنين وهم أَولى بها من الظالمين وأعداء الله، ولكن المقصود أن لا تملكهم الدنيا بل يملكوها ويأخذوا منها – من طريق الحلال – ما استطاعوا على أن يكونوا في الوقت نفسه مستعدّين للتخلّي عنها غير آسفين لو دار الأمر بينها وبين الله وأحكامه. روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه: *الزهد مفتاح الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كلّ شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها*[1].

والمؤمن الحقّ يلزم جانب الله دوماً كلّما حدثت معارضة بين ذاته وبين الله. قد يجمع المؤمن الملايين من الأموال، ولكنّه بمجرّد أن يشعر أنّ هذا المال قد يؤدي به إلى جهنّم وسخط الله فإنه يترفع عنه ويتخلى

---

(١) مصباح الشريعة للبلخي: ٢٢ – ٢٣، عنه بحار الأنوار: ٦٧ / ٣١٥.

عنه بكلّ سهولة ودون أسى ويصرف النظر عنه كلّه. وهكذا الحال مع الأولاد والنساء وأكل الطيّبات و...

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم في آية أخرى: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾[1]، أي قل للمشركين إنّ الله وحده بيني وبينكم، فنظري وفكري كلّه منصرف إليه.

وأكرّر القول إنّ هذا لا يعني أن لا تأكل أو لا تشرب أو لا تملك أو لا تلبّي رغبات بدنك.. إنما المقصود أن لا تكون هذه الأمور معلّقة بقلبك يتوقف لها إن حُرمت منها، تضحّي بكلّ شيء من أجلها وتسحق كلّ خلق وفضيلة في سبيلها، بل أن تكون مستعدّاً للتضحية بكلّ ما تملك من أجل الله تعالى والقيم والفضائل.

مثنى وفرادى

يوصينا الله تعالى: وليكن قيامكم لله مثنى وفرادى. أي ليكن توجّهكم إلى الله ونكرانكم لذواتكم سواءً حال كون بعضكم مع بعض، أو بصورة انفرادية، كأن يجلس أحدكم وحده، في جوف الليل مثلاً، ويفكّر ولو قليلاً، ويتساءل مع نفسه: مَن أنا؟ أنا لا شيء وليس عندي شيء، وكلّ ما عندي فهو من الله، لم أكن أملكه يوماً، ثم ملّكني الله كلّ ما أملك. وسأعود مع كلّ ما أملك إلى الله مرّة أخرى ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[2].

---

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) البقرة: ١٥٦.

واقعة فيها عبرة

لقد شهدتُ هذه القصة بنفسي وتركتْ أثرها فـيّ حتـى لكـأنّي أرى الحالة أمامي الآن!

كنّا جالسين على مائدة للغداء أيام كنا في كـربلاء المقدّسـة، وكـان يجلس شخص إلى يساري وآخر إلى يميني.

وضع الشخص الجالس عن يساري لقمة من الطعام في فمه – وكان خبزاً مع الكباب المشوي – وشرع يلوكها ثم يحضّر لقمته الثانية، حيـث لفّ مقداراً من الكباب مع الخبز، ولمّا همّ برفعها إلى فمه، عندها لاحظنا يده قد سقطت تلقائياً في حجره ثم مال إلى الأرض صريعاً. عندما هـرع الجالسون ليعرفوا ما الذي حدث له، رأوه قـد فـارق الحيـاة إثـر سـكتة قلبية، وكانت اللقمة الأولى مازال قسم منها فـي فمـه، فأخرجهـا بعـض الجالسين بصعوبة من بين أسنانه. وفارقَنا الرجل وفارق الدنيا منـذ ذلـك اليوم وإلى يوم القيامة.

أنا لا أنسى هذا المشهد ما حييت، وكلّ مَن كان بمكاني قد لا ينساه أيضاً، ولكن عندما يأتي وقت المعصية ينسى الإنسان كلّ شيء!

العمل بالآية

الآية الكريمة تدعونا إلى التذكّر والتفكّر دائماً مثنـى أي مـع بعـض، وفرادى أي إذا خلونا بأنفسنا خاصة إذا هدأت العيون. فليفكّر كلّ منا مع نفسه ويقول: مَن أكون لكي أظلم أو أوذي الناس أو أفعـل المحرّمـات؟ ثم إلى ماذا سيكون مصيري؟ أين أبي وجدّي وأقربائي وأصدقائي الذين

عاشرتهم ثم مضوا؟ فهل سأبقى أم سأرحل مثلما رحلوا؟ فهل كُتبَ الموت والحساب لهم دوني أم كلّنا ملاق هذا المصير؟

هذا التفكير هو خلاصة مواعظ القرآن الكريم.

وحقاً إنّ مَن يصبح عنده وجدان كهذا - أي يجد هذا الشيء من نفسه - ويفكّر بهذه الصورة قد يستحيل أن يقدم على المعصية. وهل مصدر المعصية والظلم إلاّ حب الذات؟! فالذي يتّخذ هواه إلهاً من دون الله تعالى فإنّ ذاته تهمّه قبل كلّ شيء ولا يكترث إن عصى الله في هذا السبيل أو غيره، فالمهمّ عنده توقير ذاته و تلبية رغباتها وتحقيق احترامها! أمّا الإنسان المنكر لذاته فهو يرى الله تعالى أمامه. يقول الإمام الحسين سلام الله عليه مخاطباً ربه تعالى: ***عميت عين لا تراك***[1]، العين التي ترى الله ـ المقصود عين البصيرة ـ لا تعصيه أبداً.

ويقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: ***والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته***[2]. فمع أنّ هذا الأمر – أي سلب النملة- ليس معصية، ولا يقول فيه فقيه إنّه عمل محرّم بحيث إنّ الشخص العادل يفقد عدالته لو ارتكبه، ومع ذلك يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه إنّه غير مستعدّ لارتكابه حتى لو أُعطي الدنيا كلّها!

لقد عرض القوم على الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أن يوافق على السير بسيرة الشيخين، لكي يعطى الخلافة، وكان يمكنه أن يقبل بذلك

---

(١) بحار الأنوار: ٦٤ / ١٤٢. دعاء الإمام الحسين سلام الله عليه يوم عرفة.

(٢) نهج البلاغة: ٣٤٦ (ط: منشورات دار الهجرة – قم).

ابتداءً ثم يضرب به عرض الجدار بعد استلامه الخلافة، ولكنه سلام الله عليه رفض عرضهم وفضّل أن تخرج الخلافة من قبضته - لا بل فلتذهب الدنيا كلّها ويصبح العالَم كلّه ضده- ولا يتخلّى عن مبادئه، وهل هذا إلاّ بسبب نكرانه لذاته؟!

الخلاصة

إنّ التوجّه لله أهمّ من كلّ شيء.

النقطة التي تجبرك على أن تتوجّه في صلاتك، وتمنعك عن أكل الحرام، والنظر الحرام والاستماع الحرام والنطق الحرام وظلم الناس وإيذائهم، والتي ركّز عليها القرآن هي ﴿أن تقوموا...﴾ فهذه نقطة أساسية يجب علينا الانتباه إليها أكثر من أيّ عمل مستحبّ أو خلق مستحبّ آخر، لأنّها جامعة لكلّ الفضائل.

أسأل الله التوفيق لي ولكم.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

المحاضرة الثالثة عشرة•

كيف نكون في نور الله تعالى؟

في ضوء الحديث المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله

«أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم...»

• يعود تاريخ المحاضرة لعام ١٣٩٨ هـ. وهي من المحاضرات الأخلاقية التي كان يلقيها سماحته على طلاّب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: *أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم ... ومَن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون...*[1].

معنى كون الإنسان في نور الله تعالى

إذا كان الإنسان في نور الله عزّ وجلّ فلا يزلّ ولا ينحرف ولا يطغى ولا تسيطر عليه نفسه الأمّارة بالسوء، ولا يسمح للشيطان أن يغويه، وتكون الدنيا بنظره كأهون ما يكون، لأنه يرى بهذا النور حقائق الأشياء، كما يرى بالنور المادّي الأجسامَ ويميّز بعضها عن بعض، فيُقبل على ما يرغب منها ويُدبر عمّا يكره.

إنّ مَن يجلس على مائدة في ظلام لا يعلم بما وُضع أمامه هل هو من الأطعمة أم لا؟ فقد يمدّ يده وإذا بعقرب أو حشرة ضارّة أو سمٍّ وجدَ طريقه عمداً أو خطأً إلى مائدته فيتناوله وهو لا يعلم. أما الجالس

---

(١) الخصال: ٢٢٢/١ ح٤٩.

في النور فهو يرى الطعام الذي أمامه فيميّزه عن غيره ولا يمدّ يده إلى ما يشكّ أو يحتمل الضرر فيه.

وهكذا الحال في المعنويّات؛ إن لم يكن الإنسان في نور الله تعالى، فسيكون في تيه وظلام وحيرة وضلال وإن كان لا يدرك ذلك ويتصوّر نفسه عارفاً بما حوله.

إنّ الحديث النبوي الشريف الذي افتتحنا به الموضوع يخبرنا أنّ قول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ يجعل الإنسان في نور الله تعالى أي أنّ الله يمنحه النور ليرى ما ينفعه وما يضرّه، وفيم يصرف عمره، وكيف يعاشر الناس، وكيف يسيطر على نفسه وشهواته، وكيف يتخلّص من حب الدنيا وزخارفها، بل كيف يستطيع أن يعرف ما هو اللائق فيُقبل عليه وما هو المذموم فيصدّ عنه، لأنّ هذا هو حال الإنسان الذي في نور الله عزّ وجلّ.

المقصود من الحديث الشريف

هناك أحاديث عديدة وردت في تفسير هذه الجملة من الآية الكريمة حاصلها أنّ هذه الجملة تشتمل على كلمتين؛ الأولى: «إنا لله» والثانية: «إنا إليه راجعون». أما الكلمة الأولى فهي إقرار واعتراف بالملك لله، فكأنّ الذي ينطق بهذه الكلمة يقول: أنا لست لنفسي بل إنني وكلّ ما أملك إنما ملك لله، في حين أنّ الكلمة الثانية: اعتراف بالفناء والرجوع إلى الله تعالى.

لاشكّ أنه ليس المقصود من هذا الحديث الشريف أنّ مجرّد تلفّظ *(إنا لله وإنا إليه راجعون)* يجعل الإنسان في نور الله، بل الشعور بها

وإنشاؤها من أعماق القلب، وذلك باستحضار الإنسان القائل لها أنّه ليس مالكاً لنفسه ولا لسانه وبصره وسمعه ولا لما بحوزته من أموال وعلاقات وشخصية وعلم وغيرها، بل يقول لنفسه: هذه كلّها لله، والله سبحانه جعلها تحت تصرّفي لينظر كيف أعمل. فالملك لله وحده وليس لي، بل لستُ أكثر من عبد أُتي به لتنفيذ ما أمره به مولاه.

فالعبد الذي يُشترى لأجل إعداد الطعام لسيّده مثلاً، عندما يؤتى به إلى المطبخ ويوضع تحت تصرّفه الماء والنار والمواد الغذائية، فهل سينفّذ ما يريده ويشتهيه مولاه، أم يتصرّف بما يحلو له؟ لا شكّ أنّه ليس للعبد أن يقدّم هواه على هوى سيده، وإلاّ كان مصيره العقوبة والطرد. فكذلك القائل: «إنا لله»؛ إذا كان صادقاً فعليه أن يستحضر أنّه عبد مملوك ومطيع لمولاه يقرّ ويعترف على نفسه بالعبودية، ولسيّده بالملك.

فإذا كان كذلك وقال هذه الكلمة يكون في نور الله تعالى، فيبصر عيوبه لأنّ النور هو الذي يكون وسيطاً وسبباً لأن يبصر الإنسان نفسه ويرى ما حوله وما فيه من عيوب ونقائص فيعرف حقائق الأشياء ويتجنّب ما يضرّه وما لا يعنيه وما لا يعود عليه بالنفع، ويتوجّه إلى ما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته.

نماذج من الواعين لمعنى الحديث

• كان أحد المؤمنين في كربلاء المقدّسة إذا بلغ كلمة في زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه لا يقرأها ويقول: إني لأستحيي من الإمام أن أكذب وأنا أتكلّم معه، وتلك الكلمة في الزيارة هي عبارة *«عبدُك وابنُ عبدك»* فكان هذا المؤمن يقول: لا أراني بمستوي العبودية للإمام عليه السلام

ولذلك لا أتمكن من إنشاء هذه الكلمة إن وصلتُ إليها.

ونحن لا يهمّنا في المقام توجيه هذا العمل بقدر ما يهمّنا انتباه الرجل إلى أنّه يكلّم الإمام ويعرف أنّ الإمام يسمع الكلام ويردّ جواب السلام[1]، وكان يعي أيضاً معنى كلمة *«عبدُك وابنُ عبدِك»* ويعرف أنها درجة لم يبلغها بعد، ولذلك كان يقول: يصعب عليَّ إنشاء هذه الكلمة لأنّي أعرف أنّ علاقتي بالإمام الحسين سلام الله عليه ليست علاقة عبد بسيده كما ينبغي وإلاّ لما خالفت أوامره، وإنّي على علم بأنّ الإمام الحسين سلام الله عليه يعلم ذلك منّي أيضاً.

فنور الله تعالى جعل هذا الرجل يبصر هذه الحقائق، وإلاّ فهناك الألوف بل الملايين الذين يزورون الإمام الحسين سلام الله عليه، وكلّهم يتلفّظ هذه الكلمات مع أنّ حال كثير منهم بعيد كلّ البعد عن فحواها.

• نُقل عن بعض العبّاد أنه كان يقول: كلما أشرع بأداء الصلاة وأبلغ قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[2] يقشعرّ جلدي ولا أستطيع ـ لولا الوجوب ـ إنشاءها؛ لذلك أقوم بقراءتها وكلّي شعور بالتقصير؛ فإن ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ تعني أن العبادة مني لك وحدك؛ إذ لا معبود غيرك.

قد لا يعرف قارئ ﴿**إياك نعبد**﴾ عمق معناها، وقد يعرف ولكنه لا يعرف من يكلّم بها، فكلاهما قراءة سطحية! ولكن قد يعرف الشخص معنى العبارة ومع من يتكلّم ومع ذلك يعبد مع الله سواه كالدرهم والدينار والزوجة والأطفال والجاه والشهوات أو يرتكب ما حرّم الله،

---

(١) راجع بحار الأنوار: ١٤٥/٩٩ باب الزيارات الجامعة، وفيه: «وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مكاني في وقتي هذا وزماني، ويسمعون كلامي، ويردّون علي سلامي».

(٢) الفاتحة: ٦.

فهذا معناه أنه أشرك بالله سبحانه ولم يصدق في دعـواه، وإن لـم يكـن شركاً اعتقاديّاً مستوجباً للنجاسة والكفر ولكنه على كلّ حال مرتبـة مـن مراتب الشرك كما ورد في أحاديث الرياء.

• كان الشيخ أحمد بن فهد الحلي رضوان الله عليه من علمائنا الكبار، ألّف كتباً في الفقه وفي الدعاء والعلـوم الإسـلامية المختلفـة وكـان صـاحب كرامات أيضاً. توفي قبل عدة قرون ومرقده في مدينـة كـربلاء المقدسـة يقع في طريق الوافدين من النجف الأشرف.

وكان الشيخ ابن فهد رحمه الله مرشداً وهادياً للناس، واستبصر على يديه جمع غفير ممن كان على غير مذهب أهل البيت عليهم السلام فـي الوقـت الذي لم يكن معظم أهل العراق شيعة لأهل البيت سلام الله عليهم، وتقرَّب مـن الحاكم يومذاك وظلّ يراجعه حتى حوّله إلى التشيّع وضُربت السكة فـي عصره بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم الصلاة والسلام.

نقل لي أحد العلماء الذين كانوا يسكنون النجف الأشرف أنّـه قـال: لقد تأثرت كثيراً بالمرحوم ابن فهد الحلي من خلال كتبه وقضاياه فكنت كلّما آتي إلى كربلاء المقدّسة لزيارة الإمـام الحسـين سلام الله عليه أبـدأ بـه فأزوره؛ لأن المحطّة الأخيرة للسيارات التي تنقل المسافرين من النجـف الأشرف إلى كربلاء كانت عند مرقده رحمه الله.

وبعد عدّة سنين من استمراري على هذه الحال رأيـت فـي إحـدى الليالي في عالَم الرؤيا بستاناً كبيراً يكتظّ بالعلماء من السابقين واللاحقين كالشيخ الصـدوق والشـيخ المفيـد والسـيد المرتضـى والعلاّمـة الحلّـي والمحقّق صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وغيرهم، ولكنـي لـم أجـد الشيخ ابن فهد الحلي بينهم فاستفسرت من أحد العلماء عنه، فقـال: إنّـه

في بستان آخر، فذهبتُ إليه هناك وإذا بهذا البستان يكتظّ بالأنبياء ابتداءً بإبراهيم الخليل فموسى وعيسى وبقية الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين. سألت أحدهم: هل ابن فهد بينكم؟ قال نعم، ودلّني عليه. فذهبتُ إليه وسلّمت عليه وقلت له: إني أعهد قبرك وأقرأ الفاتحة لك وأزورك كلّما جئت لزيارة الإمام الحسين سلام الله عليه. قال: كلّ ذلك يصلني. فسألته: لماذا فصل الله بينك وبين سائر العلماء وجعلك مع الأنبياء عليهم السلام؟ قال:كان يقتضي بحكم دوري في الدنيا أن أُحشر مع العلماء وأكون في بستانهم، ولكنّ عملاً واحداً عملته لله تعالى رفع درجتي مع الأنبياء عليهم السلام، وهو أنّي كنت في كلّ تصرّفاتي وأعمالي أتصرّف تصرف المملوك والعبد مع سيّده، فكلّ عمل كنت أقوم به كان بهذا الدافع، ولهذا رفع الله تعالى درجتي وجعلني مع الأنبياء سلام الله عليهم.

وهذا الأمر لا شكّ يحتاج إلى استحضار دائم بأن يذكّر الإنسان نفسه في كلّ آن أنّه عبد لله، بحيث يسري إقراره لله بالملك في جميع أحواله، فإنّ الإنسان ليس معصوماً من الخطأ والزلل، ولكن كلّما ذكّر نفسه قلّت أخطاؤه حتى يلقى الله وهو مغفور له، وانطبق عليه الحديث المتقدم الذكر.

وهذا الإقرار من قبل العبد لله بالملك، وللنفس بالعبودية والرجوع إليه تعالى، يعدّ أصلاً من أصول الأخلاق؛ لأنّه يميّز المتصّف به عن غيره من حيث تصرّفاته وسلوكه، ولا تعود شهوات الدنيا وزخارفها ومشاكلها تؤثّر فيه، فلا ينفلت بعد لأنّه أضحى دائم الشعور بكونه عبداً ومملوكاً لله تعالى، وإذا كان كذلك فإنّ الله لا يختم على قلبه بل ينوّر قلبه فينتبه إلى المخاطر والمنعطفات والمزالق التي في طريقه فيتجنّبها.

الخلاصة

• كوننا عبيداً لله تعالى هو الواقع شئنا أم أبينا، ولكن الدوافع الأخرى الموجودة تدفعنا إلى عدم الالتفات إلى هذا الواقع أي العبودية، ولذلك تبدو شيئاً نحاول إقحامه على أنفسنا.

• الأمر الآخر الجدير ذكره في المقام أنّ مَن يقرّ بالعبودية لله ويُشعر نفسه بها لا يطرده المولى من رحمته وإن صدرت منه بعض المخالفات لأنّه سرعان ما ينتبه فيعتذر ويعزم على أن لا يعود لمثلها.

• وكما أنّ النور المادي ينفع الإنسان في الدنيا لتمييز العدوّ من الصديق والضارّ من النافع، والهوّة عن الطريق الصحيح فكذلك الحال في المعنويات. وكما أنّ زلّة بسيطة أو انحرافاً ضئيلاً بسبب غفلة ما قد تؤدّي إلى معاناة عشرات السنين – ومثاله مَن يخيط بإبرة فتنحرف قليلاً فتدخل عينه – فكذلك الحال مع الأخطاء المعنوية، فربّ خطأ بسيط أو زلّة صغيرة تجعل الإنسان يعيش الحسرة والندامة في الآخرة أحقاباً.

ومثاله: شخص قد يكون ملتزماً بالواجبات والمستحبات، فتراه يصلّي ويصوم ويزكّي ويتهجّد، ويقوم لصلاة الليل، ولكنه مبتلى بمرض كالغرور أو التكبّر وهو غير قادر على التخلّص منه بسبب عدم تركيزه على العبودية، أو مبتلىً بذنوب أخرى تجعله لا يرى هذا المرض أو لا يحسّ به، فيكون حاله في الآخرة حال ذلك الذي أُصيبت عينه لغفلة منه فظلّ محروماً منها ما تبقّى من عمره.

قال بعض الحكماء: إنّ الله تعالى قال عن الدنيا: إنّ متاعها قليل، أو عبّر عنها بالمتاع القليل، تنزّلاً عند مستوى فهم الإنسان، وتماشياً مع

ضعفه، وإلاّ فإنّ الدنيا ليست بمتاع أصلاً؛ ولذلك عبّر عنها الله تعالى في آيات أخرى بأنها لعب ولهو، كما أنّنا نتكلّم مع الأطفال الذين يلهون باللعب على قدر عقولهم ونسمّي ألعابهم أمتعة لهم، وما هي بمتاع.

فإذا كانت إبرة صغيرة تدخل عين الإنسان تجعله مستعدّاً لبذل الملايين من أجل استرجاعها، فكيف بالغفلة عن الانحراف في الأمور المعنوية والخسارة التي تلحق الإنسان بسببها في الآخرة؟ وهي الحياة الحقيقية التي عبّر الله سبحانه في القرآن الكريم عنها بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[1].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم لنكون من المشمولين بالحديث النبوي: *أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: ... ومَن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون...*

وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

المحاضرة الرابعة عشرة•

كيفية العمل لله تعالى

في ضوء الآية الكريمة

«ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

• يعود تاريخ المحاضرة لعام ١٣٩٨ هـ. وهي من المحاضرات الأخلاقية التي كان يلقيها سماحته على طلاّب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[1].

مقدمة

يحاول الإنسان غالباً أن يُحسن ظاهره، بل هو مجبول على ذلك وعلى إخفاء عيوبه ونواقصه، ولذلك فهو يسعى أن يخفي حقيقته وباطنه لئلا يكتشف الآخرون اختلافه عن ظاهره وما يتظاهر به؛ لأنّ المفترض – عادة – مطابقة الظاهر مع الباطن، وهو الانطباع المأخوذ عن كل إنسان في الوهلة الأولى إلاّ أن يثبت خلافه.

فإذا رأيت شخصاً يواظب على الحضور في صلاة الجماعة، تحكم بأنّه إنسان خيّر وأنّه ملتزم بالحضور إلى صلاة الجماعة بدافع قلبي. وهكذا الحال إذا رأيت شخصاً عالِماً أو شخصاً يرتاد الأماكن المقدّسة

---

(١) يونس: ١٤.

أو المساجد، أو يحضر مجالس العلماء أو يختم القرآن عدة مرات في شهر رمضان، فإنّك ستحمل عن واقعه فكرة إيجابية تحاكي الظاهر نفسه. أي أنّك تعتبر ظاهره هذا دليلاً على أنّه إنسان خيّر في مجمل جوانب حياته.

في بعض خطب الإمام أمير المؤمنين عليّ سلام الله عليه يصف المنافق بقوله: *. . . وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه . . .*[1]، أي جعل ظاهره بنحو يأخذ الناس عنه انطباعاً أنّه رجل خيّر، فيقال: إن الدليل على ذلك التزامه بترك المكروهات فضلاً عن المحرمات، ومواظبته على المستحبات حتى الصغيرة؛ ولذلك تراه إذا مشى لا يمشي بسرعة بل يمشي بوقار وسكينة، موحياً للآخرين أنّ ما يصدر عنه نابع من سكينة القلب في حين إنّه ليس كذلك!

وإذا كان الإنسان قادراً على خداع أخيه الإنسان بظاهره، فإنّه لا يقدر على ذلك مع الله لأنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في الضمائر وما تخفي الصدور، وكما في الحديث الشريف: *إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم*[2].

فكأنّ الله تعالى يقول للإنسان: جمّل باطنك فأنا عالم بالباطن وعلى أساسه سأحاسبك، وكلّ ثوابي وعقابي منصبّ على الباطن وليس الظاهر وحده.

وهذا لا يعني البتة أنّ الظاهر لا ينبغي أن يكون جميلاً، بل المقصود

---

(١) نهج البلاغة: ٧٤ رقم ٣٢، أصناف المسيئين.

(٢) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام، لابن ميثم البحراني: ٣٦.

أن جمال الباطن مطلوب مع جمال الظاهر. فلا عقد سلبٍ هنا للقضية – على حدّ تعبير المنطقيين – بل لها عقد إيجاب كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقولونَ مَا لا تَفعَلونَ * كَبُرَ مَقتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقولوا مَا لا تَفعَلونَ﴾[1]. فهل معنى الآية سقوط الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الشخص الذي يعمل بعض المنكرات؟ أو هل معناه أنّه لا يجوز لشارب الخمر مثلاً أن ينهى غيره عن شرب الخمر؟

كذلك فإن في صيغة التعبير في الآية نوع من التحريض، كما لو قيل للشخص: مادمتَ تأمر بالحسن، فمن الأولى بك أن تأتمر به أوّلاً، أو مادمتَ تنهى عن القبيح فالأحرى أن تنتهي عنه أيضاً! فلا يقال للمصلّي إذا كان شارباً للخمر: مادمتَ تصلّي من جهة وتشرب الخمر من جهة أخرى، فلا تصلِّ إذاً، بل يقال له: مادمتَ تصلّي فانته عن شرب الخمر. وهذا النوع من التحريض والترغيب موجود في العرف أيضاً، ومثاله أن يقال لشخص: لماذا تفعل كذا وأنت ابن فلان؟

أشدّ آية في القرآن

في مجلس ضمّ بعض العلماء والفضلاء دار الحديث عن أشدّ وأشقّ آية في القرآن على الإنسان، فأدلى كلّ بدلوه؛ قال بعضهم: إنّ أصعب آية وأشدّها قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أُمرتَ﴾[2]، فإنّ الاستقامة شاقّة على الإنسان، والدليل على ذلك أنّ فئة قليلة من البشر يستقيمون، فقد روي

---

(١) الصف: ٢-٣.

(٢) هود: ١١٢.

عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله أسرع إليك الشيب؟ قال: *شيّبتني هود* (أي سورة هود)...[١]. قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية كانت أشدّ عليه ولا أشقّ من هذه الآية يعني ﴿**فاستقم كما أُمرتَ**﴾[٢].

أقول: صحيح إنّ الاستقامة صعبة وشاقّة جداً، ولكنّها قد لا تكون كذلك بالنسبة لبعض الأشخاص. ففي بعض الظروف لا يغدو العمل بهذه الآية شاقاً كما لو كان الشخص مجبولاً على التقشّف والزهد بأن يحبّ من أعماقه الأكل الجشب واللباس الخشن ولا يفكّر بالفراش الوثير والدعة والعيش في رفاه، بل هو مصدود عنها على أثر معاشرته الأتقياء والزهاد. فمثل هذا الشخص إذا ابتلي مدّة في مكان لا يوجد فيه أكل لذيذ ولا فراش وثير ولا راحة، تراه يستلذّ بدلاً من التذمّر. ومن هنا لا أرى أنّ هذه الآية أشق آية في القرآن على النفس.

وقال آخرون: إنّ أصعب آية في القرآن قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾[٣].

حقاً فمن ذا الذي يترك كلّ العلائق الدنيوية ويضحّي بها من أجل

---

(١) الخصال: ١ / ١٩٩ ح١٠ باب الأربعة، عنه تفسير نور الثقلين للعروسي: ٤/ ٣٣٤ تفسير سورة هود.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ٥ / ١٩٩ عنه بحار الأنوار: ١٧ / ٥٢.

(٣) التوبة: ٢٤.

الله ورسوله وجهاد في سبيله كلما حصل تعارض بينهما، خصوصاً وأنّ أغلب الناس يضحّون حتى بنفوسهم من أجل هذه الأشياء!! لا شكّ أنّ هذا الموقف يتطلّب بطولة نادرة تجعل من هذه الآية أصعب آية في القرآن.

ولكن بدر إلى ذهني أنه لا تلك أصعب آية ولا هذه بل إنّ الآية التي تأخذ – حسبما أرى – بمجامع القلوب ولابدّ أن تستوقف الإنسان كلّ يوم عشرات المرّات قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. ومركز الصعوبة في الآية كلمة «كيف» فإنّ الملايين من المسلمين يتّجهون إلى القبلة يومياً سواء في صلوات الجماعة أو فرادى.. وكلّهم يصلّون الصلاة نفسها، ولكن ما يختلف فيها هو كيفيّتها. ولعلّ الآلاف يقومون لأداء صلاة الليل في مدينة واحدة كما هو الحاصل في بعض المدن المقدسة، ولكنّها تختلف فيما بينها من ناحية الكيف.

أهمية الكيف

تخبرنا الآية المباركة أنّ الله تعالى لم يقبض أسلافنا لأنّه سبحانه كان ينظر إليهم نظرة سلبية، وأنّه تعالى لم يجعلنا خلائف في الأرض من بعدهم، لأنّ نظرته إزاءنا إيجابية، فلا أولئك أساءوا كافّة فاستحقّوا الإماتة ولا أننا أحسنّا جميعاً فأُعطينا الحياة من بعدهم، بل إنّ الله تعالى أعطى كلاً فرصة في هذه الحياة لينظر كيف نعمل.

والكيف هو المهمّ في العمل، وإلاّ فقد يتشابه عملان من حيث الظاهر، وهما مختلفان في الكيف اختلافاً فاحشاً، وخير مثال على ذلك البون الشاسع بين صلاة أصحاب الإمام الحسين عليه سلام الله في يوم

عاشوراء وبين صلاة عمر بن سعد وجماعته عليهم لعائن الله، فإنّ بينهما ما لا يُحصى من الدرجات.

إذن: الكيف أصعب ما نواجهه يومياً عشرات المرات. فالإنسان يواجه عائلته وأقرباءه وأصدقاءه وأعداءه وأساتذته وطلاّبه، وهو يواجه المال أيضاً ولكلّ منها كيفية في التعامل، كما يختلف بعض الناس عن بعض في كيفية إنفاق المال، وكذلك صرف الوقت. قد يكون هناك شخصان يقرآن القرآن الكريم في آن واحد لكن يوجد بينهما بون شاسع من حيث الكيف، فالأوّل يقرأ ليختمه، بينما الثاني يقرأه لينتبه من غفلته، ولا شكّ أنّ بينهما فرقاً كبيراً مع أنّ كليهما يقرآن القرآن. ومن الأمثلة على ذلك:

• رجلان أنفقا مالهما في سبيل الله، أحدهما أنفق ماله رياءً، والآخر أنفقه تشجيعاً للغير.

• رجلان أدّيا صلاة الليل وكان كلاهما فرحاً بها، الأوّل فرحته فرحة موفقية، أما الثاني ففرحه فرح عُجب! والعياذ بالله.

• ذكرتُ مرّة أنّ اثنين من أئمة الجماعة – في قصّتين مختلفتين ومن بلدين متباعدين – وقعت لهما حادثة متشابهة وهي أنهما تذكّرا في أثناء الصلاة عدم كونهما على الوضوء، مما حدا بكل منهما أن يبطل صلاته – لأنّها لا تعدو صلاة صورية؛ لعدم توفّرها على شرط الصحّة وهو الطهارة – ثم استقبل كلّ منهما المأمومين وهم يواصلون صلاتهم، وقال: أيّتها الجماعة لقد تذكّرتُ أنّي لستُ على وضوء، فأكملوا صلاتكم فرادى.

بيد أنّ الفرق بينهما –كما استمعتُ لقصّة كلّ منهما على انفراد– أنّ

الأوّل عمل ذلك فوراً لئلاّ يوسوس لـه الشـيطان، فكـان إبطالـه لصـورة الصلاة، عملاً خالصاً لله كما يظهر من نقله. أما الثاني فقال: عندما انتبهت أنّي لست على وضوء خجلت أن أعلن ذلك للناس وقلت في نفسي: قد يقول الناس إنه كان متوضّئاً قبل الصلاة ولكن صدر منه أثناء الصـلاة مـا ينقض الوضوء؛ فتدارك الأمر بهذه الصورة!

يقول: عند هذه النقطة بالذات خطرت في ذهني فكـرة، وقلـت فـي نفسي: لا بأس بما يظنّه المصلّون؛ إنّ هذه فرصة جيّدة قد تحقّقـت لـي، وذلك لأنّ المأمومين سيزداد حسن ظنّهم بي ويقولـون: إنّ هـذا الرجـل إمام جماعة متديّن جيداً بحيث إنّه لم يخفِ علينا الواقع خجلاً بل بـادر بإعلانه وتوقّف عن إمامتنا في الصلاة!

فكلا الرجلين قطع صلاته لكونها غير مستوفية لشرط الطهارة، ولكنّ الأوّل قطعها بنيّة رحمانية، بينما الثاني قطعها بنيّة شيطانية، رجاء أن يكثر المأمومون خلفه. وقد بلغني بعد ذلك أنّ المـأمومين قـد كثـروا بالفعـل ووصل الرجل إلى مطلوبه. ولكن شتّان ما بينهما، وسيجازى كلّ حسـب نيّته ولا يجازى الاثنين جزاءً واحداً مع أنّ العمل واحد!

مثال من واقع الحياة

لو اتّفق أن التقيت صديقاً فدعاك إلى وليمة مفاجئة، وكانت الـدعوة مثار دهشتك لأنّه لم يدعُك طيلة عمره. ثم اكتشفتَ عند دخولك داره أنّ الوليمة كانت معدّة بالأساس من أجل صديق حميم لـه وأنّ دعوتـه لـك كانت محض مصادفة، ربما لأنّه فكّر أن ينتهز فرصة متاحة لدعوتك على هامش دعوة ذاك الصديق.. فهل سـيكون امتنانـك لمضـيفك وشـعورك

بفضله كما لو كانت الدعوة موجّهة لك في الأساس واستقلالاً؟!

لاشكّ أنّ الأثر الذي ترتّبه على كلّ حالة يختلف عن الأخرى مع أنّ الصورتين واحدة في الظاهر. فكلاهما دعاك إلى موضوع واحد، وربما كان الطعام عند الأوّل أدسم، ولكنّك لا تنظر إلى الطعام أو الصورة بل إنّ نظرك يتّجه إلى القلب في حال أردتَ أن ترتّب الأثر.

من علامات الكيف المقبول

ذكر بعض علماء الأخلاق علامات للكيف المطلوب والمقبول في عمل ما، في قوله تعالى: ﴿لننظر كيف تعملون﴾ منها: أن لا تتزعزع ثقة العبد بالله على أثر تبدّل حال قدوته وشيوخه في الدين أو انحرافهم[1].

أعرف شخصاً كان من المؤمنين الأخيار، أو هكذا كان يبدو من أفعاله، كإنفاقه وبذله في سبيل الله وتعامله الحسن مع الناس، وتصرّفاته العامة حيث كان يظهر منها أنّها منبعثة عن نفس مؤمنة، وهذا الأمر صار سبباً لأن يتأثّر به كثير من الشباب، وكان من جملتهم شابّ تأثّر به إلى حدّ كبير حتى صار من المؤمنين الملتزمين.

ولكن اتّفق بعد مدّة أن صدرت من ذلك الشخص بعض زلاّت،

---

(١) لا شكّ أنّ المعصومين سلام الله عليهم مستثنون من هذا الأمر أي من الزلّة والانحراف لأنّ الله تعالى هو الذي عصمهم وطهّرهم فلا يتصوّر انحرافهم أصلاً؛ روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر: يا عمار إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس كلّهم وادياً فاسلك مع علي فإنّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس: ٢٤- ٢٥، عنه بحار الأنوار: ٣٨ / ٣٨)؛ ما يعني أنّ المعصوم هو مقياس الحقّ، لكنّ هذا لا يصدق في غير المعصوم، فلا ينبغي للمؤمن أن يتغيّر وتضعف ثقته بالله إذا رأى بعض الكبراء في الدين يزلّ أو ينحرف أو تضعف ثقته بالله.

فكان لها أثر سيئ في ذلك الشابّ حيث ترك الإيمان بعد أن عاش في ظلّه عدة سنوات، مما يدلّ على أنّ كيفية ارتباطه بالله كانت مختلّة، فلم تكن خيوطه معقودة بالله بل بذلك الرجل. ولو كان ارتباطه بالله حقاً لما تغيّر، وما كان ينبغي له أن يحدث ذلك ضعفاً ووهناً في ثقته وإيمانه بالله.

هناك ظاهرة خاطئة في المجتمع، وهي أنّ كثيرين من الناس يقولون إذا كان فلان ـ مع ما له من المقام الاجتماعي أو العلمي أو الديني ـ يعمل المنكرات أو في حياته زلات، فماذا تتوقّعون منّا نحن الناس العاديين؟

لا شك أن هذا الكلام ليس صحيحاً، بل هو يمثل ظاهرة خاطئة، ويدلّ على أنّ قلب المتفوّه به غير مرتبط بالله، بل بغيره، وكأنه قد نسي أن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوبنا ولا ينظر إلى صورنا! كما تقدّم آنفاً .

إننا نتبع علماءنا وقادتنا ونتعلّم منهم، ولكن لو انحرف أيّ منهم بمقدار أنملة فلا ينبغي لنا أن ننحرف معه وإن كان هو السبب في هدايتنا؛ وذلك لأنّ القلب يجب أن يرتبط بالله تعالى والله ينظر إلى قلوبنا إن كانت مرتبطة به أم لا؟ فإن كانت مرتبطة به وحده فهو الكيف المطلوب الذي خُلقنا من أجله حيث قالت الآية: ﴿لننظر كيف تعملون﴾، وإلاّ فلا فائدة ترتجى في العمل.

مثال مادّي: والغريب أنّ هذا الأمر ندركه جيداً ونمارسه في المادّيات، ولكن إدراكنا له في الأمور المعنوية صار صعباً؛ لضعف تأمّلنا. ومثاله المادّي لو أنّ صديقاً أرشدك إلى محلّ لبيع بضاعة بسعر أرخص

ونوعية أجود مما كنت تشتريها من محلّ آخر لا علم لك بـه، فـلا شـكّ أنّك ستتحوّل إلى ما أرشدك صديقك إليه وتكون شـاكراً لـه أن هـداك إليه.

ولو افترضنا أنّ صديقك امتنع بعد مدة عن التسوّق من صاحب هـذا المحلّ وبدأ يطعن في بضاعته لسـبب مـن الأسـباب، فهـل ستسـتجيب وتترك التسوّق من هذا المحـلّ مـع أنّ بضـاعته أجـود وأرخـص، أم لا تكترث بتغيّر حال مَن أرشدك إليه لأنّه كان مصيباً في ما هداك إليه، ولا تعلم سبب طعنه به مادامت بضـاعته علـى مـا هـي عليـه مـن الـرخص والجودة؟

لا شكّ أنّ تصرّفك سيكون هو الثاني؛ والسبب في ذلك أنّ ارتباطك وعلاقتك التسوّقية ليست بهذا الصديق الذي كان واسطة أوّل الأمـر، بـل بصاحب المحلّ نفسه، ولا داعي لتخريبها مادمت لمستَ بنفسك صـدقه ورخْصَ بضاعته وجَودتها.

المؤمن يرتبط قلباً بالله لا بغيره

إذا كان الأمر هكذا فـي المادّيـات، فلمـاذا إذاً تنحـرف الأمـم غالبـاً بانحراف قادتها؟ الجواب: لأنّ الناس في العادة متمـاثلون فـي المادّيـات ولكنّهم قليلو المعرفة في المعنويات.

إذن، من علامات الكيف المقبول للعمل وارتباطه بالقلـب هـو أن لا ينحرف الإنسان حتى إذا انحرف الأشخاص الذين يعتبـرهم قدوتـه فـي الإيمان والتقوى والعلم، ولا يُحدث انحرافهم أدنى ثغرة فـي إيمانـه وإن كان ارتباطه بالله قد تمّ بواسطتهم. إلا أن يكون إيمانه مستودعاً ويتقلـب

مع الزمن، كما روي عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فمستقرّ ومستودع﴾ أنه قال: *فالمستقر ما ثبت من الإيمان، والمستودع العار...*[1] وهذا يعني أنّ ارتباطه ليس بالقلب، وإنّ الله لا يقبل هذا الإيمان من صاحبه، لأنّه ليس الكيف المطلوب.

فلنختبر قلوبنا، ونتصوّر لو أنّ فلاناً الذي نعتقد بإيمانه المتفوّق علينا منذ أكثر من خمسين سنة مثلاً، ظهر لنا في يوم ما أنّه كان مرائياً، فهل سنزلّ ويتزعزع إيماننا، أم سنواصل المسير لأنّنا نعتقد أنّه هدانا إلى الطريق الصحيح وإن انحرف بعد ذلك، فنأسى لحاله دون أن يفتّ في عزيمتنا وثقتنا بالله تعالى؟!

إنّ الإنسان إذا وجد الحقيقة فهل سيكترث بالأمور الاعتبارية بعد ذلك؟ وإذا كانت الأمور الاعتبارية تتغيّر وتختلف في أسعارها وقيمها حسب العرض والطلب في السوق - كالثلج الذي يرتفع سعره في الصيف خاصة إذا اقترن بانقطاع التيار الكهربائي وينخفض في الشتاء لقلّة الطلب عليه - فإنّ الحقيقة لا تغيّر فيها، والله تعالى هو الحقيقة المطلقة، لأنه تعالى هو غاية الغايات، ومنبع كلّ خير.

لو أنّ قلوبنا ارتبطت حقاً بالله فهي لا تتغيّر بتغيّر القلوب الأخرى وإن كانت – كما كنا نراها قبل انحرافها - أحسن حالاً منا. ولئن قيل: *إذا زلّ العالِم يزلّ بزلّته العالَم*[2]، فنرجو أن لا نكون ممّن يتأثّرون بزلّة

---

(١) قرب الإسناد لأبي العباس القمي: ٢٠٣، عنه بحار الأنوار: ٦٦ / ٢١٢، ح٦.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما أتخوّف على أمّتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتّبعوا زلّة العالِم أو يظهر فيهم المال حتى أنّه يطغوا ويبطروا» الخصال: ١ / ١٦٤، ح٢١٦.

العالِم، لأنّ ذلك دليل على خلل في كيفية ارتباطنا بالله تعالى.

إنّ مَن وجد الله تعالى لا يكترث بعد ذلك بما حصل لزيد أو عمرو. تعلّم من زيد وعمرو إن كانا أهلاً لذلك وأرشداك إلى الإيمان وبصّراكَ منبع الخير، ولكن بعد أن وجدتَ منبع الخير وهو الله تعالى وثّق اتصالك به واستعِن به دائماً واستعذ به من الشرور ومن الشيطان ومن النفس الأمارة حتى لا تتأثر حالك ونيّتك وإخلاصك بتغيرات أحوال الآخرين.

فلو كان شخص ما بنظرنا أكبر قدّيس أو عابداً ثم زلّ أكبر زلّة فيجب أن لا يتغيّر إيماننا، إلاّ أن يكون إيماناً صوريّاً، ولنعرف أنّ الله ينظر إلى قلوبنا، وأنّه بمقدار لياقتنا يعطينا توفيقاً وقابلية وسعادة، إذ ليس من الحكمة – والله أحكم الحاكمين – أن يعطي إنساناً فوق لياقته واستحقاقه.

فإذا كنّا نحن البشر على صغر عقولنا نحاول أن لا نعمل ما ليس بحكمة فكيف نتوقع ذلك من الله سبحانه؟!

أمثلة:

- إذا لم يكن إمام الجماعة عادلاً فنحن لا نأتمّ به، وهذه من الحكمة قبل أن تكون تشريعاً فقهياً.
- إنّنا لا نسلّم ثروة بالملايين لسفيه لأنّه ليس من الحكمة فعل ذلك، فكذلك لا يسلّمنا الله الجواهر الثمينة ما لم نكن لائقين بها.

لابد أن يكتشف الإنسان في الآخرة سبب عدم استجابة دعائه في الدنيا ويعلم لماذا لم يكن لائقاً للاستجابة.

الرب أعرف بمصلحة المربوب وحاله

من مشاهدات الحياة الاجتماعية أنّ بعض الأطفال يتوسّل إلى أبيه أن لا يسجّله في المدرسة ويقول: إنّي لا أحب الدراسة ولا أريد أن أصبح طبيباً مثلاً، فيقول له الأب: قد تصبح ذا مهنة وضيعة إذاً، فيقول الطفل: لا بأس. وهنا قد يجبر الأب ابنه وربما يضربه لحمله على الدراسة، ولا يفهم الطفل أنّ أباه إنما يفعل ذلك من أجل مصلحته إلاّ بعد أن يكبر، وحينذاك يدرك الطفل أنّه لم يكن من الصحيح أن يستمع أبوه إلى كلامه ويعمل ما يتمنّاه بأن لا يسجّله في المدرسة ويدعه يلعب ويرتاح. ولو فعل الأب غير ما فعل واستجاب لرغبات ابنه، فلربما لعن الابن أباه حين يكبر ويرشد.

قيل إنّ حمّالاً سُئل: مَن أنت؟ فقال: ابن فلان – وكان أبوه معروفاً – فقال له السائل: نعمَ الأب وبئس الولد.

فقال بل قولوا: نعمَ الجدّ وبئس الأب، وذلك لأنّ جدّي عني بشأن أبي فبلغ ما ترون، أمَا أبي فأهمل أمري فصرت حمّالاً.

والحقّ برأيي مع الحمّال، وكلامه أجمل من الكلام الذي قيل له.

لنهتمّ إذاً بكيفية أعمالنا وبنيّات قلوبنا لنزداد ثقة وإيماناً بالله ولا نضعف لو انكشف لنا ضعف إيمان قادتنا أو معلّمينا أو مَن عرّفونا بالله. فإنّ مَن يبلغ الهدف حقّ أن يتمسّك به ولا يكترث بمَن تخلّى عنه بعد أن أوصله إليه.

أسأل الله التوفيق لي ولكم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة الخامسة عشرة•

تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له

(بحث الزهد)

في ضوء الآية الكريمة

«لِكَيْلا تَأسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»

• يعود تاريخ المحاضرة لعام ١٣٩٨ هـ. وهي من المحاضرات الأخلاقية الأسبوعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.[1]

الزهد بين كلمتين من القرآن

روي عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في تفسير هذه الآية المباركة أنّه قال: *الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه:* ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ *ومَن لم يأسَ على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه*[2].

فليس الزهد أن تمتنع عن الطعام والشراب أو التملك أو النكاح، بل حقيقة الزهد أن لا تأسى ولا تحزن على ما فاتك من ثروات وقدرات مهما كان نوعها، ولا تفرح بما أوتيت مثل ذلك.

وهذه منزلة لا يبلغها المرء بسهولة بل لابدّ له أوّلاً من تمرين متواصل وترويض مستمرّ باستحضار المعنى الذي تحمله الآية المباركة

---

(١) الحديد: ٢٣.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥٣ رقم ٤٣٩، الكلمات القصار.

دائماً في مختلف القضايا والأحداث، حتى تصبح الحالة ملكة عنده. ولا شكّ أنّ الآية لا تعني عدم التأثّر مطلقا، فإنّ الإنسان بطبعه يحزن إذا فقد شيئاً عزيزاً، كما يفرح إذا أوتي خيراً سواء كان مادياً أم معنوياً. إنما تنهى الآية عن الحالة التي تكشف عن عبودية النفس لتلك الأشياء، وتدعو الإنسان لتحرير نفسه من هذا الرق.

التغيير ممكن

إذا كان الإنسان قد جبل على الحزن لفقد شيء ما - ولو قصيدة حفظها عن ظهر قلب ثم نساها - أو الفرح بما كسب، فهل يستطيع أن يغيّر نفسه بأن يجعلها لا تحزن على ما فاتها ولا تفرح بما أوتيت؟

صحيح أنّ التغيير صعب ولكنّه ممكن. ولئن قيل في المثل الشعبي: «إنّ الطبع الذي في البدن لا يغيّره إلاّ الكفن» أي لا يتغيّر حتى الممات، فإنّ هذا إنما يصدق على الإنسان المسلوب الإرادة، وليس على العالِم صاحب الإرادة والوعي. هذا أوّلاً.

وثانياً ليس المقصود تغيير جذور الطبيعة والعنصر الثابت فيها، بل المقصود التحكّم في درجات الشدّة والضعف والآثار واللوازم التي تترتّب عليها. فنفوس الناس ميالة في الغالب للدعة والراحة، ولا رغبة لها في الأعمال التي تتطلّب جهداً مضاعفاً كطلب العلم مثلاً، ولكنّا نرى بعضهم يتغيّر بفعل الضغوط المختلفة سواء من ذاته أو من الآخرين، فيشمّر عن ساعد الجدّ ويصبح عنده شوق إلى الدراسة بحيث يتحمّل سهر الليالي وشظف العيش من أجل الوصول إلى هدفه.

أجل، يختلف الناس في سرعة التغيّر وشدّته. فبعض الطباع تتغيّر

بسرعة وبعضها يتغيّر ببطء. وكلما استحضر الإنسان المنافع التي سيجنيها أو المضارّ التي سيدفعها من خلال التغيير، زاد من سرعة تغيّره.

وكما تختلف النفوس في هذا، فكذلك تختلف الغرائز والطباع في قوّتها وضعفها، فلقد أُثر أنّ *آخر ما يخرج من قلب المؤمن حب الجاه*، وهذا يعني أنّ حب الجاه من الطبائع الأصيلة والقويّة عند الإنسان.

وكذلك قد تختلف ظروف البيئة والتربية وعوامل الوراثة وغيرها، إلاّ أنّ الأمر المسلّم أنّ أصل التغيير ممكن.

التأسّي بأهل البيت سلام الله عليهم

لقد روي أن أحد أبناء الإمام الباقر سلام الله عليه مرض فاهتمّ به الإمام وحزن عليه، فلما مات خرج على أصحابه منبسط الحال وقال لهم: *إنّا لنحبّ أن نعافي فيمَن نحبّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فيما أحَبّ.* وقريب من ذلك قضية للإمام الصادق سلام الله عليه[1].

الاعتبار بقصص الآخرين

أ. لا تفرحوا بما آتاكم

• روي أنّ شخصاً فقيراً وصله مال كثير، فخشي ذووه أن يصعق من الفرح إن أخبروه بالأمر دفعة، فانتدبوا طبيباً نفسياً للقيام بهذه المهمة، ففكّر الطبيب أن يقسّط عليه الخبر، وقال له: يا فلان هب أنّك حصلت على عشرة دراهم مثلاً، فماذا أنت فاعل بها؟ قال: كذا. قال: هب عشرين

(١) الكافي: ٣ / ٢٢٦ ح ١٣ و ١٤.

درهماً؟ قال: كذا. قال: فثلاثين. قال: كذا... فمازال يصعد به حتى وصل إلى مئة ألف مثلاً. فقال: هـذا لا يحصـل. قـال الطبيـب: ومـا عليـك أن تتصوّر ذلك؟ قال: هذا مبلغ كبير! قال: فكيف بك إن كان أكبر؟ قال: كـم مثلاً؟ قال مئتي ألف. قال: لا تمـزح ودعنـي وشـأني. فقـال لـه الطبيـب المخبر: لستُ مازحاً. فقال الفقير: ومن أيـن يـأتيني هـذا المبلـغ؟ وهنـا استعدّ الطبيب لإخباره بحقيقـة الأمـر، فقـال: مـاذا تعطينـي لـو بشّـرتك بحصولك على مليون دينار مثلاً؟ قال الفقير الذي لم يصدّق بعدُ: أعطيك نصفه. قال له الطبيب: اختم لي هذه الورقة إذاً. وما إن ختم الفقير الورقة حتى سقط الطبيب ومـات، لأنّـه لـم يتحمـل صـدمة الفرحـة المفاجئـة بحصوله على نصف مليون دينار غُنماً!

ويبدو أنّ هذا الطبيب كان قد تعلّم الطب النفسـي لغيـره فقـط ولـم يتعلّمه لنفسه، وبين الحالتين فرق كبير. فربّ واعظ يجيـد وعـظ غيـره، فهو يحفظ آيات وأحاديث وقصصاً وأمثالاً وعِبَراً وينقلها بصـورة مرتّبـة مؤثّرة، ولكنه غير متّعظ بها لأنّه اتّخـذ الـوعظ مهنـة أو وسـيلة لتحقيـق مآرب له، فهذا علمه لغيره وليس لنفسه.

ب. لا تأسوا على ما فاتكم

• أذكر أنّ شخصين كانا يتنازعـان علـى أراضٍ واسـعة كـلّ يـدّعي ملكيتها. وانتهى نزاعهما إلى المحاكم، واستمرّا علـى هـذه الحـال زهـاء خمس عشرة سنة. وأخيـراً أصـدرت المحكمـة النهائيـة حكمـاً لصـالح أحدهما، وخسر الآخر القضية.

وكان وقْع الحكم على خاسر القضية شديداً لدرجـة أنّـه شُـلّ ولـم

يستطع حراكاً، فحُمل إلى بيته، وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة!

• كما أذكر أنّي رأيتُ طفلاً يكره الذهاب إلى المدرسة - كما هو حال كثير من التلاميذ في أوّل سنة دراسية لهم، حتى أنّ بعض الأطفال كان يتمنّى موت المعلّم لكي يستريح ولو يوماً من الذهاب إلى المدرسة. وأذكر أنّ أحد أصدقاء الطفولة كان ينذر بأن يتصدّق بمصروفه اليومي إذا ما مرض المعلّم. وكان معلّم الصف واحداً في العادة، فإذا ما غاب أو انشغل عاد التلاميذ إلى بيوتهم وتعطّلت حصصهم كلّها -.

قيل للطفل: لا تذهب اليوم إلى المدرسة؛ لعذر ما. ففرح الطفل وجلس إلى المائدة لتناول الطعام، وبينما هو يأكل إذ أُخبر أنّ عليه أن يذهب إلى المدرسة؛ فربما زال العذر. فلم يستطع الطفل أن يبتلع اللقمة التي كانت في فمه وغصّ بها لأنّه شعر أنّ الراحة قد فاتته. وعندما رأى الأهل ما حلّ به قالوا له: لا بأس، لا تذهب. فجلس يأكل ثانية فرحاً مسروراً!

قد يستغرب بعض الناس من حالة هذا الطفل أو يضحك، ولكنّه إذا عاد إلى نفسه وجدها لا تختلف عنه إلاّ في الموضوع الذي يحزن بسببه أو يفرح بحصوله. فالمستوى يختلف أما أصل الطبع فواحد.

فصاحب المليون دينار قد لا يحزن إذا ضاع منه دينار واحد ولكنّه يحزن لضياع الألف. أما صاحب المئة فيحزن حتى لضياع الدينار الواحد.

السبيل إلى التغيير

إذا كان الأمر كذلك، فكيف يستطيع الإنسان أن يكيّف نفسه لكيلا تأسى على ما فاتها ولا تفرح بما أوتيت؟

للإجابة نقول: هناك طريق واحد، حيث كلّ الطرق ترجع إليه، وهو ما افتتحنا به الحديث، بأن يتذكّر الإنسان دائماً أنّ كلّ شيء أمانة في رقبته وعارية لديه، وأنّ الأمانة لابدّ من إرجاعها يوماً إلى صاحبها ومالكها الحقيقي. فالمال أمانة والعلم أمانة والجاه أمانة وكذا الصحّة والأولاد والأهل والزوجة والعقار وجسمه وروحه وكلّ شيء عنده هو أمانة، فلا ينبغي له أن يحزن لفقدها لأنها أمانات، حتى السفر مثلاً لو كانت وسائله مهيّأة له ولكنه لأسباب لم يتحقق لا ينبغي له أن يحزن لأنّه كان أمانة!

وإذا استطاع الإنسان أن يركّز على هذا الأمر فستخفّ الوطأة عنده شيئاً فشيئاً حتى يبلغ مرتبة يصدق عليه أنّه لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما أتاه.

فإذا تألّم الإنسان لفقدان بعض الأشياء – كالصحّة مثلاً – فهذا يعدّ أمراً فطريّاً، ولكن الرياضة النفسية تخفّف الوطأة على الإنسان وتزيل الألم المضاعف. فتارة يتألم الإنسان بدنياً بسبب مرض ألمّ به، وتارة يتألم نفسياً نتيجة الشعور بفقدان الصحة، وهذا أيضاً شيء طبيعي، ولكن التركيز على الألم النفسي والتحسّر وما أشبه هي الأمور التي تنهض التربية بإزالتها كلّما تذكّر الإنسان أنّ كلّ ما يملكه حتى صحّته وبدنه وروحه أمانة عنده وليس هو مالكها الحقيقي.

ينبغي أن نعرف أنّه حتى صحّتنا أمانة ينبغي المحافظة عليها من جهة، ولا ينبغي أن نقتل أنفسنا حسرة إذا ما استُرجعت منّا. ولذلك ورد في الحديث القدسي: *يا محمد، احبب مَن شئت فإنّك مفارقه، واعمل*

ما شئت فانك ملاقيه[١].

وهذا لا يعني أنّ الإنسان لا ينبغي له أن يحزن لمفارقته الأحبّة، ولكن فرق بين ذلك وبين أن يحزن ويسخط أو يعترض على حصول الحالة.

ولتوضيح المسألة أذكر لكم الصوم مثلاً، فإنّ الإنسان الصائم يتألم ألم الجوع ولكن لا ينبغي أن يتألم على الجوع نفسه فيقول: لماذا أنا جائع أو لماذا ينبغي أن أكون جائعاً ويتحسر على الطعام! فألم الجوع ذاتيّ لا يمكن تغييره، ولكن الألم على حصوله أمر غير مقبول ويمكن تغييره، بل يجب القضاء على هذا الإحساس أو تقليله إلى أدنى درجة ممكنة.

وهكذا الحال بالنسبة لمن يفقد عزيزاً أو مالاً أو جاهاً أو حتى علماً، فقد يحفظ أحدكم قصيدة أو كتاباً ثم تعرض له أمور فينساها ويتألّم. وألمه هذا ليس ذاتياً بل هو عرضيّ بسبب فقدانه ما كان يحفظه، وهذا يمكن أن يزول بتذكّر أنّ كلّ شيء لدى الإنسان هو أمانة لابدّ أن يفارقها يوماً ما .

في تربية النفس صلاح الدنيا والآخرة

• فمَن ربّى نفسه على هذه الشاكلة صلحت آخرته ودنياه، لأنّ مشاكل الدنيا ليست بيد الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشرّ

(١) أمالي الطوسي: ٢ / ٢٠٣، مجلس يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين وأربعمئة.

والخير فتنة﴾[1] إلا أن آلية التعامل معها تعتبر من صميم إرادة الإنسان، وعليه فليتذكّر الإنسان أنّ كلّ بلاء ينزل عليه في الخير أو الشرّ إنما هو بقضاء من الله وقدر، وإذا ما عرف الإنسان هذا عندها يهون البلاء ويخفّ، فيشعر بالسعادة وينجح في الاختبار، فتصلح آخرته ودنياه معاً.

والشيء نفسه يصدق على الأفراح، فإنّها قد تأتي الإنسان من دون اختياره، فليوطن نفسه على أنّها زائلة يوماً ما وأنّها لا تعني كلّ شيء وأنّه لا ينبغي أن تستعبده وتستملكه.

فإذا كان الإنسان كذلك يكون قد جمع الزهد من طرفيه كما قال سيد العارفين الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: *الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن*. فهاتان الجملتان سُلّم إلى الرضا بقضاء الله تعالى، وهو أرفع درجات الإيمان أو كما قيل هو الدرجة العاشرة من درجات اليقين.

• فما أحوجنا لهذا التغيير وهذا الإعداد، لئلاّ يكون مثَلنا مثَل ذلك الطبيب الذي تقدّمت قصته.

فنحن من جهة لنا مشاكلنا الشخصية ونحتاج لأن نربّي أنفسنا لبلوغ درجة الرضا بقضاء الله عزّ وجلّ، فلا نقول أو نفعل ما يسخط الله نتيجة التأثّر والانفعال لما قد يصيبنا، بل علينا أن نذكّر أنفسنا دائماً بأنّ ما من خير ننالة فهو من الله تعالى، بمعنى أنه أمانة عندنا، لابدّ أن نفارقها يوماً ما، فلا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا.

هذا بالإضافة إلى المشاكل الاجتماعية. فالأجواء هذه الأيام ملوّثة والنواحي الاجتماعية موبوءة، قد ضعف فيها الوازع الديني، وقوي حبّ

---

(١) الأنبياء: ٣٥.

الدنيا في النفوس، فمسّت الحاجة إلى واعظين متّعظين وعلماء دين عاملين، وأطباء روحيين أكثر فأكثر.

وهذا يعني أنّ مسؤوليتنا قد تضاعفت في المجتمع لنحول دون اغترار أفراده – وأنفسنا أيضاً – بالمال أو الجاه أو السمعة. فربما لا يُصعق بعضنا ويموت لو فاتته الملايين من الأموال أو جاءته بغتة، ولكن قد لا نكون كذلك لو امتُحنّا في الجاه والمكانة الاجتماعية.

المطلوب من كلّ إنسان أن لا يفرح أو يأسى على شيء ما يحبه ويهواه، وعليه أن يتذكّر دائماً أنّ كلّ النعم التي عنده هي من الله عزّ وجلّ، فإن تجدّدت فهي نعمة أخرى ينبغي الشكر عليها، وإن زالت فهذا شأن الدنيا ونعيمها، فكلّها أمانة عند الإنسان لابدّ أن يفارقها يوماً ما سواء تأخّر أو تقدّم.

• هذه الأمور قولها سهل، والاستماع إليها أسهل، ولكن المهم هو العمل، وهذا يحتاج إلى تمرين وتذكّر دائم، والإنسان إذا سار في طريق الله تعالى فإنّه يعينه بلا شكّ، وقد وعد الله المؤمنين ذلك، إذ وعدهم بالنصر إن جاهدوا في سبيله، سواء كان جهاد العدو الخارجي أو في الجهاد للتغلّب على العدو الداخلي وهو النفس، وهذا ما سمّاه النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر؛ فإنّ المؤمن إذا استعان بالله وسار في طريق جهاد نفسه، أتاه المدد والنصر من عند الله عزّ وجلّ.

• ولنا في أولياء الله الذين وصلوا هذه المراحل العالية – ناهيك عن المعصومين – خير دليل على إمكان التحقق. فما الفرق بيننا وبين السيد بحر العلوم – مثلاً – أو الشيخ الصدوق أو السيد الرضي رضوان الله تعالى عليهم جميعاً؟ فقد كانوا أناساً عاديين أي غير معصومين ولكنهم بتربيتهم

أنفسهم أصبحوا أولياء غير عاديين تُنقل عنهم الأعاجيب! وهم الذين عن طريقهم وصل إلينا التراث الإسلامي الموجود بين يدينا.

فكيف صاروا هكذا ولم يكونوا معصومين؟ نقول في الجواب: إنّهم ساروا في الطريق متوكّلين على الله تعالى ومستعينين به فأعانهم ونصرهم على أنفسهم حتى بلغوا ما بلغوا من العلم والدين.

لقد كان الشيخ آغا رضا الهمداني رضوان الله عليه عالماً جامعاً وأستاذاً مبرّزاً، بلغ مشارف المرجعية، فأُصيب بمرض السلَ، ولم يتمكن بعد ذلك من التصدي للمرجعية ولا مواصلة التدريس فجلس في بيته وتفرّغ للتأليف فكتب «مصباح الفقيه» في ثلاثة مجلدات. وكان أحد تلاميذه يقول: هذا لطف من الله تعالى للشيخ لأنّه أغنى بقلمه أكثر مما أفاد بلسانه.

فلنفرض الآن أنّ أحدنا درس كلّ هذه المدّة – خمسين سنة مثلاً – وأتعب نفسه وسهر الليالي يطلب العلم ويطوي المراحل، حتى إذا صار على أبواب قطف الثمار وإغناء المجتمع أُصيب بالمرض وقعد في البيت عاجزاً عن مواصلة أيّ نشاط، فهل سيأكله الحزن أم يتذكّر أنّ كلّ ما وُهب فمن الله تعالى وأنّه كان أمانة عنده وبالتالي لا ينبغي له أن يأسى على ما فاته؟!

لا شكّ أنّ المطلوب هو الثاني مادام الإنسان خُلق للامتحان. فلا طريق أمام الإنسان المؤمن سوى هذا، وبه يحفظ دينه ودنياه. فما أدرى المرء بما خبّأه الدهر له؟ ومَن يعلم بالآتي في حياته؟

فلنمرِّنْ أنفسنا من الآن إذاً ولنكن مستعدّين للامتحان أبداً، وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين سلام الله عليه: *إن صبرت جرى عليك القدر*

وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور[1].

ولا حاجة لأن تشرّق أو تغرّب بعد ذلك وقد أخبرك الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه حيث قال: *الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه:* ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ *ومَن لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.*

بل اسعَ لبلوغهما من خلال التذكّر بانّ كلّ ما عندك فهو أمانة وأنت مفارقها يوماً ما، فإن فكّرت هكذا فستُحلّ كثير من مشاكلك وتحتفظ بدينك ودنياك وتُسعد بهما.

أسأل الله تعالى التوفيق لي ولكم. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

---

(١) نهج البلاغة: ٥٢٧ رقم ٢٩١ الكلمات القصار.

المحاضرة السادسة عشرة

الورع عن محارم الله تعالى

في ضوء خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك

• من محاضرات سماحته في استقبال شهر رمضان، ألقيت عام ١٣٩٨ هـ. على طلاّب العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

تضمنت الخطبة الشهيرة التي ألقاها رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر جمعة من شهر شعبان في استقبال شهر رمضان المبارك فضائل كثيرة[1]

---

(١) مما جاء في هذه الخطبة الشريفة:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ الله بِالْبَرَكَة والرَّحْمَة والْمَغْفرَة شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ الله أَفْضَلُ الشُّهُور وأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الأَيَّام ولَيَاليه أَفْضَلُ اللَّيَالي وسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَات. هُوَ شَهْرٌ دُعيتُمْ فيه إِلَى ضيَافَة اللَّه وجُعلْتُمْ فيه منْ أَهْل كَرَامَة الله. أَنْفَاسُكُمْ فيه تَسْبيحٌ ونَوْمُكُمْ فيه عبَادَةٌ وعَمَلُكُمْ فيه مَقْبُولٌ ودُعَاؤُكُمْ فيه مُسْتَجَابٌ فَاسْأَلُوا الله رَبَّكُمْ بنيَّات صَادقَة وقُلُوب طَاهرَة أَنْ يُوَفّقَكُمْ لصيَامه وتلاوَة كتَابه، فَإِنَّ الشَّقيَّ مَنْ حُرمَ غُفْرَانَ اللَّه في هَذَا الشَّهْر الْعَظيم، واذْكُرُوا بجُوعكُمْ وعَطَشكُمْ فيه جُوعَ يَوْم الْقيَامَة وعَطَشَهُ، وتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائكُمْ ومَسَاكينكُمْ ووَقّرُوا كبَارَكُمْ وارْحَمُوا صغَارَكُمْ وصلُوا أَرْحَامَكُمْ واحْفَظُوا أَلْسنَتَكُمْ وغُضُّوا عَمَّا لا يَحلُّ النَّظَرُ إِلَيْه أَبْصَارَكُمْ وعَمَّا لا يَحُلُّ الاسْتمَاعُ إِلَيْه أَسْمَاعَكُمْ، وتَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَام النَّاس يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامكُمْ، وتُوبُوا إِلَى الله منْ ذُنُوبكُمْ وارْفَعُوا إِلَيْه أَيْديَكُمْ بالدُّعَاء في أَوْقَات صَلاتكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَات، يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فيهَا بالرَّحْمَة إِلَى عبَاده يُجيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ ويُلَبّيهمْ إِذَا نَادَوْهُ ويُعْطيهمْ إِذَا سَأَلُوهُ ويَسْتَجيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بأَعْمَالكُمْ فَفُكُّوهَا باسْتغْفَاركُمْ، وظُهُورَكُمْ ثَقيلَةٌ منْ أَوْزَاركُمْ فَخَفّفُوا عَنْهَا بطُول سُجُودكُمْ، واعْلَمُوا أَنَّ الله أَقْسَمَ بعزَّته أَنْ لا يُعَذّبَ الْمُصَلّينَ والسَّاجدينَ وأَنْ لا يُرَوّعَهُمْ بالنَّار يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لرَبّ الْعَالَمينَ. أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ فَطَّرَ منْكُمْ صَائماً مُؤْمناً في هَذَا الشَّهْر كَانَ لَهُ بذَلكَ عنْدَ الله عتْقُ

ولكننا سنتناول في بحثنا هذا نقطتين هما:

الأولى: قوله صلى الله عليه وآله: *فإنّ الشقي مَن حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم*.

الثانية: الورع عن محارم الله، حيث سأله الإمام علي سلام الله عليه عن أفضل الأعمال في هذا الشهر، فأجاب صلى الله عليه وآله: *الورع عن محارم الله*.

١- من هو الشقي

أما عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: *الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم*. فقد قال علماء البلاغة: إن الجملة هنا تدلّ على الحصر، أي إن الشقيّ هو مَن حُرم غفران الله في شهر رمضان المبارك

نَسَمَة ومَغْفرَةٌ لمَا مَضَى منْ ذُنُوبه.

قيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه فَلَيْسَ كُلُّنَا نَقْدرُ عَلَى ذَلكَ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشقّ تَمْرَة، اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشَرْبَة منْ مَاء. أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَسَّنَ منْكُمْ في هَذَا الشَّهْر خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاط يَوْمَ تَزلُّ فيه الأَقْدَامُ، ومَنْ خَفَّفَ في هَذَا الشَّهْر عَمَّا مَلَكَتْ يَمينُهُ خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْه حسَابَهُ، ومَنْ كَفَّ فيه شَرَّهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ أَكْرَمَ فيه يَتيماً أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ وَصَلَ فيه رَحمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ برَحْمَته يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ قَطَعَ فيه رَحمَهُ قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، ومَنْ تَطَوَّعَ فيه بصَلاة كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً منَ النَّار، ومَنْ أَدَّى فيه فَرْضاً كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدَّى سَبْعينَ فَريضَةً فيمَا سوَاهُ منَ الشُّهُور، ومَنْ أَكْثَرَ فيه منَ الصَّلاة عَلَيَّ ثَقَّلَ اللَّهُ ميزَانَهُ يَوْمَ تَخفُّ الْمَوَازينُ، ومَنْ تَلا فيه آيَةً منَ الْقُرْآن كَانَ لَهُ مثْلُ أَجْر مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ في غَيْره منَ الشُّهُور. أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ أَبْوَابَ الْجنَان في هَذَا الشَّهْر مُفَتَّحَةٌ فَاسْأَلُوا ربَّكُمْ أَنْ لا يُغَلِّقَهَا عَنْكُمْ وأَبْوَابَ النّيرَان مُغَلَّقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُفَتِّحَهَا عَلَيْكُمْ، والشَّيَاطينَ مَغْلُولَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ.

قَالَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَفْضَلُ الأعمَال في هَذَا الشَّهْر؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَن أَفْضَلُ الأَعْمَال في هَذَا الشَّهْر الْوَرَعُ عَنْ مَحَارم الله.

عن وسائل الشيعة: ٣١٣/١٠ باب ١٨ ح١٣٤٩٤.

فقط، وليس في أي شهر آخر. فالشقاء منحصر في مَن شُقي في شهر رمضان وحُرم غفران الله فيه، لا غير. هذا هو الظاهر البلاغي للجملة، ومعناه أن الشقيّ كلّ الشقاء هو الذي يحرم غفران الله في هذا الشهر خاصة.

ولا عجب فإن شهر رمضان هو شهر الله سبحانه وتعالى، قد خصّ به نفسه دون باقي الشهور، فهو شهر لتنظيم حياة الإنسان والتغيير نحو الأفضل والتطهّر من كل دنس، والطاعة لله سبحانه، وفيه يغفر الله للإنسان كل يوم وليلة أضعاف ما يغفر في سواه من الشهور، كما خصّه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والتي يغفر الله فيها ما لا يغفر في غيرها من الليالي والأيام، وكذلك يغفر الله في أوله ووسطه وآخره. فشهر رمضان هو شهر «العفو العام». فمن لم يُشمل بالعفو فيه فهو الشقي حقاً.

أقسام الصوم ومراتبه

ونظراً لأهمية الصوم في شهر رمضان المبارك، ودوره في بناء الإنسان المسلم، فقد قسّم علماء الأخلاق الصوم إلى ثلاثة أقسام هي:

١. الصوم العام.
٢. الصوم الخاص.
٣. الصوم خاص الخاص.

الصوم العام: هو الكفّ عن المفطرات المذكورة في الكتب الفقهية والرسائل العملية من الأكل والشرب والكذب على الله تعالى ورسوله والأئمّة المعصومين، والارتماس في الماء، والبقاء على الجنابة حتى

الفجر، والتقيؤ عمداً وغيرها من الأمور التي إن لم يلتزم بها المرء لا يصدق عليه أنه صائم.

أما **الصوم الخاص**: - وهو أرقى من الأوّل وأرفع درجة – فهو الكفّ عن المحرّمات كلّها إضافة إلى ما ذكر، مثل: كفّ اللسان والسمع عن الغيبة، وكفّ البصر عن النظر إلى المرأة الأجنبية بريبة، وكفّ اللسان عما لا يحل له كالكذب واغتياب الآخرين، وهكذا.

وأما **الصوم خاص الخاص**: فلا يتوقّف حتى عند هذا الحد بل يترقى ليشمل النوايا والفكر أيضاً. فالصائم في هذه المرتبة لا يقتصر على الكفّ عن المفطرات وعموم المحرّمات فحسب بل لا يفكر فيها ولا تحدّثه نفسه بها.

أي أن هناك فريقاً من الناس لا يتورعون عن المعصية ويكفّون عنها وعن المحرّمات فحسب بل يتورعون عن التفكير فيها أيضاً، فهم يصومون عن المفطرات العامة، وتصوم جوارحهم عن ارتكاب الذنوب، كما تصوم جانحتهم عن التفكير فيها. وهذا صوم خاص الخاص. وهو أعلى مراتب الصوم وأقسامه.

لنصمم على بلوغ أعلى المراتب

لو أن أحداً صمم وعزم على الالتزام بالقسم الثالث والمرتبة الأعلى من الصوم، أي نوى الكف عن المفطرات وسائر المحرّمات وكذلك التفكير فيها أيضاً، فإنه قد يوفّق لبلوغ المرتبة الثانية أي ترك المحرّمات وصوم الجوارح إلى جانب ترك المفطرات العامة للصوم، فلو راجع نفسه بعد شهر رمضان لرأى أن فكره لم يكن صائماً وأنه ربما تخلّف

عدة مرات وفكّر في الحرام، لكن جوارحه قد صامت والحمد لله.

أما إذا عزم المرء على المرتبة الثانية فيُخشى أن لا يوفَّق حتى لهذا، ولا يبلغ أكثر من المرتبة الأولى وهي الصوم العام، وذلك لأن الإنسان لا يوفَّق – عادة – إلا لما دون ما عزم عليه. يقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه : *مَن طلب شيئاً ناله أو بعضه*[1].

ولا نعني بذلك أن الإنسان مجبر على ذلك، بل هو لا يملك نفسه في الغالب، وهذا أمر قد ثبت بالتجربة. فإن الشخص الذي ينوي مطالعة عشرين صفحة – مثلاً- قد لا يشعر بالتعب إذا بلغ بضع صفحات (ثلاث أو أربع)، لكنه قد يشعر بالتعب وقد يتوقف إذا بلغ عشر صفحات أو أكثر. أما الذي يعزم على مطالعة ثلاث صفحات فقط فإنه سيتعب بمجرد قراءة صفحتين فقط، وهذا يعني أن الإنسان يشعر بالتعب دون مقصده. وهذا حال أغلب الناس دون النادر من ذوي التوفيق الخاص.

ومن هنا ينبغي للإنسان أن يكون ذا تصميم قوي وإرادة صادقة لكي يوفّق إلى طاعة الله عزّ وجلّ في أعلى مراتبها ونيل أعلى الدرجات، لا أن يقول حسبي ترك مفطرات الصيام؛ فإنه قد يُحرم غفران الله.

فليجلس كلّ منا – ولو ساعة – قبل شهر رمضان يقلّب فكره في هذه الأقسام من الصوم ويتساءل مع نفسه: ماذا يحدث لو عزمت على المرتبة الثانية على أقل تقدير، ولا أترك نفسي دون تحضير واستعداد وعزْم على ترك المحرّمات قبل أن أواجهها؟ فإن هذه الساعة من التفكير

---

(١) نهج البلاغة: ٥٤٤ رقم ٣٨٦ الكلمات القصار.

ستلعب دوراً في تغيّر الإنسان تجعله يختلف عن غيره من أوّل شهر رمضان إلى آخره. حتى إذا راجع صحيفة أعماله بعد الشهر الكريم رأى أن سيئاته قد قلّت بدرجة كبيرة واقترب من غفران الله أكثر وابتعد عن الشقاء أكثر.

وهذا ليس بالأمر الصعب فهو لا يتطلب أكثر من أن تجلس قبل شهر رمضان ساعة من الزمن تخلو فيها بنفسك وتفكّر في مراتب الصوم وتعزم على بلوغ المرتبة الأعلى، فإنّ *تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة* كما في الحديث[1].

ولنحدّد المحرّمات التي تواجهنا

كما علينا أن ننظر ما هي محرّمات البصر وما هي محرّمات السمع وما هي محرّمات اللسان ثم نصمّم على الكفّ عنها، ونحاول ذلك.

ففي بعض الأدعية: *إلهي خلقتني سميعاً، فطالما كرهت سماعي، وأنطقتني فكثُر في معاصيك منطقي، وبصّرتني فعمي عن الرشد بصري، وجعلتني سميعاً بصيراً، فكثر فيما يرديني سمعي وبصري*[2].

فلننظر ما هي المحرّمات التي قد نتعرض لها ونصمم على تركها؛ لأن كلّ إنسان معرَّض لقسم من المحرّمات، فهناك محرّمات قد لا يكون قادراً على فعلها أو أنها ليست من شأنه. فطالب العلم الديني مثلاً لا يصدر منه شرب الخمر عادة، لأن ذلك ليس من شأنه بل لا يفكّر فيه ولا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٦ / ٢٩٣ باب صفات خيار العباد وأولياء الله.

(٢) إقبال الأعمال لابن طاووس: ٢٩.

يتصوّر وقوعه في هـذا الفعـل الحـرام، وهكـذا اللـواط والزنـا والسـرقة وتطفيف الميزان وما أشبه، ولكنه قد يقع في الغيبـة أو الإيـذاء أو إهانـة الناس، فليحدد المحرّمات التي من هذا القبيل وليصمم على تركها.

وليكن لنا في المتحولين عبرة

ولا بأس أيضاً أن يتذكر الإنسان أن هناك أناساً كانوا عصاة وفسـاقاً، ولكنهم انقلبوا - بسبب استعداد قلوبهم الرقيقة- بموعظـة أو أكثـر، إلـى أناس ورعين عدول؛ فإن لم نتدارك نفوسنا فسـوف نتحسّـر كثيـراً يـوم القيامة؛ إذ لا مجال لإصلاح أنفسنا عنـدما نعـرف أن إنسـاناً بعيـداً عـن المطالب الدينية انقلب طيّباً وخيّراً وأصبح أحسن منّـا عنـد الله سـبحانه وتعالى ولم نغيّر نحن أنفسنا مع أننا كنا نعرف المسائل الدينية أكثر منه.

فإن كان التأمّل فـي هـذا الأمـر يؤلمنـا فلنحـاول أن نصـلح أنفسـنا خصوصاً في هذا الشهر الكريم.

٢- الورع عن محارم الله

ذكرنا في مطلع الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قـال: *إن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله*.

إذن علينا أن نعرف أولاً ما هي الأمـور التـي حرّمهـا الله تعـالى؛ لأن الورع شيء والمحرّمات شيء آخر.

فهناك مسألة في الفقه يدور النقاش حولها وهي مـا هـو حكـم مَـن تتوفر فيه ملكة العدالة ولكنه لا يعلم كلّ المحرّمـات، كالبـدوي الطيـب الذي لو عرف أن شيئاً بعينه حرام لتركـه، ولكنـه يجهلـه، ولنفـرض أن

جهله كان عن قصور لا تقصير، فهل تترتب عليه آثار العدالة أم لا؟

فلنحتمل الشيء نفسه في أنفسنا. فما أدرانا أنّا عرفنا كلّ المحرّمات؟ ولو عرفناها فما هي حدودها؟ فلعلّ بعضها غير واضح لبعضنا. إذن علينا – لاسيما نحن أهل العلم – أن نستفيد من فرصة هذا الشهر الكريم لمعرفة المحرّمات. فاحتمال عدم معرفتنا لكل المحرّمات يسوقنا إلى أن نوفر بعض الوقت لمعرفتها في هذا الشهر فهو خير فرصة لنا.

وإذا كان الورع عن محارم الله أفضل الأعمال في هذا الشهر، فمعرفة هذه المحارم مقدمة له.

والورع عن محارم الله أفضل حتى من قراءة القرآن في هذا الشهر، خلافاً لتصور بعض الناس.

إنّ ختم القرآن الكريم فضيلة عظيمة خاصة في هذا الشهر الكريم، وينبغي للإنسان أن يختمه فيه ولو ختمة واحدة، وإن كان هناك مَن يختمه حتى ثلاثين مرة! ولكن هناك فضائل أخرى كالإطعام وهداية الناس قد تكون أفضل حتى من قراءة القرآن، هذا إذا كانت تلك الفضائل مستحبة، أما إذا كانت واجبة فالقضية أعظم لأن المكلّف يأثم بتركها.

أما أفضل الأعمال – كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله – فهو الورع عن محارم الله.

ويتطلّب أوّلاً: معرفة المحرّمات – كما ذكرنا –.

ويتطلب ثانياً: مطالعة الروايات التي عدّدت المحرّمات، لأن كثيراً من هذه الروايات تؤثر في دفع الإنسان لترك المحرّمات، بسبب توفّرها

على علل التحريم وكذلك العقوبات التي تنتظر مرتكبيها. ففرق بين أن يسمع المرء أن الغيبة حرام وحسب، وبين أن يسمع أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى المغتاب في ليلة المعراج ولسانه يُقرض أو يُفعل به كذا وكذا، فهذا يؤثّر في ترك الغيبة أكثر.

وهذه الروايات مذكورة في كتب الأخلاق مثل جامع السعادات والكتب التي تذكر آداب المحرّمات كحلية المتقين، والآداب والسنن في بحار الأنوار...

ويتطلّب ثالثاً: الابتعاد عن كلّ المناهي؛ لأن منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه، لاسيّما إذا لم يتضّح لنا بعد أن الأمر الفلاني مكروه أو حرام؛ فإنّ ذلك من مقتضيات الورع. أرأيت الذي يسير في أرض شائكة كيف يحتاط في رفع قدمه ووضعها لئلا تصيبه شوكة بل حتى ما يشكّ أنها شوكة. ولذلك قال العلماء: إن الورع درجات. سئل الإمام الصادق سلام الله عليه عن أورع الناس فقال: *الذي يتورّع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء وإذا لم يتّقِ الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه*[1].

إن الورع عن المحرّمات أدنى درجات الورع، نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لأعلى درجاته ولما يحب ويرضى.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ٢٥٢ ح١ باب معنى الورع من الناس.

المحاضرة السابعة عشرة

شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع

في ضوء حديث رسول الله صلى الله عليه وآله

«وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله»

• ألقيت هذه المحاضرة، خلال استقبال سماحته جمعاً من طلبة العلوم الدينية، في أواخر شهر شعبان ١٤٢٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

مقدمة

في الخطبة التي خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك وردت عبارة ذات أهمية قصوى وهي قوله صلّى الله عليه وآله: ***وجعلتم فيه من أهل كرامة الله***[1]، فإن كلمة «كرامة الله» لم تنقل على لسان الروايات كثيراً، ولم ترد إلا في موارد خاصة لما لها من أهمية في نظر أهل البيت سلام الله عليهم، حيث وردت في قول النبي صلّى الله عليه وآله للإمام علي سلام الله عليه في تزويجه بالزهراء سلام الله عليها: ***فإنّ الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً***[2]، وقول الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه في بعثة النبي صلّى الله عليه وآله: ***حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً***[3]، وهكذا ورد في الروايات الشريفة بشأن زائر الإمام الحسين سلام الله عليه.

---

(١) وسائل الشيعة: ٣١٣/١٠ ح١٣٤٩٤ باب ١٨.

(٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٤٤ مجلس في ذكر تزويج فاطمة عليها السلام.

(٣) نهج البلاغة: ١٣٩ رقم٩٤ وفيها يصف الله تعالى ثمّ يبيّن فضل الرسول الكريم وأهل بيته.

إذا كان بعض الناس قد بلغوا هذه المرتبة، أي صاروا أهل كرامة الله، فإن كل مؤمن في هذا الشهر الكريم (شهر رمضان المبارك) قد جُعل من أهل كرامة الله تعالى. وهذه الكرامة لا تخصّ الصائمين فقط بل هي تشمل حتى أصحاب العذر الشرعي الذين يسوغ لهم الإفطار كالمسافر والمريض. إن هذه الكرامة هي لهذا الشهر الكريم، لليالیه وأيامه، وكل ساعاته. فالعناية الإلهية تشمل الجميع، ولكن بما أن إحدى صفات الله تعالى المهمة ومن أسمائه الحسنى «الحكيم» أي الذي يضع الشيء في موضعه، فهذا معناه أن التوفيق الإلهي وإن كان شاملاً في شهر رمضان لكلّ العباد، إلا أنّ قدراً منه يرتبط بمقدار همّتنا وتوجهنا وجهدنا.

أذكّر في المناسبة بموضوعين، أوّلهما عام ، وهو بناء النفس – وإن كنا نحن أهل العلم مشمولين به أيضاً – والثاني خاصّ وهو التبليغ، وهذا الأمر يتعلق بنا نحن (أهل العلم) غالباً، وإن كان الآخرون مشمولين به أيضاً ولكن بدرجات متفاوتة.

١ ـ شهر رمضان فرصة مناسبة لبناء الذات

إن شهر رمضان المبارك هو شهر بناء الذات وتغيير النفس، وهذا الأمر مطلوب من الجميع، يستوي في ذلك أهل العلم وغيرهم، ومهما يبلغ المرء درجة في هذا الطريق فثمة مجال للرقيّ أيضاً.

يقول النبي صلّى الله عليه وآله: ***فإن الشقيّ من حُرم غفران الله في هذا***

الشهر العظيم[١]. وهذا معناه لو أن أحداً أهمل بناء نفسه في هذا الشهر المبارك وقصّر حتى مرّ عليه ولم ينل تلك المغفرة الإلهية التي هي أوسع وأسرع وأعظم فيه منها في سائر الشهور، فإنه هو الشقي حقاً. وهذا هو المستفاد من الروايات، لأن بناء الذات واجب عيني في حد أداء الواجبات وترك المحرّمات. فعلى الإنسان أن يحاول في هذا الشهر المبارك أن يعمل حتى يبلغ مرحلة يعتقد فيها أنه تغيّر فعلاً وأنه أصبح أحسن وأفضل من السابق.

لاشك أن كل إنسان يتمنى لنفسه التغيير نحو الأفضل، ولكن المسألة ليست بالأماني، فبالأماني وحدها لا يتحقق التغيير، بل هو بحاجة إلى عزم وتصميم ومتابعة ومثابرة وجدّ واجتهاد. فمن لم يقصّر في المقدمات يوفَّق في النتائج بلا شك؛ لأن هذا هو الهدف الأصلي لخلق الإنسان، وهو صريح القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾[٢] أي ليرحمهم. فهل يعقل أن يضع الإنسان نفسه موضع الرحمة بأن ينبري لطاعة الله والتقرب إليه، ثم لا يرحمه الله تعالى؟! فهذا محال في منطق الحكمة والعقل، ولا إمكان له، فضلاً عن وقوعه – وحاشا لله ذلك – ولكن على الإنسان أن يصدق مع نفسه ويسعى في هذا المجال ليتحقق له ما يصبو إليه؛ قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه: *من طلب شيئاً ناله أو بعضه*[٣].

إن الصلوات والأدعية والزيارات والأعمال الواردة في شهر رمضان

---

(١) انظر هامش محاضرة: الورع عن محارم الله.

(٢) هود: ١١٨-١١٩

(٣) نهج البلاغة: ٥٤٤ رقم ٣٨٦ الكلمات القصار.

المبارك بنفسها معدّات لتحقّق بناء الـذات، بيـد أن المـرء قـد لا يسـعه الوقت للقيام بها كلها، بسبب تزاحمهـا مـع مشـاغل أخـرى قـد تكـون مطلوبة هي الأخرى كالتبليغ مثلاً. إذن، فليس هناك طريق للتوفيق أسهل من طريق محاسبة النفس، لأنّها مطلوبة جداً ولها تأثير كبير على الإنسان، ففي كتب الروايات كالكافي والبحار وغيرهما باب مستقلّ فـي محاسـبة النفس، وهناك روايات معتبرة وصحيحة سنداً عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم مضمونها أنه ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم فإن عمل خيراً استزاد وإن عمل شراً استغفر[1].

إذن، فليخصص المرء كل يوم من شهر رمضان بعض وقتـه ويخلـو فيه، ليراجع ما قد مضى منه خلال الساعات الماضية، فينظر ما عمل ومـا قال وما سمع وما رأى وما أخذ وما أعطى، وكيف تصـرّف مـع زوجتـه وأطفاله وأصدقائه وزملائه؟ وباختصار: ليدقّق مع نفسه فيم صرف وقته؟ ليصمّم بعد ذلك على أن يزيد من حسناته ويقلّل من سيئاته.

محاسبة النفس أسهل الطرق لبناء النفس

وهذا الطريق بنفسه يمكن أن يصل بالمرء في هذا الشهر إلى موقـع بحيث يستوى عنده الدينار الواحد والمليار دينار بما هو مال، فلا يركض خلف الأوّل كما لا يأسى على فقد الثاني، بل تراه يهتمّ بفقدان ثواب الله، فلا يتهاون عن الإتيان بالفضائل التي يمكنه الإتيان بها، حتـى وإن كانـت

(١) منها: عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيرا استزاد الله منه، وحمد الله عليه، وإن عمل شرّاً استغفر الله منه وتاب إليه. بحار الأنوارللعلامة المجلسي: ٧٦ / ٧٢.

الفضيلة قول (أستغفر الله) مرة واحدة أو الاستمرار على تكرارها طيلة الشهر الكريم كله!!

يمكن للإنسان أن يصل عن هذا الطريق إلى مراتب عالية، وقد وصل كثيرون درجة حيث لم يعد يزيد الترغيب في اندفاعهم ولا يقلل التثبيط من عزمهم، مع أنهم بشر لهم شهوات ورغبات ويدركون معنى الترغيب والتثبيط ولكن الإدراك شيء والتأثر به شيء آخر.

لاشكّ أن الترغيب يكون مفيداً خصوصاً في حالات التزاحم أو الشروع، ومثاله: أن تكون مواظباً على قراءة دعاء ما في كل ليالي شهر رمضان، ولكن صوّر لك شخص أن دعاءً آخر أكثر ثواباً في ليلة ما من ليالي الشهر، ولم يكن عندك وقت لأداء الاثنين، فههنا يمكن أن يدفعك الترغيب للتخلي عن الدعاء الأول لصالح الثاني، فالتأثر بالترغيب هنا جاء من باب الإتيان بالأولوية للوصول إلى المراتب العليا، أمّا لو كنت متكاسلاً عن التوجه للدعاء أصلاً فيرغبك شخص بالقول إن ثواب هذا الدعاء عظيم فلا تدعه؛ فيكون ترغيبه هذا من حيث الشروع في العمل، وقد يحصل العكس – أي التثبيط - بأن يثبّطك آخر فيدعوك للسمر وترك الدعاء قائلاً إنك قد قرأته في أغلب الليالي فدعه الليلة. فمثل هذا الترغيب والتثبيط يكونان سواء عند بعض الأشخاص في عدم التأثر به في ترك العمل أو الإتيان به، فلا الترغيب يدفعهم أكثر ولا التثبيط يُضعفهم ويقلل من اندفاعهم.

ولا شك أن بلوغ هذه المرحلة يتطلّب عملاً كثيراً ومواظبة جادّة؛ فللشهوات أثرها السلبي وكذلك الشياطين وأصدقاء السوء، ولكن إذا اقتنع الإنسان بإمكانية الوصول وتوكل على الله تعالى، فإن هذا الاعتقاد

بنفسه سيوصله، ومن مفاتيحه السهلة محاسبة النفس؛ وذلك بأن يكون الشخص ملتزماً بتحديد أوقات من اليوم يراجع فيها نفسه، بشرط أن يكون الوقت مناسباً، فلا يكون عند الجوع أو الشبع أو انشغال الذهن بأمر آخر قد يحول دون التأمل والتفكير جيداً بل يكون في وقت يمكنه الاختلاء بنفسه ومراجعة ما قد صدر منها.

يقال: إن بعض الأفاضل طلب من أستاذه العالم أن ينصحه نصيحة تنفعه طيلة عمره، وكان على وشك مفارقته، فقال له العالم: خصص لنفسك كل يوم وقتاً تحاسب فيه نفسك، وإن قلّ. يقول ذلك الفاضل: عملت بنصيحة أستاذي العالم حتى أصبحت محاسبة النفس حاضرة في ذهني ما دمت مستيقظاً.

وهذا يدلّ على ارتكاز الحالة في ذهنه حتى لكأنها صارت ملكة عنده.

أرأيت نفسك إذا كنت تترقب وقوع أمر محبوب لنفسك، كتعيينك في منصب مثلاً، فإن هذا الأمر لا يغيب عن ارتكازك الذهني حتى تنام – بل قد يراودك حتى في نومك – .

إنك في مثل هذه الحالات، تحاول أن لا تعمل خلال هذه المدة كل ما من شأنه أن يحول دون تحقق ذلك الأمر المحبوب لك، وقد تنجح في ذلك؛ لأن القضية حاضرة في ذهنك مادمت مستيقظاً، ويعود الارتكاز بمجرد استيقاظك من النوم مرة أخرى، والدليل على ذلك عودته إلى التأثير في تصرفاتك وعدم القيام بما يتزاحم معه.

هكذا هو حال من كان الله تعالى حاضراً عنده دائماً، فإن محاسبة النفس لا تغيب عنه ما دام مستيقظاً، وهذا ممكن بترويض النفس بأن

يخصص المرء وقتاً من يومه يزيده قليلاً كل يوم، يراجع فيه نفسه وينظر إلى أعماله ونواياه، فكلما رأى خيراً شكر الله وطلب الزيادة وسعى لها، وكلما رأى شراً استغفر الله وطلب منه التوفيق للإقلاع عنه.

وشهر رمضان خير فرصة لهذه التجربة، ولو أضيف إليه عشرة أيام من شهر شوال لتصبح أربعين يوماً فذلك خير؛ إذ إن الحالة قد تقترب من الملكة التي يصبح التخلي عنها بعد ذلك مستبعداً، لأن الشخص بعد تروّضه يحسّ بلذة لا تضاهيها أية لذة مادية أخرى. فلو وضعت كل اللذات المادية في جانب، ووضعت إحدى اللذات المعنوية في جانب آخر لرجحت الأخيرة، لأن اللذة المعنوية واقعية وخالدة، أما اللذة المادية فاعتبارية مصيرها إلى الزوال – إن لم نقل إنها وهم وخيال – .

روي عن بعض من وُفِّق لزيارة ولقاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف أنه كان يقول: لقد بلغتُ مرحلةً المرض أحب فيها إليّ من الصحة، والفقر خير لي من الغنى. ولقد كان صادقاً في قوله لأنه كان يلتذّ باللذات المعنوية بدل اللذات المادية.

ولكن القول الأصح هو ما عُرف عن أئمة آل البيت سلام الله عليهم، وهو: الرضا بما قدّر الله، فإنهم سلام الله عليهم لا يريدون المرض ولا الصحة، ولا الفقر ولا الغنى بل ما قدّر الله، فهو مرادهم أيضاً.

فليصمم كل واحد منا منذ أول شهر رمضان المبارك على تخصيص وقت لمحاسبة نفسه كل يوم، وليدعوا الذين وفقوا لذلك، لمن لم يوفقوا أو قلّ توفيقهم، عسى الله أن يوفقنا جميعاً.

٢ ـ شهر رمضان والتغيير الاجتماعي

أما المسألة المرتبطة بأهل العلم في الغالب – وإن كانت عامة أيضاً ولكن بمراتب – فهي مسألة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى. يقول الإمام الصادق سلام الله عليه: ... *وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً*[١]. والزين على درجات ومراحل. فتارة يسعى أحد أهل العلم أن لا يفعل أو يتكلّم ما من شأنه أن يسيء للإسلام، فهذه مرحلة، وهي مرحلة مهمة ولا بد منها. وتارة يسعى أحدهم لأن يتصرف بنحو يؤثر في الناس من خلال سلوكه وتعامله مع الآخرين. وهذه مرحلة أعلى، وهي المعنية بقول الإمام سلام الله عليه في رواية صحيحة: *كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم*[٢]. وهذا لا يعني ترك الدعوة باللسان، بل عدم الاكتفاء بها لأنها مطلوبة أيضاً، ولكن الدعوة بالعمل أفضل منها.

لو لاحظ ذوونا وزملاؤنا أنّا نسعى لأداء صلواتنا في أوقاتها فإنهم سيلتزمون بذلك في الغالب حتى لو لم ندعهم بألسنتنا. وهذا لا يعني عدم وجود استثناءات ولكن التبليغ العملي والتربية والدعوة من خلال العمل بطبيعتها تؤثر أكثر من الدعوة باللسان آلاف المرات. فما فائدة أن تدعو ابنك لأداء صلاته أوّل الوقت وهو يراك لا تكترث بذلك؟!

إن الذين عايشوا أشخاصاً اعتقدوا بصلاحهم – لما لاحظوهم يسعون أن لا تختلف أفعالهم عن أقوالهم – هم أفضل في الغالب من الذين استمعوا آلاف المواعظ، دون أن يروا نماذج عملية تجسّدها.

---

(١) الكافي: ٧٧/٢ ح٩ باب الورع.

(٢)الكافي: ٧٨/٢ ح١٤ باب الورع.

الاعتبار ببعض أهل العلم

أعرف اثنين من أهل العلم، كلاهما توفيا رحمهما الله، وكان أحدهما متقدماً على زميله في كثير من المجالات، كالمستوى العلمي والذكاء والأساتذة و... إلا أن زميله كان أكثر تأثيراً في المجتمع بمراتب كثيرة.

أذكر نموذجين من عملهما رحمهما الله؛ كان الأول أي المتفوق علمياً، في أحد الأيام جالساً في إحدى المشاهد المقدسة منشغلاً بقراءة الزيارة أو الدعاء، وكان المكان مزدحماً بالزوار، فجاءه شخص من عامة الناس وبيده مصحف وطلب منه أن يستخير الله تعالى له، ولم يكن يحبّ أن يقطع أحد عليه خلوته ودعاءه، فأشار إلى الشخص أن يذهب إلى غيره، ولكن الشخص لم ينتبه فتصور أن العالم لم يلتفت إليه، فتقدم إليه بالمصحف مقترباً منه قليلاً وأعاد طلبه. ومرة أخرى أشار له العالم بالذهاب إلى غيره. ولم يلتفت الرجل أيضاً – لأن من عنده مشكلة، لا يلتفت بالإشارة وما أشبه عادة – فاقترب أكثر وكرر طلبه. فغضب العالم ولكنه لم يكلّم الرجل لأنه رأى أن الوقت الذي ستستغرقه الاستخارة ربما يكون أقل. وعندما أخذ منه المصحف رآه مقلوباً، وهنا لم يتمالك نفسه فشرع يصرخ في وجه الرجل قائلاً: لقد شغلتني عن قراءتي وقطعتني عن توجهي، وما أشبه من هذه الكلمات، ولكن ذلك الرجل كان غارقاً في همومه غير ملتفت إلى الموضوع أصلاً، فعجب منه وانصرف.

أما ذلك العالم الآخر– أي زميل هذا العالم – فطالما رأيته في حرّ الظهيرة، والعرق يتحدّر على وجهه، إذ يقبل عليه شخص، فيطلب منه

سؤالاً أو استخارة، وأحياناً يكون السائل صبياً أو طفلاً صغيراً، فكان رحمه الله يجيبه وهو في مكانه ولا يطلب منه التحول إلى الظل رغم أنه لم يكن يبعد عنه أكثر من مترين!

ومثل هذا الإنسان بطبيعة الحال أسعد حالاً، وأقلّ معاناة من غيره في الحياة الدنيا، لأنه لا يفكر عند النوم إلا في همّ آخرته، أما الدنيا فلا يكترث بها، فروحه لا تشعر بالألم وإن كان بدنه في بعض العناء. وهذا لا يعني أنه لا يشعر بالمشاكل المادية ولا يفكّر في حلّها، بل أنها لا تشغل ذهنه ولا تعذّبه.

ولتوضيح الحالتين نضرب مثالين: إذا سقط ابن جار لك من على السطح أو وقع فريسة مرض عضال فإنك قد تهرع لمساعدته ولا تقصر في تقديم المعونة له، ولكن حالتك النفسية والروحية تختلف عما لو كنت أنت المبتلى أي كان المريض ولدك، فإنك في الحالة الثانية تتعرض لضغط روحي وآلام نفسية قد لا تشعر بها في الحالة الأولى.

إذا سنحت لكم الفرصة قوموا بزيارة لمستشفيات الأمراض العقلية؛ هل ترون فيهم مؤمناً حقاً؟ راجعوا التاريخ هل تجدون بين المنتحرين مؤمناً حقيقياً؟ وليس المقصود بالمؤمن من يصلي ويصوم فقط بل ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾[1]. إنك قد تجد من بين مرضى المصحات العقلية الشاب القوي والمرأة الجميلة، والوزير والرئيس والمليونير، ولكن لا تجد فيهم مؤمناً واحداً؛ وذلك لأن المؤمن لا يتحطم إلى تلك الدرجة؛ فما أعظم قيمة الإيمان!

---

(١) الأنفال: ٢.

وهذا بحد ذاته إحدى ثمرات التربية العملية والـدعوة العمليـة التـي نتحدث عنها. ولذلك تراني أتذكر اليوم قصة هذين العالمين رغم مـرور عشرات الأعوام عليها.

وهكذا قد يتذكر الإنسان في الشدائد بعض المواقف العملية بسـرعة ولا يتذكر أياً من الآيات والروايات أو المواضيع التي قرأها أو سمعها أو قالها.

لنتعلّم من أهل البيت سلام الله عليهم

فلنسعَ لتقديم النماذج العملية للناس وهو ما أراده وطلبه منـا الأئمـة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين، ولا يقتصر دورنا في هذا المجال على أنفسـنا بـل علينا أن نحول دون ابتعاد الناس عن الإسلام وعلماء الدين. فإذا ما صدر من أحد أهل العلم تصرف مشين نسعى لتداركـه ولا نقـل إنـه تصـرف شخصي ولا علاقة لنا به، بل علينا أن نحاول تداركه لـئلا يبتعـد النـاس بسببه عن الدين والمذهب.

ولنا في أئمتنا سلام الله عليهم أسوة. فهذا أمير المؤمنين سلام الله عليه قـد تـرك حقّه مخافة أن يرتدّ الناس، فإن كنا مأمومين بالإمـام سلام الله عليـه – *ولكـل مأموم إمام يقتدي به* – فلنقتد بإمامنا سلام الله عليه في هذا المجال أيضاً.

ولنا في موقف الإمام الحسين سـلام الله عليـه مـع الحـر وأصـحابه فـي كربلاء قدوة أيضاً، فإن الإمام سلام الله عليه سقاهم الماء مع أنه كان يعلم أنهم – إلا الحرّ – قاتلوه بعد ساعة! وكانت مهمّـتهم تسـليم الإمـام سلام الله عليـه لابن زياد، فكانوا أظهر مصاديق البغاة والمنافقين والمحاربين والخـوارج والنواصب لا شك في ذلك ولا شبهة! وكانوا مسلحين لكي يجبروا الإمام

على التسليم والاستسلام وإن لزم الأمر باللجوء إلى القوة.

ولكن تصرف الإمام سلام الله عليه هو مما أبقى التشيع حياً. فلم يكن مهماً عند الإمام أن يسقي القوم وإن اقتضى أن يترجل ويرشف خيولهم بنفسه، كما تقول الروايات، إنما كان المهم عند الإمام هو الإسلام ودعوة الناس إليه.

وهكذا كان تصرف النبي صلّى الله عليه وآله مع مشركي بدر، وكذلك سقى الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه أصحاب معاوية في صفين.

كلكم سمعتم بقصة خالد بن الوليد وما فعله مع بعض القبائل المسلمة، ولكن الرسول صلّى الله عليه وآله لم يكتف بالبراءة من صنع خالد، وإنما أرسل الإمام علياً سلام الله عليه ليديهم:

«عن فضالة عن أبان عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر سلام الله عليه قال:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة وكان بينهم وبينه وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذوا منه كتاباً فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا. فلما كان صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب. فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد. فاستقبل صلى الله عليه وآله القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع

خالد بن الوليد.

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله تبر ومتاع، فقال لعلي عليه السلام: يا علي ائت بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك.

فأتاهم علي عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله، قال: يا علي أخبرني بما صنعت؟ فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة ولكل مال مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون و لما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي أعطيتهم ليرضوا عني؟ رضي الله عنك يا علي! إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[1].

هذا هو الإسلام. فلنسع لأن نصلح ما خرّب غيرنا. ونقول للناس: إن النبي والأئمة سلام الله عليهم لم يكونوا هكذا بل كانوا صلحاء ومصلحين، فلا تتأثروا بما يصدر عن غيرهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٦٦ باب ٢٠.

في رواية صحيحة – عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر سلام الله عليهما – أن الإمام السجاد سلام الله عليه كان مديناً لشخص بأربعمئة دينار ثم وفاه بعد ذلك. إلا أن الشخص أنكر على الإمام ذلك وطالب بالمبلغ مجدداً أو أن يحلف الإمام بالله تعالى أنه وفاه، ولكن الإمام أمر ابنه الباقر سلام الله عليهما أن يعطيه المال ولم يكن مستعدّاً لأن يحلف. وكان الدينار الواحد يمكن أن يشترى به خروف يومذاك، ما يدلّ أن المبلغ لم يكن قليلاً، ومع ذلك لم يحلف الإمام وهو صادق![1]

نسأل الله تعالى ببركة أهل البيت سلام الله عليهم، وراعينا الإمام بقية الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء، أن يوفقنا جميعاً. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) انظر: رياض المسائل: ٢ / ٤٠٣ (طبعة قديمة).

المحاضرة الثامنة عشرة

الباقيات الصالحات

وقفة مع الآية الكريمة

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً»

• ألقيت هذه المحاضرة في عام ١٣٩٨هـ ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً﴾[1].

ما المقصود بالزينة؟

لقد عبّر القرآن الكريم عن المال والبنين أنّهما زينة الحياة الدنيا. وإنّنا سنتناول في هذه المحاضرة الشق الأوّل وهو المال، ولكنّنا قبل ذلك نعطي شرحاً لفظياً لمفردات الآية الكريمة ونبدأها بكلمة «الزينة» فنقول:

الزينة هي المظهر الخارجي أو ما يعبّر عنه بـ«الديكور» حسب الاصطلاح العصري [ولذلك يقال للحلاّق الزيّان، لأنّه يصفّف الشعر ويرتّبه].

وهذه الحياة الدنيا التي نعيشها مثَلها كمثَل الدار لها أعمدة وسقف وجدران ولها رتوش وزينة. فالأعمدة والسقف والجدران وما تألفّت منه

---

(١) الكهف: ٤٦.

من حديد وإسمنت وخشب وطابوق و... أساس تمثّل بناء الدار، ولا غِنى عنها ليصدق على المورد أنّه دار. أمّا المصابيح والستائر والصبغ وسائر الأمور الظاهرية فهي زينة الدار، والتي يمكن أن يقوم الدار بدونها.

إذا اتّضحت هذه المقدّمة نقول: إنّ الله تعالى عدّ المال والبنين من القسم الثاني في الحياة الدنيا؛ أي إنّ الإنسان إذا كان صحيح الجسم قويّ البنية والإرادة راضياً بما قسم الله له، فحياته كاملة من حيث الأساس ولا ينقصها إلاّ الزينة أو الديكور، كالمال والأولاد وباقي الأمور الثانوية الأخرى في الدنيا التي بفقد أحدها لا ينخدش مصداق الدنيا، لذلك عبّر عنهم بزينة الحياة الدنيا لا عمادها. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾.

المال وتحديده

المال – في اللغة – مشتقّ من (م ي ل) أي أنّ ألفه – كما يقول علماء الصرف – منقلبة عن ياء، والميل يعني الرغبة. وهذا واضح لأنّ صاحبه يميل إليه. فمَن كان عنده دنانير يميل إليها، فالدنانير مال إذاً. والسجّاد مال لأنّ القلب يميل إليه، والأراضي مال، والمزارع مال، والعقارات والدور والبساتين مال، لأنّ القلب يميل إليها، وهكذا الذهب والفضّة والأسهم في الشركات و...

فمَن كان عنده شيء من هذه الأمور مالَ قلبه إليها وفكّر في قيمها وهل ستصعد أو تنزل في الأيام القادمة، وما أشبه.

هذا ويكون المال مع الإنسان مادام في هذه الحياة، فإذا مات

انفصمت عرى العلاقة بينهما. فالتوقيع الذي يخطّه مليونير على صك بمبلغ مئات الملايين قد لا يستغرق منه ثواني، ولكن هذا المليونير نفسه لا يستطيع أن يخطّ خطاً قيمته فلس واحد، بمجرّد أن تفارق روحه بدنه. فلم يعد عنده مال بل كان عنده مال فيما مضى؛ ولذلك ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه:

إِنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلاثَةَ أَخِلاءَ. فَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَيّاً وَمَيِّتاً وَهُوَ عَمَلُهُ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَمُوتَ، وهُوَ مَالُهُ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ لِلْوَارِثِ، وَخَلِيلٌ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مَعَكَ إِلَى بَابِ قَبْرِكَ ثُمَّ أُخْلِيكَ، وَ هُوَ وَلَدُهُ[1].

هذا إذا كان أولاده ممّن يحضرون لتشييعه، ولم يكونوا كأكثر أولاد هذا الزمان الذين قد لا يحضرون حتى تشييع أبيهم.

لقد حضرت شخصياً تشييع شخص ثريّ ولم يحضر تشييع جنازته أيّ من أبنائه، فاستأجر أحد المنتسبين إليه حمّالين لحمل نعشه!

معاني كلمة «دنيا»

الدنيا تعني الدانية أي القريبة، وربما سميت هذه الحياة بـ«الدنيا» لأنّها أقرب إلينا، فهي من الدنوّ إذاً.

وقد تكون من الدناءة، فالدنيا بمعنى الدنية، أي التي لا قيمة لها. وحقّ أن توصف كذلك؛ لأن الله تعالى وصفها بالمتاع القليل، أي الذي لا قيمة له، قبال الدار الآخرة التي وصفها بالحياة الحقيقية.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ١٠٦ ح٢ باب ١٠٠ وجوب الاشتغال بصالح الأعمال.

لقد وصف الله تعالى – في هذه الآية – هذه الحياة بأنّها دنيا ثم عدّ المال والبنين زينة لها، لا أساساً أو عماداً. فالمليونير المحكوم عليه غداً بالإعدام عنده زينة، ولكنّه لا يملك عماد الحياة الدنيا، فلا فائدة من تلك الزينة إذاً.

أمّا مَن كان يعيش راضياً مطمئنّاً فهو متمتّع بالحياة وإن كان عديم المال أو الولد؛ لأنّ المال ليس أكثر من ميل، وحدّه مع الإنسان إلى موته. والولد زينة أيضاً وحدّه مع الإنسان إلى قبره – كما في الحديث القدسي – هذا إن كان باراً.

الباقيات

تشير الآية – في المقطع الثاني – إلى المال الذي يستثمره صاحبه في هذه الحياة من أجل الحياة الآخرة، وتسمّيه باقياً. فالمليونير إذا مات لا يبقى له من ماله الذي خلّفه حتى فلس واحد، أمّا المال الذي قدّمه لنفسه في تلك الدار فهو المال الذي يبقى له.

روي عن *رسول الله* صلى الله عليه وآله *أنه ذبح شاة في حجرة عائشة فاطّلع عليها فقراء المدينة، فجاءوا وسألوا رسول الله* صلى الله عليه وآله *وكان يعطيهم، فلمّا دخل الليل لم يبقَ منها إلاّ رقبتها، فسأل عن عائشة ما بقي منها؟ فقالت:لم يبقَ منها إلاّ رقبتها. فقال* صلى الله عليه وآله *: قولي بقي كلّها إلاّ رقبتها!*[1]

---

(١) مستدرك الوسائل:٧ / ٢٦٦ ح ١٤.

وقفة تأمّل

لاحظ هذا المال الذي يصفه الله تعالى في هذه الآية بأنّه زينة الحياة الدنيا أي أنّه زينة أوّلاً وليس عماداً، ولهذه الحياة الدنيا ثانياً وليس للحياة الباقية العليا، هذا المال نفسه يصفه الباري بسبعة أوصاف عظيمة إذا تركته لله عزّ وجلّ!

الموصوف هنا «أل» الموصولة في قوله تعالى ﴿الباقيات﴾. أمّا الأوصاف فهي أنّها:

١- باقيات.

٢- صالحات.

٣- خير.

٤- عند ربّك. وهذا تقويم كثير وتثمين عظيم. فهذا الذي لا يساوي شيئاً أكثر من كونه زينة للدنيا، وليس أساساً حتى للدنيا، يكون ذات قيمة عند ربّك.

٥- ثواباً. أي إنّ هذه الأموال التي لا قيمة لها تنقلب إلى ثواب الله سبحانه.

٦- خير؛ تأكيد.

٧- أملاً.

ولو بحثتم في القرآن لرأيتم أنّه لم يستعمل كلمة أمل إلاّ مرّتين فقط، إحداهما في الشرّ، في قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل﴾[1] والثانية في الخير وهي هذه الآية.

---

(١) الحجر: ٣.

وخير أملاً

يقول الله تعالى عن هذا المال الذي تنفقه في سبيله إنّه خير من جهتين، الأولى أنّه سينقلب ثواباً لك عند الله تعالى، والثانية أنّه خير أمل تعوّل عليه في حياتك؛ فإنّ كلّ إنسان يعمل عملاً يكون له من ورائه أمل يصبو إليه ويتمنّاه. فالذي يدرس يأمل أن يصبح مهندساً أو طبيباً أو فيلسوفاً أو أستاذاً في العلوم الأخرى و... والذي يشتغل يكون أمله أن يكسب مالاً وفيراً. ومَن يعمل في حقل السياسة يؤمّل أن يصبح في يوم ما وزيراً أو مديراً عامّاً أو ما أشبه. ومَن يدرس العلوم الدينية يرجو أن يكون يوماً ما خطيباً بارعاً أو مرجع تقليد أو مجتهداً... وهكذا لكلّ إنسان في هذه الحياة أمل. بيد أنّ الله تعالى يخبرنا أنّ أحسن الأمل هو أن تسخّر مالك من أجل ذلك العالَم.

خير للمرء أن ينفق من ماله في حياته

في الأثر أن أحد الصحابة لما حضرته الوفاة أوصى أن يدفع ملء غرفة تمراً من ماله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتولى هو بنفسه توزيعها على فقراء المسلمين – والتمر يومذاك طعام وإدام – . وبعد أن وزّع النبي صلى الله عليه وآله التمر بقيت حشفة (وهي أردأ التمر الذي لا لحم فيه، أو اليابس أو المنقور من الطيور والعصافير) فقال النبي صلى الله عليه وآله: لو أنه أنفقها في حياته لكان خيراً من كلّ هذا الذي أنفقه بعد مماته. (الحديث بالمضمون).

فمن اليسير على الإنسان أن يكتب وصية يوصي فيها أن ينفقوا

أمواله في سبيل الله ولكن الأهمّ أن يفعل ذلك بنفسه وفي حياته، لأنّ المهم هو قطع هذا الميل عن نفسه، وهذا هو الأصعب.

الشياطين تمسك بيد المنفق

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: *الصدقة باليد تدفع ميتة السوء ... وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً كلّهم يأمره أن لا يفعل.*[1]

ومما يدلّ على ذلك أنّ كثيراً من الناس عندما ينوي إخراج مبلغ من المال لمشروع خيري ويمد يده في جيبه تراه يتراجع أو يقلّل من المبلغ الذي كان ينوي إعطاءه إذا تأخّر المستعطي قليلاً.

أعرف رجلاً من المؤمنين الأخيار أعطى قولاً للمساعدة في مشروع بمبلغ (٥٠٠) دينار وكان ذلك في بيت الله الحرام وعند الكعبة المشرّفة، ولكن عندما عاد إلى بلاده تراجع متذرّعاً بذرائع واهية، ولكنّه خسر بعد ذلك بأسبوعين في صفقة واحدة زهاء ثلاثة ملايين دينار!!!

الصالحات

لقد جاءت كلمة الصالحات في القرآن زهاء مئة مرّة. فما هو معنى الصالح؟

الصالح يعني النافع. فإنّ المال الذي نتركه بعد الممات قد يبقى ولكنّه يكون وبالاً علينا أحياناً، أمّا ما أنفقناه في سبيل الله فهو من الباقيات الصالحات، أي التي تصلح لنا وتنفعنا.

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٢ / ٦٦ ح ١٧٣١.

فمَن يبني داراً للهو ويموت، فإنّها تبقى بعده، ولكن هل بقاؤها صالح أم ضارّ عليه؟!

أمّا مَن يبني مسجداً أو حسينية ويدركه الموت، أو يطبع كتاباً دينياً أو يصرف أمواله للفقراء والمساكين أو المشاريع الدينية.. فهذه باقيات صالحات.

في الحديث: *إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له*[1].

فربّ مساجد في العراق وإيران والحجاز وغيرها يعود تاريخها إلى (١٣٠٠) سنة أو أقلّ، فهنيئاً لمَن ساهم في بنائها، فهي الباقيات الصالحات حقاً!

قصتان فيهما عبر

حكى المرحوم والدي رحمه الله عن تاجر مؤمن ومسنّ في كربلاء المقدسة أو النجف الأشرف سمع قصة إنفاق الرجل لبيت التمر بيد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وأنّه كان خيراً له لو أنفقها في حياته.. فقرّر أن يعمل بها.. فأقام لنفسه مجلس فاتحة وهو حي، أطعم خلالها الطعام ووزّع المصاحف لتُقرأ على روحه .. و.. و...

وهكذا الحال في الأربعين والسنة، ثم توفّي بعد رأس السنة بأيام!!

إنّ عمله جميل حقاً وإن استُهجن من قِبل بعض الناس.

كما أنّ بعض أهل الخير ممن وافاهم الأجل كان من المشتركين في

---

(١) المعتبر للمحقّق الحلّي:١ /٣٤١.

بناء حسينية ومكتبتها العامة، رئي في عالم الرؤيا من قِبل بعض المؤمنين فسأله عن حاله، فقال: لقد أحسَنوا إليَّ كما أحسنت فِي بنـاء الحسـينية، وها أنا الآن في مكان كبير وجميل وسط بساتين وأشجار فرحاً مسروراً.

سارعوا في الخيرات

فلنشمّر عن ساعد الجدّ، ولنضع بعض أموالنا في خدمـة المشـاريع والمؤسسات الخيرية. فمَن لم يستطع بناء مسجد وحده فليساهم وليبذل قدر وسعه. فهذه هي الباقيات الصـالحات؛ نسـأله تعـالى أن يوفّقنـا لمـا يحبّ ويرضى.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة التاسعة عشرة

آثار الأعمال

وقفة مع الآية الكريمة

«ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك»

• ألقيت هذه المحاضرة في جمادى الثانية عام ١٣٩٩ هـ ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك﴾[1].

مقدّمة: إنّ ما يصدر عن الإنسان إمّا أن يكون حسنة وخيراً ينتفع به، أو سيئة وشرّاً يضرّه.

هذه الآية الكريمة تخبر الإنسان أنّ ما يصيبه من حسنة ونفع وربح وخير وكلّ شيء في صالحه فإنّما هو من الله تعالى، لأنّ الله لا يريد لأحد شراً أو سوءاً. وأمّا السيّئات والمصائب التي تصيب الإنسان فهي من الإنسان نفسه. وكلّ ابتلاء يصيب الإنسان فسببه الإنسان نفسه.

وهذه الآية تخاطبنا جميعاً، فإنّ الإنسان بطبعه حسن الظن بنفسه؛ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: *يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ويدع الجذع في عينه*[2]. أي إنّ أحدنا ينتبه حتى للشعرة الصغيرة

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) الإمامة والتبصرة للقمي: ١٧٦.

في عين أخيه - أي يرى عيوب الناس جيداً - لكنّه لا يرى عيوب نفسه مهما كانت كبيرة.

تريد الآية أن تقول لنا: إنّ أحدكم قد يعمل شيئاً سيّئاً ولا يظهر أثره السيئ إلاّ بعد مرور عشر سنين أو عشرين سنة قلّ أو كثر، وربما تظهر الثمرة السيّئة لبعض الأعمال عند الموت! فلا ينبغي للإنسان الذي تصيبه السيّئة أن يعجب ويقول: لماذا أصبت بهذا البلاء السيّئ؟ فلعلّ جذوره تعود إلى ما قبل خمسين سنة وهو لا يدري؛ فإنّ الله تعالى جعل لكلّ شيء قدراً وحدّاً ومقياساً، ومقياس الله لا يختلف ولا يتخلّف.

العبد الصالح الذي سأل الملك الجبار

روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال: *كان في زمن موسى صلوات الله عليه ملِك جبّار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح* أي إنّه كان يعيش في زمن واحد - أي في زمن موسى وفي عهد ذلك الملك الطاغي - عبد صالح منشغل عن الناس بالعبادة يريد التقرّب بها إلى الله سبحانه، فيما الملك مشغول بشهواته ولذّاته وظلمه وطغيانه. فاتفق أن مات الملك وذاك العبد الصالح كلاهما في يوم واحد. ولاشكّ أنّ ذلك لم يقع مصادفة لأن لكلّ شيء سبباً عند الله تعالى وإن كنّا نجهله، وهذه الحقيقة تثبتها هذه القصة نفسها؛ يقول نص الحديث: *فتوفّي في يومٍ* أي في يوم واحد *الملك الجبّار والعبد الصالح، فقام على الملِك الناس* أي اهتمّوا بموت الملك وقاموا بتشييعه ودفنه وتركوا أعمالهم وأغلقوا دكاكينهم ومحلاّتهم احتراماً له وحداداً عليه، وكما ورد في نص الحديث *وأغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيام*.

أمّا ذلك العابد فقد بقي مطروحاً كلّ هذه المدّة في بيته دون أن يعلم أو يكترث به أحد، حتى تفسّخ بدنه وعلته الرائحة الكريهة وبدأت الديدان تأكل من لحمه. تقول الرواية: *وبقي ذلك العبد الصالح في بيته، وتناولت دوابّ الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا ربّ، هو* - أي الملك - *عدوّك، وهذا* - العبد الصالح - *وليّك*! فما هي العلّة؟ ولماذا جعلت موته في هذا الوقت بالذات فيُغفل عنه؟ ولماذا كان موت ذلك الطاغي وهو عدوّك في عزّ واحترام، وموت هذا العبد الصالح وهو وليّك في ذلّ وهوان؟!

فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ وليّي سأل هذا الجبّار حاجة فقضاها له فكافأته عن المؤمن.

أي أن هذا الملك كانت له عندي يد وأردت أن أجازيه عليها، وهي أنّه يوم سأله هذا العابد - وهو وليّي - لم يردّه بل قضى حاجته، فأصبحت له يد عندي لأنّه أحسن إلى عبدي ووليّي، فكافأته بهذا التشييع والتجليل - في الدنيا - ليأتيني ولا يد له عندي وهو عدوّي فأدخله النار. وأمّا عبدي ووليّي فقد *سلّطت دوابّ الأرض على محاسن وجهه لسؤاله ذلك الجبّار*[1].

إذا أردت أن تتصور سيّئة العابد بصورة أفضل فافرض أنّ لك خادماً أو ولداً يشتغل عندك ويأكل من طعامك، ويسكن بيتك، ويحترمه الناس بسببك، ثم احتاج مالاً زهيداً فذهب إلى عدوّك دون أن يسألك، واستغلّها العدو فرصة لكي يمنّ بواسطته عليك فلم يردّ طلبه، أرأيت كم

---

(١) قصص الأنبياء: ١٥٧ ح ١٦٦ فصل ٢.

يكون تصرّفه سيّئاً ومشيناً ومسخطاً لك؟!

فكذلك الحال عندما ذهب ذلك العبد الصالح للملك الجبّار في زمانه. فإنّ العبد الذي يعرف مولاه ويعظّمه لا يفعل مثل ذلك! ولذلك عاقبه الله بأن سلّط الديدان على لحم وجهه تأكله لأنّه أراق ماء ذلك الوجه الذي منّ الله به عليه أمام عدوّه وعدوّ مولاه، وبذلك صفّى حسابه مع الوليّ والملك أيضاً لأنّه الرب الحكيم المقتدر، وهو القائل: ﴿وما أصابك من سيّئة فمن نفسك﴾.

ولا أحد منّا يعلم كم كانت المدّة بين سؤال ذلك العبد للملك وبين موتهما، وربما استغرقت مئة سنة، سيّما وإنّ الناس كانوا يعمّرون قديماً، ولكن العمل السيّئ أعطى ثماره السيّئة وإن طالت المدة.

ونحن قد تصيبنا في الحياة سيّئات ولا نعرف جذورها لأنّنا غافلون. فربما ظلمنا إنساناً أو غصبناه حقّه وإن لم نكن منتبهين، فإنّ الآثار التكوينية للأعمال لا تغيّرها النوايا ولا الجهل بها، فهي تترك آثارها، سواء عَلِم الإنسان بها أم لم يعلم!

فلو أخذتَ حبة شعير وتصوّرت أنّها حبة قمح وبذرتها في التربة، فهل ستنبت حسب تصوّرك أم بحسب واقع الحبة؟ لاشكّ أنّ النبت سيكون حسب واقع الحبة. فمن يزرع قمحاً يحصد قمحاً ومن يزرع شوكاً لا يحصد إلاّ الشوك، وإن تصوّر أنّه كان غير ذلك!

الاعتبار من قصة شريك النخعي

شريك بن عبد الله بن سنان النخعي أحد علماء البلاط في العصر العباسي، كان يتصوّر نفسه عالِماً في قبال الإمام الصادق سلام الله عليه وكان

يتظاهر بالعبادة والزهد والابتعاد عن الحكّام. وكان العباسيون يصرّون عليه أن يقترب منهم ولكنه كان يرفض. وفي إحدى الأيام طلبه المهدي العباسي قائلاً: علَيَّ بشريك النخعي. ولما جاءوا به قال له. أعرضُ عليك ثلاثة أمور فإمّا أن تقبل بأحدها وإلاّ فمصيرك السجن! (وكانت هذه الأمور الثلاثة تصبّ كلّها في أمر واحد وهو أن يظهر النخعي مرتبطاً بالنظام الحاكم) إن لم ترتبط بنا فسيقول الناس: "لاشكّ أنّ الحاكم غير جيد، وإلاّ لم يقاطعه النخعي وهو عالِم معروف!" لذا عليك أن تختار واحداً من ثلاثة أشياء: إما أن تقبل القَضاء أي تكون قاضياً لنا، أو تكون محدّثنا ومعلّم أولادنا، أو تأكل عندنا وتكون ضيفاً علينا.

فكّر شريك قليلاً ثم قال: إذا كان ولابدّ فأختار الثالث، وإنما اختار الثالث لإنّه رأى أنّه أسهل من الأمرين الآخرين ولا يلزم منه أن يبقى كلّ حياته قاضياً للظالم أو محدّثاً له ومعلّماً لأولاده، فإنّ الأمر ينتهي بأكلة واحدة لا تترك انطباعاً كبيراً لدى الجمهور عن علاقة النخعي بالنظام.

ولكن المهدي العباسي كان أذكى من النخعي فأمر طبّاخه بأن يعدّ أطيب الأطعمة وألذّها، ولمّا قدم النخعي عليه ألهاه في الحديث لعدّة ساعات لكي يشتدّ جوعه، ثم دعاه إلى المائدة، فأكل منها حتى التخمة.

وتكمن المشكلة في أنّ النخعي لم يكن عابداً وزاهداً حقيقياً، بل كان متظاهراً بهما، وإلاّ لأكل قليلاً من الطعام ثم اعتذر بالشبع، ولكنّه وجدها فرصة لا تعوّض، فلم يقتصر على الضروري في تناول الأكل المحرّم الذي لا يعلم مصدره ولم يدر ما الذي فيه!

يقول المسعودي: إنّ الطباخ قال للربيع (صاحب الخليفة) بعدما خرج النخعي: لقد عملتُ له أكلة لا أراه ينجو منها بعد ذلك! وهكذا

كانت بالفعل، والله وحده يعلم ماذا كان قد وضع الطباخ في تلك الوجبة مما حرّم الله من الخبائث فضلاً عن كونها مغصوبة ومن يد الظالم!

بعد بضعة أيام بعث المهدي يطلب النخعي مرة أخرى، ولكنّ الأخير لبّى مسرعاً في هذه المرّة، ثم بعث خلفه ثانياً وثالثاً ورابعاً – ومن يهن يسهل الهوان عليه – حتى بلغ به الحال أن أصبح قاضياً للمهدي ومحدّثاً، أي من علماء البلاط، ومؤدّباً لأولاده.

بل بلغ الحال بهذا الرجل الذي كان يبتعد عن المهدي العباسي وحكومته، أن يتقاضى منه مرتّباً شهرياً. وفي إحدى المرات التي كان يحمل فيها صك المرتّب للصرّاف اعتذر منه الصراف بكثرة المشترين وقلة النقود وأوكله إلى الغد. لكن النخعي اعترض قائلاً: لقد أتيتك بنفسي وأنا مَن تعلم، أفتردّني وتوكلني إلى وقت آخر؟ وتشاجرا وارتفعت أصواتهما وقال له الصراف: هل بعتني بُرّاً لتستعجلني بالثمن؟ فقال في جوابه: بل بعتك ما هو أغلى! تعجّب الصراف وقال: وما بعتني؟ قال: بعتك ديني![1]

ورآه يوماً سفيان الثوري فقال له: يا شريك أبعد الإسلام والفقه والصلاح كلّما يُسأل عنك يقال عند المهدي أو الهادي العباسي؟!

وقضى شريك بقية حياته في خدمة السلاطين حتى نيّف على المئة فطرده الرشيد العباسي في قصّة ليس هذا محلّ ذكرها. ولكن المهمّ هو النتيجة والاعتبار منها، وهي أنّ الأكلة المحرّمة الواحدة عملت عملها وأثمرت هذه الثمرة السيّئة!

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٣١٠ – الرواية مفصّلة – .

الخلاصة

إذن، كلّما أصبتَ بسيّئة فابحث عن السبب لأنّ الله عادل لا يظلم أحداً ﴿وما ربّك بظلاّم للعبيد﴾[١] بل هو مبعث الإحسان والكرم. ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ أمّا السوء الذي يصيب الإنسان فمن نفسه، وكلّما عدّل الإنسان سيرته في الحياة قلّت إصابته بالسيّئات.

أما الذي لا يكترث فإنّ النتيجة السيّئة ستلحقه – والعياذ بالله – طالت المدّة أو قصرت. وعلى الإنسان أن يكون حذراً ولا يغترّ. يقول أمير المؤمنين علي سلام الله عليه: *يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره*[٢]. أتدري لماذا؟ لأنّ هذا معناه أنّ الله أخّر له السوء في الآخرة. وهناك المصيبة أعظم! لأنّ الدنيا تنتهي وتنصرم والإنسان ينجو منها على كلّ حال، أمّا السوء في الآخرة فليس فيه منجى.

نسأل الله تعالى أن يكفّر عنّا سيّئاتنا ويتوفّانا مع الأبرار.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) فصّلت: ٤٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤ / ٧.

المحاضرة العشرون

قصة أصحاب الحجر

وقفة مع الآية الكريمة

«ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين»

• ألقيت هذه المحاضرة عام ١٣٩٩ هـ. ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين* وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾[1].

مَن هم أصحاب الحجر؟

أصحاب الحجر[2] هم قوم النبي صالح عليه السلام، وهو مدفون مع النبي هود عليه السلام ، حيث مدفن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، في وادي السلام في النجف الأشرف. ويستحبّ زيارتهما بعد الفراغ من زيارة أمير المؤمنين سلام الله عليه كما يستحبّ زيارة آدم ونوح عليهما السلام؛ فهما مدفونان هنالك أيضاً.

ولم يكن النبي صالح عليه السلام أوّل نبي يكذّبونه فلقد كذّبوا أنبياء آخرين سبقوه بعثهم الله إليهم قبل صالح عليه السلام؛ وكان هؤلاء الأنبياء

---

(١) الحجر: ٨٠ – ٨١.

(٢) اسم ديار ثمود أي اسم المنطقة التي بُعث إليها النبي صالح عليه السلام فسمّوا بها، وتقع بوادي القرى بين المدينة والشام. انظر: معجم البلدان للحموي: ٣ / ٢٢٠.

الذين أرسلهم الله إليهم مشفوعين بالآيات والمعجزات التي تثبت كونهم مبعوثين من قِبل الله تعالى؛ ولكن ذلك لم ينفع مع أصحاب الحجر وكانوا - كما أخبر الله تعالى عنهم - معرِضين عن تلك الآيات والدلالات!

فلقد لبث صالح عليه السلام فيهم - كما في الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله عليهم - يدعوهم إلى الله مدّة مئة وستّ عشرة سنة، لم يؤمن به خلالها أكثر من سبعين شخصاً أي بمعدّل أقل من شخص واحد خلال كلّ سنة!

وفي هذا دلالة على أنّنا ينبغي أن لا نتعب أو نملّ ونضجر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كانت الاستجابة قليلة والتأثير بسيطاً؛ فإنّ الله سيثيبنا على أتعابنا مهما كانت النتيجة. فلو أنّ أحداً منّا أيقظ ولده لصلاة الفجر مرّتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً، دون أن يرى استجابة منه، فليوقظه سادساً أيضاً ولا ييأس، فلعلّه يتأثّر ويستجيب، والله تعالى هو طرف المعاملة مع العبد وهو الذي يعطيه أجره في كلّ حال. يقول الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[1].

الإعراض عن الآيات

ولا يكون الإعراض إلاّ بعد أن يتبيّن الأمر، ولذلك نرى القرآن الكريم يذكره بعد ذكر إيتاء الآيات والبينات. فإنّ مَن لا يعلم أنّ الحجّ واجب عليه ولا يحجّ لا يسمّى معرضاً. أمّا مَن علم بوجوب الحجّ عليه

---

(١) الرعد: ٤٠.

ولم يحجّ مع الاستطاعة يقال إنّه أعرض عن الحجّ. وهكذا الحال مع أصحاب الحجر فإنّهم استمرّوا في تكذيب أنبياء الله حتى بعد نزول الآيات ومشاهدة المعجزات، أي أنّهم أعرضوا عن الآيات.

آية صالح عليه السلام

وأعظم آية ومعجزة للنبي صالح عليه السلام هي الناقة. فقد طالبه جماعة من قومه أن يُخرج لهم ناقة من بطن الجبل ليتبيّن لهم صدق دعواه؛ فإنّه إن كان نبيّاً استجاب الله دعوته. ولم يردّ صالح عليه السلام طلبهم فتوجّه إلى الله تعالى وسأله ذلك، فخرج صوت رهيب من الجبل وانشقّ إلى نصفين ثم خرجت ناقة عظيمة قيل إنّها كانت تعادل في ضخامتها عشرات النوق؛ يتبعها فصيلها. وهذا ليس بعزيز على الله، فلقد خلق آدم وحواء من قبل من دون أبوين، وخلق عيسى من أمّ فقط. يقول الله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[1].

وكانت الناقة وبراء جميلة تسير كالإنسان المؤمن الحكيم. وكانت تأكل من حشائش الأرض حتى إذا وصلت زرع الناس لم تنل منه حتى بمقدار حبة، وكانت لا تطأ في سيرها زرع أحد أو إنساناً أو حيواناً أو

---

(١) النحل: ٤٠. ورد في تفسير هذه الآية: أنّ الله تعالى لا يحتاج حتى إلى قول: «كن» فإنّ إرادته تكفي ولكن التعبير الوارد في الآية لغرض التفهيم؛ لأنّنا بحاجة إلى مراحل ثلاث لإيجاد الشيء؛ هي: الإرادة والتعبير عنها ومرحلة العمل. فلو أنّك أردت أن تبني مسجداً مثلاً، فإنّك تريد ذلك أوّلاً ثم تعبّر عنه ثانياً وفي المرحلة الثالثة تبذل المال وتوفّر المواد والبناء، وهكذا. أمّا الله سبحانه فلا يحتاج إلى التعبير ولا إلى العمل الخارجي بل إنّ إرادته وحدها تكفي لتحقّق ما يريد. (عنه دام ظلّه).

حشرة رغم ضخامتها بل كانت تتحاشى ذلك في مشيها وسيرها؛ وكانت الحيوانات الأخرى تخشاها بقدرة الله تعالى. وهكذا كانت إعجازية في كلّ شيء، وليس في وجودها وخلقتها فقط. فلقد كانت تشرب في اليوم الواحد ماء القرية بأكمله، أي الماء الذي يشرب منه مئة ألف إنسان مثلاً، وتدع اليوم الذي يليه لأهل القرية يشربون منه. فكان لها شرب ولهم شرب يوم معلوم كما ورد في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**﴾[1]. وكانت تعطي الحليب كلّ يوم بمقدار الماء الذي شربته. وتلك معجزة أخرى. فإنّ الحيوانات التي تعطي الحليب لا تعطي بمقدار ما شربته من ماء بل أقلّ منه بكثير، لكن هذه الناقة كانت معجزة في كلّ شؤونها!

عقر الناقة

أعرض أصحاب الحجر عن الآيات كلّها وقرّروا قتل الناقة بزعم أنّها تحرمهم من الماء يوماً كاملاً، مع أنّهم كانوا يستفيدون من حليبها! ولكنّه الطغيان والعياذ بالله!

ووعظهم نبيهم قائلاً: إن عقرتم الناقة فإنّ الله تعالى سينزل عليكم عذاباً من عنده. فقالوا: فلينزل علينا العذاب فلا نبالي! ولم يبالوا بتحذيرات النبي صالح عليه السلام وعقروا الناقة؛ عقرها شخص يسمّى (قيدار) كان أشقاهم. وقتلوا فصيلها أيضاً، وقيل: إنّه عاد إلى الجبل مفجوعاً! ثم تقاسموا لحم الناقة بينهم!

---

(١) الشعراء: ١٥٥.

نزول العذاب، والعبرة من القصة

وهنا أخبرهم نبيهم عليه السلام أنّ الله سينزل عليهم العذاب بعد ثلاثة أيام، تصفرّ وجوههم في اليوم الأوّل، وتحمرّ في اليوم الثاني، وتسودّ في اليوم الثالث! ثمّ ينزل عليهم العذاب إن لم يرجعوا حتى ذلك الحين!

سبحان الله! ما أعظم رحمته! فمع أنّ هؤلاء القوم كذّبوا المرسَلين واستمرّوا في تكذيبهم حتى بعد نزول الآيات، يمهلهم الله تعالى ثلاثة أيام عسى أن يتوبوا فيعفو عنهم ويقبلهم، ولكنّهم مع ذلك لم يرجعوا واستمرّوا في غيّهم، حتى كان اليوم التالي فاصفرّت وجوه الذين لم يؤمنوا بصالح عليه السلام ، فقال ضعفاؤهم لكبرائهم: لقد اصفرّت وجوهنا وإنّ صالحاً صدق فيما قال. فأجابوهم: دعوها تصفرّ! وفي اليوم الثاني احمرّت وجوه القوم، لكنّ الأشقياء أجابوا المعترضين: لعلّ صالحاً سحركم، دعوها تحمرّ. حتى كان اليوم الأخير فاسودّت وجوههم فقالوا: لن نؤمن له ولو هلكنا! فأنزل الله عليهم جبرئيل فصاح فيهم صيحة قطّعت نياط قلوبهم وأصبحوا في ديارهم جاثمين!!!

إذن على المرء أن ينتبه إلى نفسه، فلو أنّه سقط في كلّ الامتحانات والعياذ بالله، فلا يسقطن في الامتحان الأخير. نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين

المحاضرة الحادية والعشرون*

معركة الأحزاب .. دروس وعبر

وقفة مع الآية الكريمة

«وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً»

* ألقيت هذه المحاضرة عام ١٣٩٩ هـ. ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً**﴾[1].

هذه الآية المباركة من الآيات التي نزلت بشأن حرب الأحزاب، وهي من أهمّ حروب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلقد كانت تبدو في أوّل أمرها من أصعب الحروب وأشدّها على المسلمين لكنّها انتهت أسهل من أيّ معركة أخرى، ونزلت بشأنها سورة في القرآن تسمّى سورة الأحزاب.

لقد حارب رسولُ الله صلى الله عليه وآله المشركين في عدّة حروب وانتصر عليهم، وحارب اليهود وانتصر عليهم، وواجه النصارى وتغلّب عليهم، وهكذا كان حال المنافقين فلقد جابههم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وانتصر عليهم. فكلّما واجهت إحدى هذه الفئات أو الأحزاب الجيش الإسلامي، كانت الغلبة للمسلمين. ومن هنا فكّر قادة هذه الأحزاب أن يجتمعوا

---

(١) الأحزاب: ١٢.

ويجمعوا عدّتهم وعددهم ليشنّوا حرباً واحدة حاسمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت حرب الأحزاب، حيث شكّل المشركون مع اليهود، والمنافقين – الذين يمثّلون الطابور الخامس – جيشاً تعداده اثني عشر ألف رجل مسلّح اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وحاصروا المدينة المنوّرة!

ولم يكن عدد أفراد الجيش الإسلامي – كما يذكر المؤرّخون – أكثر من بضعة آلاف، وذلك لأنّ كلّ سكان أهل المدينة آنذاك لم يزيدوا على عشرة آلاف نسمة أي أقلّ من أفراد الجيش المحاصِر للمدينة. ولم يكن تسليح الجيش الإسلامي كاملاً، فمعظمهم كانوا راجلة لا خيول لهم أو لا يملكون السلاح الكافي. وكان من أبرز قادة جيش الأحزاب عمرو بن عبد ودّ العامري الذي كان يُعدّ بألف فارس.

هذه الحالة من عدم التكافؤ دعت بعض المسلمين لأن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفاوض جيش الأحزاب، وقال بعضهم: نصالحهم ونرضخ لكلّ ما يقولون حتى لو أمرونا بعبادة الأصنام، فلا قِبَلَ لنا بهم وليس من العقل أن نواجههم، بل ننْزل على رأيهم ونصبر حتى إذا قوينا في المستقبل حاربناهم!

إلى هنا قد يهون الأمر، ويقول القائل: أنّى للمسلمين الذين كانوا قليلي العدة والعدد أن يقاوموا ذلك الجيش الكبير المدجّج بالسلاح؟ لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فإنّ الآية تصف أولئك المتخاذلين بما هو أفظع من ذلك. يقول تعالى: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً**﴾ أي إنّ الأمر بلغ بهم أن يكذِّبوا الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله. هؤلاء الذي حكّموا عقولهم القاصرة قِبال وعد الله تعالى

ورسوله صلى الله عليه وآله لهم بالنصر، يصفهم الله بالمنافقين والذين في قلوبهم مرض.

إنّ الله تعالى أراد في هذه الحرب أن يثبت للجيش الإسلامي ولنا ولكلّ المسلمين إلى يوم القيامة أنّ الأمر بيد الله وأنّ النصر من عند الله، فإنّ المسلمين في هذه الحرب التي اجتمعت الأحزاب كلّها ضد الإسلام وبلغ جيش الكفّار أكثر من عدد المسلمين في مدينتهم المحاصَرة، تمّ النصر لهم من دون أيّة تضحيات، فلم يُقتَل من المسلمين حتى شخص واحد، الأمر الذي يثبت أنّ النصر لا يأتي إلاّ من عند الله ﴿**وما النصر إلاّ من عند الله**﴾[1].

في آية أخرى قبل هذه الآية يصف الله حالة المسلمين في هذه الحرب بقوله تعالى: ﴿**وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا**﴾[2]، وذلك أدقّ تعبير عن حالة الخوف والهلع التي كان يعيشها المسلمون، فإنّ الإنسان الخائف لا تكون حركة سواد عينه منتظمة بل تدور من هنا وهناك، والزيغ يعني الميل، فإنّ عين الخائف مفتوحة على الدوام وهو يواجهك ولكن لا يراك، وإذا سلّمت عليه قد لا يردّ جوابك، ولا ينتبه لك، بل قد يجرح الإنسان الخائف وهو غير ملتفت أنّه مجروح، وقد يصطدم بجدار أمامه دون أن يشعر به ولا يراه، فإنّ العين ترى ولكن انشغال الفكر والخوف يكون مانعاً من استيعاب الصورة التي تنقلها العين للفكر ليكون له تأثير على حركة الشخص. وهكذا كان

---

(١) آل عمران: ١٢٦.

(٢) الأحزاب: ١٠.

المسلمون في حرب الأحزاب أي أنّ أعينهم كانت تدور ولكن لا يرون شيئاً.

وهناك صورة أخرى تعبّر عن الخوف الشديد هي قوله تعالى: ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾. كيف تبلغ القلوب الحناجر مع أنّ الفاصلة بينهما تزيد على أربع بوصات؟ إنّ الإنسان الخائف تزداد ضربات قلبه فيشتدّ نفَسه وتنتفخ رئته أكثر من اللازم بحيث إن الهواء الداخل والخارج عنها في حالة الشهيق والزفير يحدث صوتاً مميزاً نتيجة ازدياد سرعة سحب الهواء نحو الرئة حتى ليصاب الشخص بالحشرجة وهو صوت يخرج من الصدر كما عند المصابين بضيق النفس. يقول المؤرّخون: إنّ المسلمين أُصيبوا بالحشرجة عندما عرفوا أنّهم محاصَرون بجيش الأحزاب.

وبعد ذلك يقول الله تعالى في وصف حالهم: ﴿**وتظنّون بالله الظنونا**﴾ أي تقولون إنّ الله أخبرنا أنّ النصر من عنده، فأين النصر ونحن قليلون وهؤلاء الكفّار محدقون بنا؟

ولكن الله يفعل كلّ ذلك لامتحان العباد، ولذلك خلقهم؛ يقول تعالى: ﴿**أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون، ولقد فتنّا الذين من قبلهم**﴾[1].

فكلّ هذه المظاهر امتحانية، وكثير من المسلمين فقدوا إيمانهم في هذا الامتحان وسقطوا، وهم أولئك الذين قالوا: ﴿**ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً**﴾.

---

(١) العنكبوت: ٢ – ٣.

لقد وقعت حرب الأحزاب في أخريات حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة أي قبيل فتح مكة، ولكن الله يمهل ولا يهمل، والنصر حليف المؤمنين وإن جاء متأخراً. إذا كان في المسلمين أربعة قاموا لله بكلّ قلوبهم وأخلصوا له من أعماقهم وحاربوا من أجله وتكلّموا في سبيله ونطقوا له، فهذا يكفي لأن يحقّق الله تعالى نصره لجميع المسلمين بواسطة هؤلاء الأربعة.

لقد كان في صفوف الجيش الإسلامي – غير الذين قالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً – عدد قليل بقي ظنّهم بالله حسناً ولم يظنّوا به الظنون، بل قالوا: الأمر لله والله ورسوله وعدانا بالنصر، والنصر سيكون حليفنا وإن كان الجيش الكافر أكثر منّا عدّة وعدداً.

وهكذا كانت النتيجة ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾[1] في أصعب حروب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عادت من أسهل حروبه، وتمّ النصر للمؤمنين بقتل عمرو بن عبد ودّ على يد بطل الإسلام الخالد عليٍّ بن أبي طالب سلام الله عليه، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ***برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه***[2] وانهزم الجيش الكافر عن آخره ولم يُقتَل مسلم واحد!

وهكذا كلّما تصارع الحق والباطل وبرز من المؤمنين جماعة شجعان نذروا أنفسهم لله فإنّ الله يكتب لهم النصر كما كتبه للمؤمنين في الأحزاب، هذه سنّة الله تعالى ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩ / ١١ باب ٢٣ .

الحكومة الإسلامية هي التي تطبّق كلّ أحكام الله

المؤسف أنّ بعض الناس يتصوّر أنّ الحكومة الإسلامية هي التي تطبّق الحدود والتعزيرات والعقوبات فقط، مع أنّ هذا لا يشكّل إلاّ جزءاً ضئيلاً من أحكام الإسلام؛ ولو أنّ الإسلام طبّق بعضه دون بعض لارتسمت له صورة غير جميلة، وهكذا تكون التعضية في الغالب. فهذا الإنسان الذي خلقه الله على أحسن صورة، لو فصلتَ بعضه عن بعض سيتغيّر إلى أقبح هيكل. فلو أنّ شخصاً جميلاً فقئت عينه فكيف سيبدو؟! وهكذا لو رفعت عظمة قحف الرأس ماذا سيكون؟ هل سترى منظراً جميلاً، أم مقرفاً؟

مثال آخر: كلمة «لا إله إلاّ الله» في اللغة تعني كلمة التوحيد والإخلاص والخلاص وهي سبب الإيمان والإسلام والفلاح، ولكن ماذا يحدث لو فصلتَ بين جزئيها ونطقت بالجزء الأوّل وحده؟ إنّ مجرّد الفصل بين جزئي تلك الكلمة والأخذ ببعض دون بعض يغيّر معنى الإيمان إلى الكفر!

إنّ تطبيق الإسلام بصورة ناقصة يعطي صورة مشوّهة عن الإسلام. وهذا هو حال بعض الدول الإسلامية اليوم المتبجّحة بتطبيق الإسلام مع أنّها لا تطبّق إلاّ جَلْد الزاني وقطع يد السارق، فهل هذا هو الإسلام وحسب؟

عندما تراجعون الفقه الإسلامي تجدون فيه خمسين باباً أو كتاباً والكتاب الخمسون منها هو كتاب الحدود. فهو واحد من خمسين كتاباً بل هو الكتاب الأخير، فلماذا يُتصوّر أنّه الإسلام كلّه؟!

إنّ من واجبات الحكومة الإسلامية السماح لمواطنيها بالعمل وفق القانون الإسلامي المعروف بـ «إحياء الموات» في المجال الزراعي، ومفاد هذا القانون هو أنّ المسلم باستطاعته أن يتملّك أيّة أرض متروكة غير مملوكة ولا مزروعة، شريطة أن يباشر بزراعتها أو إحيائها، وهذا القانون يستند إلى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مسند عن الشيعة والسنّة وهو: *مَن غرس شجراً أو حفر وادياً بدءاً لم يسبقه إليه أحد وأحيى أرضاً ميتةً فهي له. قضاء من الله ورسوله* صلى الله عليه وآله[1]، ولا يوجد لهذه الحرية التي يمنحها الإسلام للمسلمين ولغيرهم في الزراعة نظير، في أيّ بلد أو بقعة من بقاع العالَم. ولو طُبِّق هذا القانون في أيّ بلد إسلامي لأصبح ذلك البلد جنّة غنّاء، ولما بقي إنسان بلا مسكن أو جائعاً؛ لأنّ كلّ إنسان يمكنه أن يفتّش عن أرض غير مزروعة ولا تعود ملكيتها لأحد (وأرض الله واسعة)، ثم يقوم بزراعتها فيأكل من زرعه ويسكن الأرض التي ملَكها بإحيائه لها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هذا القانون يمنع الاحتكار في الوقت نفسه، لأنّ أيّ إنسان لا يحقّ له أن يستحوذ على أرض دون أن يحييها أو يزرعها وإن كانت بواراً لا تعود لأحد؛ لأنّ شرط التملّك هو الإحياء المباشر.

ومن جهة ثالثة سوف لا تبقى يد واحدة عاطلة عن العمل.

فهل طبّقت الدول التي تدّعي الإسلام هذا البند من بنوده الكفيلة بتحقيق السعادة والتقدم والرقي، أم اكتفت منه بضرب السياط وقطع

---

(١) الكافي: ٥ / ٢٨٠ ح ٦.

الرقاب وهذا كلّ شيء؟!

ثم بند ثانٍ من بنود الإسلام هو تحرير التجارة وعدم احتكارها من قِبل الدولة حيث تحصرها على أناس معيّنين فيما تحرم سائر أبناء المجتمع وتفرض عليهم الجمارك الثقيلة؟!

في الإسلام مَن يملك ذكاءً أكثر يمكنه أن يعمل أكثر. أمّا في الأنظمة الوضعية التي تدّعي الإسلام فالشرط الأساسي ليس الذكاء والخبرة بل الروابط والعلاقات مع الحاكم، فمَن حظي بشيء منها مُنح امتياز عشرين نوعاً من التجارة، وإن كان من أغبى الناس! فهل هذا من الإسلام؟

لا ضرائب جمركية في الإسلام

سألني بعض الناس في العراق، والآن يسألني البعض أيضاً عن التهريب. أقول: ما هو التهريب؟ التهريب معناه أنّ الدولة منعت استيراد أو تصدير بعض المواد وإذا ضبطها مأمور الجمارك فرض عليها ضرائب باهظة. نسأل: ما هو رأي الإسلام في هذه الأمور الثلاثة: إجازة الاستيراد وإجازة التصدير والضرائب المفروضة؟ والجواب: إنّ الإسلام يرفضها جميعاً. إنّ القانون الذي طبّقه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي سلام الله عليه لم يكن فيه إجازة للتصدير ولا إجازة للاستيراد ولا ضرائب عليهما، بل على العكس يقول الفقهاء: لا يجب بل لا يجوز العمل بالقوانين الصادرة من الدولة غير الإسلامية، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**ولا تعاونوا على الإثم**

والعدوان﴾[١]، والمقصود بالدولة غير الإسلامية هي الدولة التي لا تحكم بالإسلام أي لا تطبّق قوانين الإسلام، وإن كانت تسمّي نفسها إسلامية، فليس المهم الاسم بل التطبيق والعمل، وكلّ حكم لا ينتهي إلى الله فهو غير مشروع وغير إسلامي وإن كان صادراً عن دولة تسمى إسلامية؛ لأنّ المهم الواقع وليس الظاهر، فلو صنعت من الكارتون شكلاً على هيئة إنسان فهل يصبح إنساناً مع أنّه لا روح فيه ولا يتكلّم ولا يرى ولا يفكّر؟ أم أنّ الإنسان هو هذا الكائن الذي يتحرّك ويريد ويقوم ويقعد ويفكّر. وهل الأسد الذي يُخاف منه هو الأسد الحقيقي أم المنقوش على الستار أم المكتوب بحروف ألف وسين ودال؟ لاشكّ أنّه لا النقش ولا الحروف. وكذلك الإسلام اللفظي أو الكتبي المجموع في حروف ألف، سين، لام، ألف، ميم، لا يفعل شيئاً بل الأثر هو للإسلام الحقيقي. فلا يكفي للحاكم أن يقول: إنّني حاكم إسلامي بل لابدّ أن يكون مستنداً إلى القرآن والسنّة. فما لم يؤيّده القرآن والسنّة والمعصومون سلام الله عليهم ويقولون إنّه من عند الله، فهو في واقعه غير إسلامي وإن تسمّى بالإسلام؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[٢].

إنّنا لا نسير خلف الأسماء والشعارات بل خلف الواقع، وقد ورد في الحديث: *ويأتي على أمّتي زمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه*[٣].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) كفاية الأثر للرازي: ١٥.

أعود إلى المسألة التي ذكرتها وهي أنّ الدولة التي لا تطبّق الإسلام بحذافيره لو أقرّت قانوناً ما فإنّ العلماء يقولون إنّه لا يجوز اتّباعها والانصياع لقانونها إلاّ في حال الاضطرار تماماً كما في تناول لحم الخنْزير أو المسكر حال الضرورة وبمقدار رفع الضرر فقط! ويضربون لذلك مثلاً بجوازات السفر التي تصدرها الدول في عصرنا الحاضر، فإنّ مَن لا ضرورة له إليها – كالرجل المسنّ أو المريض ومَن لا يستطيع السفر – لا يجوز له الرضوخ لها، لأنّه غير مضطرّ إليها.

فكما أنّ الإنسان إذا كان في مكان منقطع وأشرف على الموت جوعاً ولم يكن عنده ما يدفع عنه خطر الموت من الجوع إلاّ لحم الخنْزير فإنّه يجوز له ولكن لا على نحو الشبع بل بمقدار رفع الضرورة، حتى يصل المكان الذي فيه الأكل الحلال، وكما لو أشرف الإنسان على الموت بسبب العطش ولم يجد إلاّ الخمر فإنّه يجوز له أن يتناول منه بمقدار رفع ضرر الموت وليس أكثر حتى يبلغ المكان الذي يجد فيه مائعاً حلالاً... فإنّ حكم العمل بالقوانين غير الإسلامية كلّها هكذا – باتفاق العلماء – أي لا يجوز الرضوخ لها إلاّ بمقدار الضرورة ومواصلة الحياة. وحتى التهريب يكون حراماً ولا يجوز عند الضرورة فقط، وذلك فيما لو كانت ممارسته تؤدّي إلى إلقاء النفس في التهلكة، والله تعالى يقول: ﴿**ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[1]، وإلاّ فهو في الأصل جائز إن لم يحمل معه خطر القتل. أمّا الخطر الأدون كالتعرّض للسجن أو الضرب؛ وحتى الإهانة فلم يقل العلماء إنّ دفعها من الضرورات لأنّ «الناس

---

(١) البقرة: ١٩٦.

مسلّطون على أنفسهم»[١]، والله تعالى خلق الإنسان مختاراً غير مجبور، فلماذا يكون عبداً لغيره؟ بل لا يجوز له أن يكون عبداً لغير الله تعالى ولا ينبغي له أن ينصاع لغير قوانين الله. إن قوانين الله تعالى هي القوانين التي تلتزم بها الحكومة الإسلامية الشرعية المصدَّقة من قِبل القرآن، فهذه أحكامها واجبة التنفيذ على الجميع. أمّا القوانين غير المصدَّقة من قِبل الله تعالى، والأحكام التي تصدر عن الحاكم غير المنصوب من قِبل الله فغير واجبة الاتّباع بل غير جائزة الاتّباع إلاّ في إطار الضرورة وخوف التهلكة فقط!

عود على بدء

نخلص من كلّ ما تقدّم أنّ ما نشاهده هذه الأيّام – وعلى مرّ التاريخ- من أحداث توجب إخافة بعض المؤمنين، لا ينبغي أن تزلزل إيمانهم بل عليهم أن يراجعوا القرآن ويقرأوه ويتدبروا آياته ليروا أيّة مواقف نصر الله تعالى فيها المسلمين وكيف نصَرَهم؟!

لقد نصَر الله المسلمين في مواقف كان النصر فيها يبدو مستحيلاً بالحسابات المادية، ومن تلك المواقف وأهمّها معركة الأحزاب.

إنّ الله وعد المسلمين النصر في صدر الإسلام، ولكن المنافقين والذين في قلوبهم مرض كذبوا الله ورسوله عندما رأوا الأحزاب وقالوا: ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً﴾، ونحن اليوم معرّضون للامتحان نفسه، أفنشكّ في وعد الله للمؤمنين بالنصر، أم نكون من الثابتين على الإيمان،

---

(١) المكاسب: ٦ / ٢١٦، وجامع المدارك للسيد الخونساري: ٣ /١٨٧.

المصدِّقين وعْدَ الله، غير الظانّين به ظنّ السوء؟!

ومن المؤسف حقاً أن بعض الناس يبيع إيمانه بالتافه، فمع أنّه ليس عضواً ولا عميلاً في أجهزة الظالمين ولا يتقاضى منهم أجراً ولا مرتّباً ولكنه يعطي كلّ ما عنده لهم بلا عوض، ويجعل رقبته جسراً لهم ومعبراً؛ ويكون من الذين قال الله عنهم: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً**﴾.

نسأل الله أن يجنّبنا خطل القول والعمل وأن يوفّقنا لمراضيه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الثانية والعشرون•

الحرية في الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

«لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ»

• ألقيت هذه المحاضرة عام ١٣٩٦ هـ. ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ، فمَن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾[1].

معنى الطاغوت

الطاغوت من الطغيان، وطغيان كلّ شيء زيادته وتجاوزه عن الحدّ؛ قال تعالى: ﴿إنّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية﴾[2].

ويستعمل الطغيان في الفكر أيضاً، ويراد به عادةً المناهج المنحرفة عن سبيل الله تعالى، ويُسمّى مَن كان في قمة الفكر المنحرف طاغوتاً.

العروة الوثقى

يقول تعالى: ﴿فمَن يكفر بالطاغوت﴾ أي بالإفراط الفكري ﴿ويؤمن بالله فقد

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الحاقة: ١١.

﴿استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي الشديدة الإحكام، ثم وصفها بأنّها: ﴿لا انفصام لها﴾ أي أنّها ليست ضعيفة فتنقطع بل لا انقطاع لها أبداً، لأنّها عروة حقيقية وصادقة وليست بكاذبة ومزيّفة. فإنّه لا انقطاع وانفصام في الحق والصدق، خلافاً للكذب، فحبله - كما قيل - قصير سرعان ما يقطع بصاحبه.

مثال: فلو أنّك أردت شراء دار وسألت عنها صاحبها، فأخبرك أنّها صالحة وليس فيها عيوب أو مشاكل، وكان صادقاً في إخباره، فإنّك سوف تبادر إلى شرائها دون أن تعترض عليه أو ينقطع تصديقك به. أمّا إذا كان كاذباً، فإنّك قد تصدّقه حين الشراء، ولكن هذه الحالة ستزول عندما تكتشف أنّ الأمر لم يكن كذلك. أي سيحدث انفصام وانقطاع في تصديقك به.

أمّا دين الله تعالى فلا انفصام فيه. فعندما يخبر الله تعالى الإنسان ويعده أنّه سيسعده إذا ما اتّبع سبيله، فإنّ المسلم الحقيقي لاشكّ سينعم بالسعادة ما حيي، خلافاً لبقية المبادئ التي تعِد الناس ولا تفي ثم يظهر كذبها عاجلاً أم آجلاً.

حرية اختيار الدين في الإسلام

من أصول الإسلام المسلّمة والمؤكّدة مسألة حرية اختيار الدين؛ قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾. بل ليكن معلوماً - قبل كلّ شيء - أنّ الإسلام وحده هو دين الحرّية. فحتّى المدارس والمبادئ الأخرى التي ظهرت منذ قرون وما زالت ترفع شعار الحرّية لا واقع للحرية فيها سوى الاسم. أمّا الإسلام فهو دين الحريات مبدأً وشعاراً، وقولاً وعملاً. وهذا موضوع

طويل يتطلّب من الباحث أن يطالع الفقه الإسلامي بتعمّق – من أوّله إلى آخره – لكي يعرف كيف أنّ الإسلام التزم بمبدأ ﴿لاإكراهفيالدين﴾ في مختلف مجالات الحياة.

رسول الله صلى الله عليه وآله القدوة في تطبيق المبدأ

لقد شنّ أهل مكّة حرباً ظالمة على رسول الله صلى الله عليه وآله قلّ نظيرها في التاريخ. فلقد عُرف صلى الله عليه وآله بينهم بالصدق والأمانة حتى لقّبوه بالصادق الأمين، ولكنهم مع ذلك حاربوه – إلاّ قليلاً منهم – عسكرياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، حتى بلغ الأمر بهم أنّهم كانوا لا يردّون تحيّته إذا حيّاهم[1].

فكان الشخص منهم – وهو مشرك – يخشى إذا ردّ تحيّة النبي صلى الله عليه وآله أن يراه الرائي من المشركين فلا يتبايعون معه بعد ذلك ولا يزوّجونه ولا يتزوّجون منه.

وطردوا رسول الله صلى الله عليه وآله ومَن معه إلى أطراف مكّة

(١) لاشكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يحيّيهم بتحية الإسلام – وهي: السلام عليكم – بل كان يحييهم بأنواع التحيات الأخرى؛ لأنّ ههنا مسألة وهي: أنّه يجوز للمسلم أن يحيّي الكفّار بمختلف التحيات باستثناء تحيّة الإسلام، ولا يجوز له أن يقولها إلا لمسلم، بل أن يقول له: أنعم صباحاً أو أنعم مساءً، أهلاً وسهلاً، تحية طيّبة، وما أشبه، لأنّ كلمة «السلام عليكم» مختصّة بالإسلام والمسلمين دون غيرهم، ووردت فيها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام، تؤكّد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحيّي المشركين بمختلف التحيات إلاّ كلمة «السلام عليكم»، فلقد وُضعت للمسلمين خاصة. فإذا حيّى مسلم مسلماً قال له: «السلام عليكم» والحديث المعروف الذي لابدّ وأنّ كثيراً منكم سمعه وهو «تحية الإسلام السلام» يعني أنّ هذه التحيّة خاصّة بالإسلام. (عنه حفظه الله).

وحاصروهم في شعب أبي طالب وفرضوا العزلة عليهم، فكان لا يحقّ لهم دخول مكّة، وإذا دخلها أحدهم فدمه هدر. واستمرّت الحالة هذه مدّة ثلاث سنين.

وبعدما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة شنّ عليه مشركو مكّة عشرات الحروب يساندهم فيها اليهود والمنافقون. ودامت الحالة عشرين سنة بمختلف أساليب الحروب حتى أذن الله له بالفتح .. وجاء صلى الله عليه وآله مكّة فاتحاً .. وأصبحت مكّة بعد ذلك في قبضته وتحت سلطته.

ورغم كلّ ما فعله المشركون من أهل مكّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أنّ التاريخ لم يحدّثنا أنّه صلى الله عليه وآله أجبر ولو شخصاً واحداً على الإسلام، ولو أنّه صلى الله عليه وآله أراد أن يجبر أهل مكّة على الإسلام لأسلموا كلّهم تحت وطأة السيف، لكنّه صلى الله عليه وآله لم يفعل ذلك ولم يجبر أحداً على الإسلام. أمّا دعوى إسلام أبي سفيان فكان بتحريض وتخويف من العباس بن عبد المطلب (عمّ النبي) وليس من النبي صلى الله عليه وآله نفسه، فالعباس هو الذي طلب من أبي سفيان أن يُسلم حفاظاً على دمه لئلا يقتله النبي صلى الله عليه وآله، وكلام العباس ليس حجّة ولا تشريعاً، بل كان من عند نفسه. ولو أنّ أبا سفيان لم يسلم لما أجبره رسول الله صلى الله عليه وآله على الإسلام. فكثيرون من أمثال أبي سفيان كانوا موجودين في مكّة ولم يقتل النبيّ صلى الله عليه وآله أحداً منهم بسبب عدم إسلامه، ولا أجبر أحداً على الإسلام، بل تركهم على دينهم مع أنّه باطل وخرافي لكيلا يسلبهم حرية الفكر والدين.

حقاً هل رأيتم مثيلاً لسلوك نبينا صلى الله عليه وآله في التاريخ؛ يحاربه

قومه مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته ونبله وكرم أخلاقه، بمختلف أنواع الحروب القاسية ويطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم يتركهم أحراراً وما يختارون من دين وطريقة حياة؟!

نعم كان الرسول صلى الله عليه وآله يهديهم وينصحهم ويوضّح لهم طريق الرشد ويميّزه عن طريق الغيّ ثم يترك الاختيار لهم ﴿فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر﴾[١]، ﴿قد تبيّن الرشد من الغيّ فمَن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[٢]، ﴿وهديناه النجدين﴾[٣]، ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[٤]. هذا هو أسلوب الإسلام، لاضغط ولا إكراه فيه.

وهكذا الحال في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله مع اليهود والنصارى. فلقد ردّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عشرات الحروب والاعتداءات التي شنّها أهل الكتاب دون أن يجبر أحداً منهم على الإسلام. لم يسجّل التاريخ ولو حالة واحدة يكون فيها رسول الله صلى الله عليه وآله قد أجبر ذمياً على اعتناق الإسلام، والتاريخ حافل بسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وسجّل وحفظ الدقائق عن حياته. فالعلاّمة المجلسي رحمه الله وحده خصّص في موسوعته (بحار الأنوار) عشرة مجلّدات ذات أربعمئة صفحة أي ما مجموعه أربعة آلاف صفحة أو أكثر كلّها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وحروبه وأخلاقه وسيرته مع المسلمين ومع المشركين وأهل الكتاب.. لا تجدون فيها موقفاً واحداً أجبر رسول الله صلى الله عليه وآله نصرانياً

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) الإنسان: ٣.

أو يهودياً على اعتناق الإسلام، بل تجدون أنّه صلى الله عليه وآله كان له صديق مسيحي أو جار يهودي دون أن يجبره على اعتناق الإسلام مع أنّه كان الحاكم الأعلى في الجزيرة العربية وكان بيده السيف والمال والقوّة الكافية.

أمثلة من سيرة أمير المؤمنين سلام الله عليه

ولو انتقلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل بيته سلام الله عليهم لرأينا الحالة نفسها. فها هو الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه قد كان مبتلىً بأشخاص ذوي نفسيات وضيعة تردّ عليه وتقطع كلامه وتجادله بالباطل بل حتى تتطاول عليه، وهو مع ذلك لا يأمر بقطع رؤوسهم وهو الحاكم الأعلى الذي بايعته الأمّة قاطبة ناهيك عن كونه منصّباً من قِبل رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر من العلي القدير، بل كان يجيبهم ويترك لهم حرية العقيدة ما لم يتآمروا ويلجأوا إلى استعمال القوة والسيف.

فثم شخص يُسمى ابن الكوا، ملحد زنديق، مشاغب مشعوذ، ذو مشاكل ومتاعب، كان يردّ على أمير المؤمنين سلام الله عليه ويناقشه كلّ حين، حتى والإمام على المنبر، ومع ذلك تركه الإمام وشأنه يعيش في المجتمع دون أن يفرض عليه شيئاً.

وهناك جرثومة أخرى يدعى عمرو بن حريث، من طراز معاوية وأبيه، منافق وضيع، ومهما تقل فيه من عيوب النفس ودناءة الخلق فقليل بحقّه، كان ممّن يحضر المسجد ويستمع إلى خطب أمير المؤمنين سلام الله عليه ثم يقطع حديثه متهكّماً. وإذا أخبر أمير المؤمنين سلام الله عليه عن أمور غير ظاهرة – غيبية – ترك ابن حريث أعماله وجرى خلف ما أخبر به

أمير المؤمنين سلام الله عليه يزعم أنّه يريد أن يكشف للناس كذب أبي تراب!! وظلّت هذه الحسرة في نفس ابن حريث تنغّص عليه حياته حتى ذهب إلى قبره همّاً ونكداً دون أن يفلح في كشف ولو كذبة – حسب ما يزعم – لأبي تراب؛ وكأنه قد غفل – حاله حال المنافقين – أنه لا يتردد على لسان أبي تراب سوى الصدق وأصله. وعاش هذا المنافق في ظلّ عليّ سلام الله عليه وبعده، والإمام علي سلام الله عليه لم يصنع معه أيّ شيء، ولم يقل له يوماً تخلّ عمّا أنت عليه وإلاّ ضربت عنقك! لأنّه إمام الإسلام؛ دين حرية الفكر والعقيدة.

أجل، إنّ من عرف الحقّ ولم يترك الباطل فإنّ مصيره يوم القيامة إلى جهنّم وبئس المصير. أمّا في الدنيا فـ﴿لاإكراهفيالدين﴾ ليتمّ الامتحان ويُعرف الطالح من الصالح، والخبيث من الطيّب. فإنّ ابن حريث هذا امتدّ به العمر حتى كان من الشهود ضدّ ميثم التمّار رضوان الله عليه حينما أراد الطغاة الطغام من بني أمية قتله، فقال في حقّه – ليدلي بشهادته ضده لكونه من أصحاب عليّ الحق ومواليه – : «هذا الكذّاب مولى الكذّاب» يعني علي بن أبي طالب سلام الله عليه مولى الصادقين وإمام المتّقين.

أرأيت نفسية هذا المنافق الدنيئة؟! إنّ رجلاً مثل هذا عاش مع أمير المؤمنين سلام الله عليه ثلاثين سنة وكان سلام الله عليه رئيساً وحاكماً بيده القوّة، ومع ذلك لم ينل منه! فهل رأيتم في تاريخ العالَم رئيس دولة كعلي؟! وهل رأيتم سماحة كسماحة الإسلام؟ وهل رأيتم حرية كقوله تعالى: ﴿لاإكراهفيالدين﴾؟!

عن ابن عباس قال:

مرّ أمير المؤمنين سلام الله عليه بالحسن البصري وهو يتوضأ،

فقال: «يا حسن أسبغ الوضوء. فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، يصلون الخمس ويسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: *قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟* فقال: والله لأصدقنّك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت في أوّل يوم فاغتسلتُ وتحنطتُ وصببتُ عليَّ سلاحي، وأنا لا أشك في أنّ التخلّف عن أمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني مناد: يا حسن إلى أين؟ ارجع فإنّ القاتل والمقتول في النار! فرجعت ذعراً وجلست في بيتي فلمّا كان في اليوم الثاني لم أشكّ أن التخلف عن أمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنّطتُ وصببتُ عليَّ سلاحي وخرجت إلى القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فناداني مناد من خلفي: يا حسن إلى أين؟ مرّة بعد أخرى، فإنّ القاتل والمقتول في النار! قال علي عليه السلام: *صدقك أفتدري مَن ذلك المنادي؟* قال: لا. قال عليه السلام: *ذلك أخوك إبليس، وصدقك إنّ القاتل والمقتول منهم في النار.* فقال الحسن البصري: الآن عرفتُ يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكى»[1].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ٢٥٠.

مقارنة

حقاً هل يجرؤ أحد من الرعية أن يكلّم رئيساً بهذا الكلام - والإمام مع ذلك يلاطفه ويحاوره- حتى في عصرنا هذا؛ حيث يمضي على صدر الإسلام أربعة عشر قرناً، وتطوّر العالَم حتى صار يسمّى عصرنا بعصر الحرّيات؟!

لقد قتل وشرّد «لينين» - رئيس جمهوريات الاتحاد السوفييتي قبل حلّها وأمين سرّ الحزب الشيوعي السوفييتي - وحده في عصر الحرية والتقدّم خمسة ملايين إنسان من أجل تطبيق مادّة قانونية واحدة من قانون المزارع الجماعية في الاتّحاد السوفياتي السابق!!

وفي العراق كان أحد رؤساء العراق يخطب فانبرى أحد المواطنين ليردّ عليه ويناقشه، فقام الجلاوزة باعتقاله وسجنه وتعذيبه وقتله، لأنّه قال كلمة ينتقد فيها رئيساً في القرن العشرين!!

وحدث شبيه لهذه القصة في بلد آخر - كما طالعتنا الصحف في حينه – وحلّ به المصير نفسه!! كلّ ذلك ونحن في ما يُسمّى بعصر الحريات. فهل هذه هي الحرية حقّاً أم الحرية الموجودة في ظلّ الإسلام؟!

لقد أُقصي الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه خمساً وعشرين سنة ثم توجّهت إليه الأمّة وتزاحمت على بابه للبيعة حتى *لقد وطئ الحسنان*[1] كما قال سلام الله عليه في خطبته المعروفة بالشقشقية. ومع ذلك ذكر

---

(١) نهج البلاغة: ٤٨، الخطبة الشقشقية. الحسنان - بسكون السين - الإبهامان من القدمين. وقرأ بعضٌ: الحسنان - بفتح السين - أي الحسن والحسين سلام الله عليهما.

المؤرخون – سنّة وشيعة – أنّ الإمام بعدما بويع، ارتقى المنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان المسجد مكتظّاً بالناس الذين حضروا لاستماع أوّل خطبة لابن عمّ رسول الله ووصيّه وخليفته الحقيقي الذي أُبعد عن قيادة المسلمين خمساً وعشرين سنة، بعد أن آل إليه الحكم الظاهري، ثم أمر جماعة من أصحابه على رأسهم ابنه الإمام الحسن سلام الله عليه أن يذهبوا إلى الكوفة وينظروا هل هناك مَن لا يرضى بخلافته. فقال الناس بأجمعهم: *رضينا بأمير المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلّف عن دعوته، والله لو لم يستنصرنا لنصرناه، سمعاً وطاعة*[1]. بل حتى طلحة والزبير لم يتخلّفا عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عندما انعقدت له، ولكنهما نكثا بعد ذلك، ولم يعترض أيّ أحد في هذا الأمر ولو حصل لما عاقبه الإمام بالقتل أو السجن أو الضرب ولا قال له شيئاً من شأنه أن يهينه أوينال منه! فهل رأيتم أو سمعتم مثل هذا في عصر الديمقراطية الحديثة؟! والتي تعني – من جملة ما تعنيه – حكم الأكثرية، فلو حصل شخص ما على واحد وخمسين في المئة من الأصوات فهذا يخوّله لأن يصبح رئيساً للبلاد – وهذا يعدّ من أكبر أخطاء الديمقراطية، وبحثه موكول إلى محلّه – أمّا الإمام علي سلام الله عليه فقد بايعته الأكثرية المطلقة من الناس ومع ذلك يصعد المنبر ليبحث إن كان هناك معارض له أم لا، وليبحث عن سبب معارضته له! فهل تجدون لهذا نظيراً في التاريخ؟!

لقد كتب محبّو «صلاح الدين الأيوبي» الذين يشيدون بشخصيته ويعظّمونه أنّه قتل قرابة مليون إنسان ليس لشيء إلاّ لأنّهم يختلفون معه

---

(١) راجع: الأمالي للطوسي: ٣٢٥ – ٣٣١ ح ٢٣.

في الرأي.

فأين هذا من الإسلام ومن سيرة النبي صلى الله عليه وآله حين حاربه قومه عشرين سنة وأخرجوه من داره، ولكنّه عندما عاد إليهم ظافراً بنصر الله وعزّته وقدرته لم يجبر أحداً منهم على اتّباع دينه، بل قال: *مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن*[١]. ولم يقل مَن أسلم وشهد الشهادتين فهو آمن، مع أنّ مهمّته صلى الله عليه وآله هي تبليغ الشهادتين.. ولكنّ حرية الرأي في نظام الله وقانون الإسلام لا تقلّ تقديساً من الشهادتين. فالإسلام يريد أن يجعل الناس أحراراً. قال تعالى: ﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾[٢].

أنت حرّ ما لم تضرّ

يقول لك الإسلام: اعمل ما تشاء، فلك حرية العمل شريطة أن لا تضرّ غيرك؛ فإنّه *لا ضرر ولا ضرار في الإسلام*[٣] والإسلام يضرب بشدّة على يد الظالم ومَن يريد إلحاق الضرر بالآخرين، فإذا ضمنت ذلك فأنت حرّ في كلّ أمورك، أيّ عمل تعمل، وأيّ مكان تذهب. وأنت حرّ في ذهابك ومجيئك وسفرك وصداقاتك، فلا ضغط ولا جبر ولا إكراه ولا كبت للحرية في الإسلام، ولكن ثمة توجيهات وإرشادات تبيّن لك السلوك الأحسن، تقول: هذا صحيح وهذا مستحبّ وهذا مفضّل وهذا مكروه.

---

(١) تفسير القمّي: ٢ / ٢٩٥ تفسير سورة الحجرات.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٢ / ٣٠٨ باب ١٣ ح ٤.

فلنقرأ عن الإسلام، ولنقرأ عن غيره أيضاً ثم نقارن بينهما. ففي القرون الوسطى كان العالِم في الغرب يُقتل لمجرّد إبداء رأيه في قضية ما وإن كانت علمية محضة لا علاقة لها بالدين وتشريعاته!!!

فقتلوا القائل بكروية الأرض، وكذلك الرجل الذي ترجم الكتاب المسمّى عندهم بالمقدّس؛ فقد كان هذا الكتاب حكراً على رجال الكنيسة فقط ولا يعرف لغته غيرهم.

هكذا كانت حالة أوربا في القرون الوسطى أي بعد مرور أربعمئة سنة على الإسلام. فهل يصحّ مقارنتها مع عهد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه؟ كلاّ بالطبع؛ إذ كيف يصحّ مقارنة الصفر بالكثير بل لابدّ أن يكون مقابل الكثير عدد لتصحّ المقارنة. ومن هنا قيل: مَن فضّل علياً على معاوية فقد كفر، لأنّ معاوية لا فضل عنده ليكون علي أفضل منه. بل لا يقاس بآل محمد من هذه الأمّة – ولا من غيرها – أحد[1]، فلقد كانوا صلوات الله عليهم أجمعين يمثّلون القرآن.

التزم بتوجيهات الإسلام ولا تكن عبد غيرك

هناك تهمة وجّهها بعض المستشرقين إلى الإسلام ويردّدها بعض الشباب الذين لا يعرفون الإسلام حق معرفته. فهم يقولون: إنّ الإسلام كلّه محرّمات وقيود ونواه. ونحن نقول لهم: بالعكس تماماً فإنّ الحرية الموجودة في الإسلام لا يوجد لها نظير في كلّ مكان!

---

(١) روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: نحن أهل بيت لا نقاس بالناس (بحار الأنوار: ٣٨ / ٨ ح ١٣ باب ٥٦).

خذوا أكثر بلدان العالَم ادعاءً للحرية كفرنسا والولايات المتّحدة مثلاً، ترى القيود الكثيرة للسفر منها وإليها وفي جوانب كثيرة أخرى منها كيفية تربية الأسرة. فهذه القيود موجودة في كلّ دول العالَم وإن كانت في بلداننا أشدّ. أمّا في الإسلام فلا يوجد فيه مثل هذا! فلا يقول لك الإسلام: أين تسكن؟ وأين تذهب؟ وكيف تذهب؟ ومتى تذهب؟ بل يقول لك: إنّ الله خلقك وهو الذي أعطاك الفكر والعقل فلا تكن عبد غيرك، ولا يجب أن تخبر الدولة عن خروجك ودخولك، وإقامتك ورحيلك، وما تستورد وما تصدّر - ما لم يكن ممّا حرّمه الله - لكن الإسلام يضع لك التوجيهات ويقول لك إن التزمت بها تفلح وإلاّ تخسر!

الإسلام يهدي ويرسم الطريق، وبعده لا إكراه في الدين أي كلّ أنواع الإكراه يرفضها الدين. والحريات الموجودة في الإسلام لا نظير لها في التاريخ. وكانت تلك نماذج وهناك مئات بل آلاف النماذج في سيرة النبي وأهل بيته سلام الله عليهم.

فمَن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. ومَن يتمسّك بالطاغوت ويذهب وراء المبادئ الهدّامة والطواغيت البشرية والفكرية فإنّما يتمسّك بعروة منفصمة، حيث سيكتشف بعد مرور عدّة أيام أو أعوام أنّه كان مخطئاً.

إذن الحرية التي يمنحها الإسلام في مختلف المجالات ليس لها نظير ولا شيء يقرب منها في تاريخ العالَم حتى في هذا اليوم المسمّى بعصر الحريات.

وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

المحاضرة الثالثة والعشرون•

حقوق المرأة في الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

«ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم»

• ألقيت هذه المحاضرة عام ١٣٩٩ هـ. ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم﴾[1].

الشرح اللفظي للآية الكريمة

﴿لهن﴾ أي للنساء، من الحقوق ﴿مثل الذي﴾ يجب ﴿عليهنّ﴾ تجاه الرجال. أي إنّ حقوق النساء على الرجال مماثلة لحقوق الرجال على النساء. وهذا حكم ﴿بالمعروف﴾ وليس منكراً. ﴿وللرجال عليهنّ درجة﴾ فوق النساء ﴿والله عزيز﴾ في ذاته ﴿حكيم﴾ في أحكامه.

في هذه المحاضرة نريد أن نبحث باختصار جانباً من قضية المرأة ومكانتها في الإسلام.

يتألف المجتمع الإنساني من شقين، الذكور والإناث. وهذه الظاهرة سارية في الحياة الحيوانية والنباتية والجمادية أيضاً. فهكذا خلق الله

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

الكون نصفه ذكور ونصفه إناث، ﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين﴾[1]. ولكن النصف من الذكور أقل عدداً من الإناث، فالأنثى تمثّل النصف الأكبر عدداً في المجتمع. فما هو حكم الإسلام ونظرته لها؟

"تحرير المرأة" شعار جميل الظاهر خاوي المحتوى

هناك في العالم حقائق وواقعيات، وهناك ظواهر وشكليات. قد ترى شخصاً يكلمك عن موضوع ما كلاماً جميلاً جداً ولكن هذا الكلام لا عمق له في قلبه لأنه لا يلتزم به. فمثلاً يدعو الناس إلى ترك شرب الخمر بينما هو رجل سكير، أو يدعو إلى الإسلام وهو أوّل المخالفين له.

وربما ترى الرجل جالساً أمامك بوجه منطلق بشوش ولكن لو شقّ لك عن قلبه لرأيته مليئاً بالهموم والمشاكل. وهذا يعني وجود ظواهر وشكليات إلى جانب الحقائق والواقعيات المخالفة والمناقضة.

إلاّ أنّ مثقالاً من الواقع والحقيقة يؤثر أكثر من قنطار من الظواهر الخاوية. فلو أنّ بين يديك الآن آلاف بل ملايين من البشر لكنهم موتى بلا أرواح، لما كلّمك واحد منهم حتى حرفاً واحداً، ولكن لو تجلب طفلاً صغيراً عمره شهر واحد فقط لملأ لك البيت ضجيجاً. وما ذلك إلاّ لأن الطفل واقع وحقيقة، أما الموتى فلا أثر لهم وإن حدّثتهم لم تسمع لهم جواباً، لأنّه لا واقع للحياة فيهم.

وهذه الدنيا صبغتها الظواهر. وعندما نأتي إلى قضية المرأة نلاحظ

---

(١) الذاريات: ٤٩.

أنّ الشعارات التي تُرفع باسمها ليست سوى ظواهر مزيّفة وضجيج فارغ.

فتحرير المرأة مثلاً كلمة جميلة ولكن عندما تنبش قلب هذه الكلمة لكي تعرف حقيقتها والواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة في ظلها تكتشف أنّ فيها حثّاً على ابتذال المرأة وإذلالها وليس حريتها كما يزعمون.

أما قول الله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ فكلمة جميلة الظاهر عميقة المحتوى؛ فلو بحثت التاريخ كلّه لما وجدت كلمة في جمال هذه الآية تجمع بين الواقع العميق وبين المظهر الجميل. إنها تتألف من أربع كلمات فقط ولكن لو أُعطيت لأي عاقل ملتفت لقال إنها أحسن ما قيل في حق المرأة[1].

لو أردنا أن نوجز - بتفكير وعمق - كلّ ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات لما وجدنا أجمل ولا أجمع من هذه الكلمة. ولو عرضت هذه الكلمة على عقلاء العالم وحكمائه فسيقولون لك كلّهم: إنها تعبر عن تقسيم عادل حكيم.

ولكنّا نريد في هذا البحث الإجابة على سؤالين أو شبهتين تثاران اليوم كثيراً بخصوص أحكام المرأة في الإسلام، تقول الأولى: لماذا جعل الله حصة المرأة من الإرث نصف حصة الرجل؟ والثانية: لماذا جعل الطلاق في الإسلام بيد الرجل دون المرأة؟

---

(١) روى النمازي في مستدرك سفينة البحار: ٩ / ٢٥٠ في باب الشعر، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه. أي أن العاقل يفكر أولاً ويأخذ تصوراً كاملاً عن الموضوع ثم يتكلم، أي أن الكلام ينطلق من مخزن القلب إلى اللسان، أما الأحمق فبالعكس، أي أنه يتكلم أولاً ثم يفكر في ما قال. (عنه حفظه الله).

قبل الإجابة على السؤالين لابدّ من مقدمة:

الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر

لاحظوا بدن الإنسان وهيكله تجدونه مديناً في حركته إلى العظام والغضاريف، والغضروف لا هو لحم ولا هو عظم بل حالة فيما بينهما وهو الرابط بين مفاصل العظام. فلو أنّ جسم الإنسان كان كلّه عظماً لما تمكن أن يدير رأسه ولا أن يرفع يده ولا أن يمشي بل سيكون مضطراً لأن يبقى ممدداً طيلة الوقت في حالة واحدة، لأنّ الغضروف هو الذي يساعد المفاصل على الحركة والقبض والبسط، وهذا شيء واضح.

كذلك إذا كان بدن الإنسان كلّه غضاريف ولا عظم في جسمه، فإنّه أيضاً لا يقوى على الحركة بل سيظل كتلة ملقاة على الأرض لا يتمكن أن يجلس أو يسير لأنّ قوة العظم وشدته هي التي تحمل الإنسان وتجعله يقوى على القيام والقعود وحمل الأشياء و...

ومن ثم كان بدن الإنسان محتاجاً إلى العظم والغضروف معاً ليكمل أحدهما الآخر في مهمة الحركة والقيام بأعباء الحياة.

إنّ مَثل الرجل والمرأة في الحياة مَثل العظم والغضروف في بدن الإنسان، وثم مثل آخر نضربه لتوضيح الموضوع - والأمثال كلّها من الطبيعة وكم لها من نظير - وهو أنّ الحياة مزيج من العقل والعاطفة، فإنّ الحياة لا تبنى بالعقل وحده ولا بالعاطفة وحدها. فلو أنّ الحياة سُلب منها العقل عادت فوضى لا نظام فيها، ولا وجدتَ مجلساً منعقداً بعض يتكلّم وبعض يستمع، فإنّ العقل هو الذي يحدد العاطفة ويؤطّرها.

كذلك لا تستقيم الحياة لو كانت خلواً من العاطفة وكانت كلّها عقلاً.

ولا انعقد مجلس كمجلسنا هذا أيضاً، فلا أنا كنت مستعداً لأن أتكلّم في مجلس كهذا ولا أنتم كنتم مستعدين للحضور في مثل هذا المجلس والاستماع إليَّ. لأنّ كلاً منّا كان يفكر أنّه ينبغي أن يكون رئيساً أعلى لدولة كبيرة أو مرجع تقليد كبير؛ أو على الأقل متحدثاً لجمهور كبير. فبالعقل المجرد عن العاطفة يبحث كلّ إنسان عن طريق يسود فيه ويفرض شخصيته على الملايين. لكن الحياة بقيت متوازنة بوجود العقل والعاطفة معاً.

ومَثل المرأة والرجل في الحياة كمثَل العاطفة والعقل، ولكن ذلك لا يعني أنّ المرأة عاطفة بلا عقل، وأنّ الرجل عقل بلا عاطفة، بل بمعنى أنّ المرأة كيان عاطفي تترجّح فيه كفة تأثير العاطفة خلافاً للرجل – في الغالب – فهو كيان يتغلب فيه العقل على العاطفة. فلو قلنا إنّ مجموع العقل والعاطفة مئة فإنّ عاطفة الرجل ٤٠٪ وعقله ٦٠٪ أمّا المرأة فتأثير عقلها ٤٠٪ وعاطفتها ٦٠٪ مثلاً من أجل تسيير الحياة.

ومن الطبيعي أن تختلف واجبات المرأة عن واجبات الرجل بسبب الاختلاف الموجود في طبيعتهما كما تختلف واجبات الغضروف عن العظم، والعاطفة عن العقل. فاستقامة البدن بالعظم وحركته بالغضروف ولو أردتَ أن تساوي بينهما فمعناه أنّك شللت البدن. وفي الحديث *لو أن الناس تساووا لهلكوا*.

أو مثَل آخر: لو أردتَ أن تساوي بين المرأة والرجل في كلّ الأمور تكون كمَن يحمّل أطناناً من الحديد في سيارة صغيرة، ويحمّل الشاحنات الكبيرة بضعة كيلوات من أجهزة دقيقة. فلا السيارة الصغيرة ستكون قادرة على حمل تلك الأطنان، ولا الشاحنات استُفيد منها بالوجه

الصحيح.

ومثال آخر –والأمثلة كما قلت كثيرة –: لو ساويت في الأكل الذي تقدمه لببغاء صغير وأسد ضخم، فربما مات الببغاء خنقاً والأسد جوعاً.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف﴾ أي بما يتناسب وطبيعة كلّ منهما. فإذا أردنا أن نُدخل النساء المعامل الثقيلة أو نُسكن الرجال البيوت للقيام بالمهام المنْزلية، فكلا الفرضين يحدث شللاً في الحياة. والدليل على ذلك ما نلاحظه في الحياة الغربية. فمن أين جاءت هذه المشاكل مع أنّ البشر هم البشر والرجل هو الرجل والمرأة هي المرأة؟ الجواب: لأنّ واجبات المرأة أُخذت منها وخُوّلت بواجبات الرجل، وواجبات الرجل أُخذت منه وأُعطيت للمرأة، لذلك حدث شلل في الحياة الأسرية ومشاكل، وبدأ الرجال يزدادون تنفراً من زوجاتهم، والنساء يزددن تنفراً من أزواجهن، وأخذت نسبة الطلاق تتزايد يوماً بعد يوم.

انظر إلى الدراسات التي أجريت على إحصائيات نسبة الطلاق في أيّ بلد من البلاد الغربية المتمدنة منذ عام ١٩٠٠م والعقود التالية ترَ معدّلاتها في تصاعد مستمر. فالعلم يتقدم بالبشر إلى الفضاء ولكن مشاكله تتقدم به إلى الطلاق وانهدام الأسرة وتفككها وتفاقم المشاكل الزوجية، لماذا؟ لأنّ كلاً تخلّى عن بعض واجباته وقام بواجبات الآخر، مع أنّه ليس كفئاً لها، والحياة حياة الأكفّاء، كما هو الحال في الحياة المادية. فالمهندس يدرس أكثر من عشرين سنة لكي يتخصص في مجال ما ويعطيك رأيه في الخصائص التي ينبغي أن يتحلى بها سقف ما – مثلاً – لكي يتحمّل وزناً ما.

فإذا كان جانب صغير من الحياة المادية يحتاج لكلّ هذه الدراسة والكفاءة، أفيصحّ بعد ذلك أن يكون حال البشر المؤلَّف من المادة والمعنى، ومن الواقع والظاهر، هكذا هملاً ومن دون تقدير.

خذ مثلاً آخر على نتائج الابتعاد عن أحكام الله تعالى في حياة البشر، من الحضارة الغربية نفسها وهو مستشفيات الأمراض العصبية فهي أكثر عدداً من المستشفيات الأخرى في الغرب، على العكس من بلادنا! ومن الواضح أنّ ٩٠٪ من أمراض الأعصاب تنشأ من المشاكل، فمن أين تأتي المشاكل؟ هل تأتي من الله – سبحانه – ينزلها مع أشعة الشمس على البشر؟ أم يفيض بها البحر علينا؟ كلاّ! بل تأتي من أفكارنا نحن، حينما يضع كلّ منا نفسه في غير موضعه.

لقد صعدوا بالمرأة من جانب ونزلوا بها من جانب آخر فتولدت المشاكل. إنّ المرأة مثال العاطفة في الحياة، فالأمور التي تحتاج إلى العاطفة مخوّلة للمرأة، بينما الرجل مثال العقل ولذلك أوكلت إليه الأمور التي تحتاج إلى عزم وتصميم، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿**وللرجال عليهنّ درجة**﴾.

قد يثار هنا سؤال هو: هل العقل يسيّر العاطفة أم العاطفة تسيّر العقل؟

نقول في الجواب: إنّ العقل هو الذي يسيّر العاطفة. يقولون: إنّ كلّ الثورات التي تحدث في العالم تحتاج إلى أمل وألم.. بل كلّ حركة وراءها أمل وألم. فالألم يحرّك الإنسان والأمل مظهر العقل، والعقل يحدد الأبعاد، فمثلاً الإنسان الشبعان الذي لا يعاني من ألم الجوع لا يبالي بترك أيام من العمل. أمّا الإنسان الذي لا يجد غذاء يتناوله ويشبع

بطنه إن لم يخرج للعمل، فهو لا يترك حتى يوماً واحداً من العمل وإن كان عمله الاستجداء والسؤال من الناس، فالألم هو الذي يحرّك الإنسان، ولكن الأمل هو الذي يضع إطاراً وحدوداً للحركة.

لماذا كان نصيب المرأة من الإرث نصف نصيب الرجل؟

بعد عرض هذه المقدّمة الطويلة نسبياً نأتي إلى ذي المقدمة وهو قضية المرأة والإجابة على السؤالين المتقدمين، وأوّلهما: لماذا جعل الله نصيب الرجل من الإرث ضعف نصيب المرأة؟

لكي يتضح الجواب، لابدّ من مراجعة أحكام الإسلام المالية فيما يخص الرجل والمرأة، فإنّ الإسلام جعل نفقات المرأة على الرجل سواءً كانت بنتاً أم زوجة أم أمّاً. فحتى أدوات التجميل يحقّ لها تقاضي ثمنها من الزوج بما يتناسب وشأنها، ناهيك عن الغذاء والمسكن والملبس والدواء والترفيه وحتى كفن الزوجة إذا ماتت وماء غسلها وثمن الأرض التي تُدفن فيها وأجور الدفن و... ، كلّ ذلك على الزوج حتى إذا كانت الزوجة ثرية تملك الملايين والزوج معسراً، ولكن في حدود المعروف، كما قيَّدت الآية.

إذن لو مات أب وخلّف أولاداً ذكوراً وإناثاً فالإناث ليس عليهن مصارف لأنّ مصارفهن كلّها على الرجال، أما الرجال فيتحملون مصارف أنفسهم ومصارف النساء التي تعود نفقتهن عليهم كالزوجة وهكذا الأخت والأم المعسرتين!

حقاً لولا لطف الإسلام ورفقه بالمرأة لاقتضى أن يجعل الإرث كلّه للرجل كما كان الأمر في الجاهلية – قبل الإسلام – وكما هو موجود في

بعض الجاهليات الحديثة. ولو تُركنا وعقولنا ولم نستضئ بهدي الإسلام لبدا لنا اختصاص الرجل بالإرث كلّه معقولاً، فلماذا نعطي المال للمرأة والرجل يصرف عليها كلّ ما تحتاجه؟ ولكن الإسلام لم يغفل أنّ المرأة قد تحتاج ولا تطلب من الرجل حياءً ولا يريد الإسلام للمرأة أن تبذل ماء وجهها، ولذلك فرض لها حصة من الإرث. هذا بالإضافة إلى أنّ في منحها حصة من الإرث نوعاً من تطييب نفسها سيما وهي مفجوعة أيضاً بموت قريبها.

فهل يعدّ حكم الإسلام في إرث المرأة بعد هذا ظلماً في حقها وحطّاً من كرامتها أم أنّ الأمر ببساطة ووضوح يتناسب مع الأحكام المالية الأخرى للمرأة في الإسلام مع أخذ عاطفة المرأة بنظر الاعتبار، لأنّ الإسلام يلاحظ العواطف أيضاً؟!

لماذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل؟

أمّا السؤال الثاني وهو: لماذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل دون المرأة؟

فنقول في الإجابة عليه: لما كان كلّ فكرين يصطدمان بطبعهما، حتى الأخوين قد يختلفان أو الأب والابن، فكذلك حال الرجل والمرأة فإنّ الاختلاف أمر طبيعي في الحياة، وإلاّ لو لم يكن الاختلاف فلماذا يحصل الطلاق؟ وهل يصح أن نقول للزوجين المختلفين، تفاهما وقررا الطلاق معاً فهو بيدكما معاً وليس لأحد منكما دون الآخر، فكيف يتصوّر أن يتّفقا ويتفاهما وهما مختلفان؟ فأكثر حالات الطلاق إنما تنتج لأنّ الزوجين غير متناغمين، فالزوج قد يكون ثائراً إلى حد الرغبة بالطلاق

أما الزوجة فغير ثائرة إلى ذلك الحد. وربما كان الأمر بالعكس، فكيف يتفقان على الطلاق وهما مختلفان. إن التشاجر والنّزاع والصدام هو الذي يؤدي إلى الطلاق، فإذا كان هناك تشاجر ونزاع وصدام فكيف يتصور التفاهم وهو على النقيض من تلك الحالات؟

إذن لابدّ أن يكون الطلاق بيد أحدهما أو بيد شخص آخر غيرهما ولا احتمال آخر. أمّا الاحتمال الأخير وهو أن يكون الطلاق بيد شخص أو جهة غيرهما، فهذا أمر مرفوض بالكامل لأنّ أياً من الزوجين قد لا يبدي كلّ ما في قلبه تجاه الآخر للغير كما يبديه لزوجه، فكيف نترك شأن حياتهما المشتركة بيد شخص ثالث لا يعيش تجربتهما؟!

يبقى عندنا أحد احتمالين، إما أن يكون الطلاق بيد المرأة أو بيد الرجل وقدّمنا أنّ المرأة عاطفية أكثر من الرجل، وهذا التكوين العاطفي للمرأة قد يدفعها لاتخاذ قرار عاجل بالطلاق سرعان ما تندم عليه بعد زوال أسباب الإثارة، على العكس من الرجل فطبيعته – في الغالب – لا تجعله يثور بسرعة وإذا ثار واتّخذ قراراً فلا يتراجع عنه بسرعة لأنّه لم يتخذه بتأثير عاطفي سريع الزوال؛ فثورة الرجل عن خلفية وامتداد وإذا حدثت تعمقت وتجذرت، أما ثورة المرأة فكزبد البحر أو الرغوة التي تعلو غسيل الثياب، فلو وضع الإسلام الطلاق بيد المرأة لكان خلاف الحكمة والتكوين الطبيعي لها.

انظر إلى نسب الطلاق في الغرب واستخلص منها العبر، فحسب بعض التقارير أنّ ٨٧٪ من النساء اللاتي طلَّقْنَ في الغرب تُظهر الندم في غضون شهر بعد الطلاق، ناهيك عن اللواتي لم يعلنَّ ذلك تجلّداً، أما الرجال فلم تبلغ النسبة من النادمين على قرارهم بالطلاق ١٧٪.

يتبين أنّ حكمة التشريع في وضع الطلاق بيد الرجل هو التقليل من حالات الطلاق ودعماً لأواصر المحبة بين الزوجين واستمراراً للحياة الزوجية.

هذا ولم يتجاهل الإسلام كرامة المرأة واختيارها حتى في هذا المجال، فقد ترك لها الإرادة كاملة قبل الزواج، والحرية في أن لا تتزوج إلاّ بشرط أن تكون وكيلة عن الزوج في الطلاق، فيصبح لها هذا الحق كما للزوج، ولكنه مع ذلك يشجع في خطه العام على الزواج، ويقول للمرأة: أنا أضع أمامك طريق الحياة السعيدة حتى مع كون الطلاق بيد الرجل، ولكن في الوقت نفسه، ولكي لا تشعري بالإجبار والإكراه، لا أجبرك على شيء، وبإمكانك أن تضعي هذا الشرط قبل الزواج. وهذه المسألةَ طرحت في عهد الإمام الصادق سلام الله عليه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المحاضرة الرابعة والعشرون•

الإصلاح الزراعي في الإسلام

وقفة مع الآية الكريمة

«ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض»

• ألقيت هذه المحاضرة عام ١٣٩٨ هـ. ، ضمن المحاضرات الأخلاقية على طلبة العلوم الدينية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[1].

القرية في الاستعمال القرآني

القرى جمع قرية، والقرية قد تُطلق ويراد بها معناها العرفي وهو ما يقابل المدينة فيكون المقصود من القرى البلدان الصغيرة خارج المدن. وقد يراد منها معناها اللغوي وهو المصر الجامع وكلّ مكان اتّصلت به الأبنية واتّخذ قراراً، فتقع على المدن وغيرها.

الاستعمال القرآني للكلمة يلحظ المعنى اللغوي، فعندما يطلق القرآن كلمة قرية فإنّما يريد بها المدن والبلدان والأمصار. فالكويت مثلاً قرية في الاستعمال القرآني وكذلك بغداد والقاهرة ومكة المكرمة التي أسماها القرآن الكريم أمّ القرى بهذه المناسبة.

---

(١) الأعراف: ٩٦.

معنى البركة

البركة في اللغة: نماء وزيادة، أو هو الخير الدائم. فلا يقال عن شرّ أو سيّئ ولا عن الخير المنقطع أنّه مبارك[١].

فعندما نبارك لشخص تزوّج حديثاً فإنّما نتمنّى له دوام السعادة في زواجه، وكذلك عندما نبارك لشخص اشترى داراً فهذا يعني أنّنا نتمنى له دوام هذه النعمة عليه ونماءها وزيادتها وارتقاءها، ويقول الله تعالى عن كتابه أنّه ﴿ذكر مبارك﴾[٢] لأنّ القرآن خير نامٍ ومستمرّ.

لنزول البركات سببان؛ تكويني وتشريعي

إنّ الله تعالى هو خالق الإنسان وهو أعرف بما يصلحه، سواء من الناحية التكوينية أو التشريعية ﴿ألا يعلم مَن خلقَ وهو اللطيف الخبير﴾[٣]. ولذلك سنّ الله تعالى قوانين لمصلحة الإنسان ونظام حياته بعضها تكويني هو مجبر عليها، وبعضها الآخر تشريعي ترك للإنسان تنفيذه. فإذا التزم الإنسان بتشريعات الله وما سنّه له من قوانين تصلح حياته نزلت عليه البركات التي مفتاحها القوانين التشريعية - إضافة إلى البركات التي أنزلها عليه بإرادته التكوينية التي لا دخل للإنسان فيها - وإلاّ عاش في خبط وظلام، وقد يحرمه الله من بركاته التكوينية أيضاً.

---

(١) وسُمّيت البِرْكة بركة لاستمرار الماء فيها وهو خير ونماء؛ قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حي﴾ الأنبياء: ٣٠.

(٢) الأنبياء: ٥٠.

(٣) الملك: ١٤.

مثال البركات التكوينية

كان في انجلترا جسر يسمى بجسر الانتحار، يقصده الشباب الذين سُلبوا العقل والعاطفة ليلقوا بأنفسهم من على مرتفع منه صوب الجهة التي يتدفّق الماء فيه بسرعة وقوّة ليتلقّفهم ويضرب بهم يميناً وشمالاً بالصخور ثم يموتون!

عندما لاحظ المهتمّون هناك أنّ معدّلات الانتحار في حالة ارتفاع مستمرّ، فكّروا في إيجاد طريق لتقليله - وهذا هو الفرق بين الإسلام وغيره، فإنّ الإسلام يستأصل المشكلات والأمراض من الجذور، أمّا الأنظمة الأخرى فتفكّر في تقليله، وهي لا تنجح حتى في ذلك.

وبعد أن اجتمع المهتمّون من الخبراء والمفكّرين والعلماء وقاموا بتجارب كثيرة اهتدوا إلى شيء خلقه الله عزّ وجلّ منذ بدء الخليقة، حيث اكتشفوا أنّ اللون الأخضر أكثر الألوان تأثيراً في مخّ الإنسان، فالخضرة أقوى وأجمل لون يناسب المخّ. فقاموا بصبغ الجسر باللون الأخضر. وكانت النتيجة تدنّي معدلات الانتحار في السنوات القادمة بنسبة ثمانين في المئة.

والآن تعال إلى الطبيعة وانظر بأيّ لون كساها الله تعالى، لكي تطرد القلق والسأم عن الإنسان؟ إلاّ اللون الأخضر للأشجار؟

فكما أنّ خالق الطبيعة خلقها وفق نظام وقوانين تصلح للإنسان، فكذلك تشريعات الله! ولكن مع فرق أنّ الله تعالى ترك الإنسان حرّاً في تطبيقها! ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا...﴾ الآية.

الإصلاح الزراعي في الإسلام لا غيره

ينطلق الإصلاح الزراعي في الإسلام من هذه الآية الكريمة التي صدّرنا بها البحث، ومن كلمة الرسول الخالدة، المذكورة في كتب الحديث كافة، حيث قال صلى الله عليه وآله *مَن غرس شجراً أو حفر وادياً بدياً لم يسبقه إليه أحد وأحيى أرضاً ميتة فهي له؛ قضاء من الله عز وجل ورسوله*[١]. ومعنى الحديث أنّ الأرض لله تعالى وللإنسان الذي يعمر تلك الأرض؛ وأنّ هذا هو حكم الله ورسوله.

وفي الحديث الشريف: *فإنّ الأرض لله عز وجل ولَمن عمَّرها*[٢].

يمرّ اليوم أكثر من أربعة عشر قرناً على صدر الإسلام، وبسبب التطوّر العلمي الحاصل خلال هذه الفترة تطوّرت الزراعة وأساليبها. ولكن مقارنة بين أوضاع الزراعة في العصور الإسلامية وعصرنا الحاضر تكشف لنا بوضوح أنّ الإصلاح الزراعي موجود في الإسلام وليس في التشريعات الأخرى، لأنّ مشرّع الإسلام هو الله سبحانه، وما عداه فهو فكر بشري قاصر لم يحقّق سوى إفساد الزراعة والنظام الزراعي!

يقول جرجي زيدان – الكاتب العربي المسيحي المعروف – في كتابه «تاريخ التمدّن الإسلامي»: إنّ الأراضي المزروعة في مصر اليوم تبلغ ستة ملايين فدّان. ثم ينقل عن الاصطخري: أنّ الأراضي المزروعة في مصر في القرن الرابع الهجري (أي قبل ألف سنة) بلغت ثلاثين مليون فدّان.

---

(١) تهذيب الأحكام للطوسي: ٧ / ١٥١ ح٦٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٧ / ١٥٢ ح٦٧٢.

ثم يذكر نموذجاً آخر عن السدود المنشأة على نهر دجلة في العراق من بداية دخوله عبر تركيا إلى العراق في مدينة الموصل في شمال العراق حتى بغداد في وسط العراق فيقول نقلاً عن الاصطخري أيضاً: أنّها كانت تبلغ على هذا النهر في هذه المسافة التي تبلغ حوالي (٥٠٠كم) زهاء أربعين سدّاً، فيما لا نعلم اليوم بوجود أكثر من سدّين هما سد سامراء وسد الثرثار!!

إنّ المفروض في كمية الأراضي المزروعة في مصر اليوم – ومصر نموذج ومثال وإلاّ فهذا حال كلّ العالم الإسلامي – أن تكون أضعاف ما كانت عليه في العصر الإسلامي لو أخذنا بنظر الاعتبار التقدّم الحاصل في الآلات والمكائن الزراعية، بل إنّ أكثر الأعمال الزراعية كانت في العصور الإسلامية الأولى باليد. ومع ذلك فإنّ الزراعة كانت تغطّي معظم أراضي مصر التي تبلغ مساحتها ستّة وثلاثين مليون فدّان فقط. والشيء نفسه يقال بالنسبة للسدود المقامة على نهر دجلة في العراق.

هذان نموذجان لأفضلية النظام الإسلامي من خلال أفضلية النتائج المحقّقة على أرض الواقع اللذان ذكرهما جرجي زيدان في كتابه، وأنا أضيف إليهما مثالاً ثالثاً، وهو السدّ العالي في مصر. فقد أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عندما أنشأوا هذا السد، والذين عاصروا تلك الفترة يتذكّرون الضجيج الذي ملأ الآفاق عن السد العالي وأنّه خدمة للبلاد وإنجاز للأمة العربية، وتحدّثتْ الإذاعات وتناقلت الصحف أنباء بنائه، وبالفعل فقد ازدهرت الزراعة في مصر نسبياً فوصلت إلى سبعة ملايين وثمانمئة ألف فدّان، أي لم تبلغ الثمانية ملايين فدّان.

أقول: مع الأجهزة الحديثة والجرارات والأدوات، ومع السدّ العالي

لم تصل نسبة الأراضي المزروعة في مصر إلى ثمانية ملايين فدّان؛ بينما وصلت في العهد الإسلامي رغم بداءة الوسائل إلى ثلاثين مليوناً!

الإسلام أفضل نظام

عندما نقارن هذه النتائج سنكتشف صلاحية النظام الذي أثمر النتائج الأفضل؟ إنّ هذا دليل على صلاحية الإسلام وأنّه عرَف كيف يصلح الزراعة ويسير بها نحو الأفضل.

الإسلام ليس مجرّد نظريات بل كلّه فكر قابل للتطبيق، ولقد طُبّقت تشريعاته في العهود الإسلامية وأعطت نتائج باهرة.

ينقل المؤرّخون أنّه كانت توجد في مدينة البصرة أنهار تسير فيها الزوارق؛ بلغ عددها – أي الأنهار – اثني عشر ألفاً!

وروي أيضاً أنّ رجلاً قدم العراق – قبل زهاء ألف سنة – وصنع للعراقيين شيئاً، وعندما أراد أن يعود إلى بلده قالوا له: نريد أن نكافئك على صنعتك، فاطلب ما بدا لك. فقال: أريد منكم جريباً من أرض جرداء في العراق أزرعها (والجريب ألف متر مربع). فتعجّبوا من قوله، وقالوا: هذا هيّن، اطلب ما هو أعظم منه. ولكنه أصرّ على طلبه. وعندما بحثوا لم يجدوا في العراق جريباً خالياً من الزرع!

ولعلّ الرجل كان يريد أن ينبّههم إلى النعمة التي يرفلون فيها. والقصّة ليست قصّة العراق أو مصر بل قصّة الوطن الإسلامي برمّته. اقرأوا التاريخ لكي تعلموا أنّ كلّ الوطن الإسلامي كان هكذا؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا...﴾. لاحظوا كتب الفقه والحديث عند الشيعة والسنة على السواء، تجدون حرية في الزراعة لا توجد في أيّ

نظام وتشريع، وإليها يعود الازدهار الزراعي في الإسلام.

فكلّ شخص يزرع أرضاً فهي له سواء كان مسلماً أم يهودياً أم نصرانياً أم مشركاً أم عابد وثن. يقول الإسلام: الأرض لله فمن يزرعها فهي له، ولا يسأل عن الزارع بعد ذلك؛ ما دينه؟ وما لونه؟ وما هي جنسيته؟ ومن أيّ منطقة هو؟ وهل هو من أهل البلد أم لا؟ ولا يسأل عن عمره، وعن المادة التي يريد زراعتها. يقول لك الإسلام: ازرع ما شئت ومهما شئت ما لم يكن من الأمور المحرّمة الضارة بالمجتمع فإنّه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

ابحث في كلّ الحضارات المعاصرة والبائدة هل تجد مثل هذه الحرية وهذا التمليك؟ أم ستلاحظ وجود مئات القيود والمواد القانونية التي تحرم الكثيرين من زراعة الأرض وإعمارها؟

يقول الإسلام: *مَن أحيى أرضاً مواتاً فهي له*[1]، والأرض الموات هي الأرض الجرداء غير المزروعة والتي لا يوجد فيها نهر ولا قناة وغير محاطة مثل أكثر الأراضي المتروكة في البلاد الإسلامية.

وهذا النص سلاح ذو حدّين. فمن جهة هو يمنع الاحتكار، فلا يحق لك أن تحتكر هكتاراً من الأرض وتتركها جرداء، ومن جهة أخرى يدفع نحو الإعمار الزراعي؛ فإنّك إن استطعت أن تزرع الأراضي الجرداء مهما بلغت مساحتها فهي لك. إنّ الإسلام يريد أن تنتشر الزراعة وأن تعمّ البركات الأرض كلّها.

لم يخلق الله تعالى الأمطار لتنزل على أراضٍ جرداء وتذهب هكذا

---

(١) تهذيب الأحكام: ٧ / ١٥٢ ح٦٧٣.

هباءً؟! ولكن لكي تسقى الأرض ويستثمرها الإنسان. لقد خلق الله تعالى الأرض والمطر والإنسان وربط بينهم وأطلق يد الإنسان ليحصل على بركات السماء والأرض.

لقد وزّعت إحدى الحكومات الأراضي على الناس فأعطت كلّ مواطن هكتاراً من الأرض، وعدّت ذلك إنجازاً عظيماً وتقدّماً وإصلاحاً، بينما هو خطأ من جهتين: فإنّ إعطاء شخص ما هكتاراً وهو لا يستطيع زراعة أكثر من جريبين مثلاً، تبديد للثروة وحرمان لغيره الذي يستطيع أن يزرعها كلّها.

كما أنّ إعطاء هكتار واحد فقط لمن يستطيع أن يزرع أكثر منها تبديد للطاقات وحرمان المجتمع منها، فكيف يساوى مَن عنده مال وطاقة وكفاءة ويستطيع إحياء عشرة هكتارات مثلاً بمَن لا يستطيع إحياء هكتار واحد؟!

إنّ في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مفاتيح لتنظيم معايش الناس بصورة صحيحة سواء في مجال السياسة أو الاجتماع أو التربية أو الاقتصاد أو الأسرة أو علاقات الأفراد بعضهم مع بعض، ولا طريق لنا إلاّ بالعودة إلى تعاليم الإسلام، فإنّ في كلّ آية وحديث إنقاذاً لنا من أبواب المشاكل التي نعاني منها. فلنرجع إلى القرآن ونطبّقه حرفياً على وضعنا المعاصر ليُنزل الله علينا بركات من السماء والأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفهارس

١. آيات القرآن الكريم.

٢. الأحاديث والروايات الشريفة.

٣. المصادر.

٤. محتويات الكتاب.

آيات القرآن الكريم

الآية ورقمها	السورة	رقم الصفحة

الفاتحة

إياك نعبد وإياك نستعين ٤ ..... ٢١٠

البقرة

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ٢٩ ..... ١٤٣
إنا لله وإنا إليه راجعون١٥٦ ..... ٢٠١، ٢٠٨
ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ١٩٤ ..... ٩٣، ٣١٤
ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال ٢٢٩ ..... ٣٣٥، ٣٣٧،٣٤٠، ٣٤١
لا إكراه في الدين... فقد استمسك بالعروة ٢٥٦ ..... ٦٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٥
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله... بالمنّ والأذى ٢٦٢ – ٢٦٤ ..... ١٦٢

آل عمران

إن الدين عند الله الاسلام ١٩ ..... ٣٦
وما النصر إلاّ من عند الله ١٢٦ ..... ٣٠٧
لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً ١٦٤ ..... ١٦٣
فمَن زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنّة فقد فاز ١٨٥ ..... ١٦٤

النساء

ولا تقتلوا أنفسكم ٢٩ ..... ٩٣
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ٥٩ ..... ٤٣، ١٤١، ١٤٢، ١٥٨
ما أصابك من حسنة فمن الله ٧٩ ..... ٢٨٧، ٢٩٠ ٢٩٣
لا يحبّ اللهُ الجهرَ بالسوء من القول إلاّ مَن ظُلم ١٤٨ ..... ٣٥

المائدة

ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ٢ ..... ٣١٣
اليَومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ ٣ ..... ٤٢، ٤٣
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله ١٦ ..... ٢٨
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ٣٨ ..... ٨٤
ومن لم يحكم بما أنزل الله ٤٤ ..... ٣١٣
إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والّذينَ آمَنوا الّذينَ يُقيمونَ الصّلاةَ ٥٥ ..... ٤٦

وَلَوْ أَنَّهُمْ أقاموا التَوْراةَ... يا أيُّها الرَّسولُ بَلِّغ ما أنزِلَ إلَيْكَ ٦٦- ٦٧ ..... ٤٤
لتجدّن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود ٨٢ ..... ١٩

الأنعام

فمستقرّ ومستودع ٩٨ ..... ٢٢٧
قل الله ثم ذرهم ٩١ ..... ٢٠١
ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى ١٦٤ ..... ٢٧

الأعراف

ولو أن أهل القرى آمنوا ٩٦ ..... ٣٤٩، ٣٥٤،٣٥١
يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ١٥٧ ..... ٣٢٩
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ١٨٠ ..... ٤٩

الأنفال

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته ٢ ..... ٢٦٨
ليهلك من هلك عن بيّنة ٤٢ ..... ٢٦

التوبة

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم... أحبّ إليكم مِنَ الله ٢٤ ..... ٢٢٠
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ١٠٥ ..... ١٦٦

يونس

ثُمَّ جَعَلنَاكمْ خَلائفَ فِي الأرْضِ مِن بَعدِهِم لِنَنظرَ ١٤ ..... ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥

هود

فاستقم كما أُمرتَ ١١٢ ..... ٢١٩، ٢٢٠
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ١١٨-١١٩ ..... ٢٦١

الرعد

فإنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب ٤٠ ..... ٢٩٨

إبراهيم

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ١٧ ..... ١١٣

الحجر

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ٣ ..... ٢٧٩
ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين ٨٠-٨١ ..... ٢٩٧

النحل

إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ٤٠ ..... ٢٩٩
ادع إلى سبيلِ ربكَ بالحِكمةِ والموعِظةِ الحسنة ١٢٥ ..... ١٧٦

الكهف

فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر ٢٩ ..... ٣٢٣

آيات القرآن الكريم ٣٦١

المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير ٤٦ ..... ٢٧٥، ٢٧٦

طه

ولقد منّنّا عليك مرّة أخرى ٣٧ ..... ١٦٣

الأنبياء

لَوْ كانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا ٢٢ ..... ٤٧

وجعلنا من الماء كلّ شيء حي ٣٠ ..... ٣٥٠

ونبلوكم بالشر والخير فتنة ٣٥ ..... ٢٤٠

ذكر مبارك ٥٠ ..... ٣٥٠

الشعراء

قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ١٥٥ ..... ٣٠٠

القصص

ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ٥-٦ ..... ١٦١، ١٦٣-١٦٥

العنكبوت

أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون ٢ - ٣ ..... ٣٠٨

وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ ٦٤ ..... ٢١٤

لقمان

ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض ٢٠ ..... ١٤٣

الأحزاب

إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا ١٠ ..... ٣٠٧، ٣٠٨

وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ١٢ ..... ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٦

وكفى الله المؤمنين القتال ٢٥ ..... ٣٠٩

سبأ

قُل إنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا للهِ ٤٦ ..... ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤

فاطر

إنّما يخشى الله من عباده العلماء ٢٨ ..... ٧٥

الصافّات

ولقد منّنّا على موسى وهارون ١١٤ ..... ١٦٣

فصّلت

وما ربّك بظلاّم للعبيد ٤٦ ..... ٢٩٣

الشورى

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ... أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا ١٣ ..... ٩٩، ١٠٠

الفتح

يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ١٠ ..... ١٨٢

ليظهره على الدين كله ٢٨ ..... ١٧، ٢٣

ق

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ١٦ ..... ٨٥

الذاريات

ومن كلّ شيء خلقنا زوجين ٤٩ ..... ٣٣٦

النجم

ثم دنا فتدلّى . فكان قاب قوسين أو أدنى ٨-٩ ..... ١٠١

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ١٨ ..... ١٠١

الحديد

لِكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بِما آتاكم ٢٣ ..... ٢٣٣، ٢٤٣

الحشر

وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ٧ ..... ٩٢

الصف

يَاأيّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقولونَ مَا لا تَفعَلونَ ٢-٣ ..... ٢١٩

الملك

ألا يعلم مَن خلقَ وهو اللطيف الخبير ١٤ ..... ٣٥٠

الحاقّة

إنّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية ١١ ..... ٣١٩

ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل... فما منكم من أحد ٤٤-٤٧ ..... ٧٣، ٨٤-٨٧

المعارج

في يوم كان مقداره ٤ ..... ١٢٦

الجن

وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ١٨ ..... ٨٤

المدثر

ولا تمنن تستكثر ٦ ..... ١٦٢

الإنسان

إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا ٣ ..... ٣٢٣

البلد

وهديناه النجدين ١٠ ..... ٣٢٣

النصر

ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ٢ ..... ١١، ١٣ ٢٠

الأحاديث والروايات الشريفة

آخر فريضة أنزلها الله الولاية فلم ينزل من الفرائض شيء بعدها ٤٢
آخر ما يخرج من قلب المؤمن حب الجاه ٢٣٥
أبهذا أمرك الله أو عهد به إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ٦٢
اخرُج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا ٩٢
إذا زلّ العالِم يزلّ بزلّته العالَم ٢٢٧
إذا قام قائمَنا وضع الله يده على رؤوس العباد ١٨٢
إذا لم يتَّقِ الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه ٢٥٥
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث ٢٨٢
أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم ..... ٢١٤،٢٠٧
استعملتموه حتى إذا كبُر وعجز منعتموه! ٢٢
أفد يا مفيد، منك الفتيا ومنّا التسديد ٨٨
أفَضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله ..... ٣٣، ٢٤٨، ٢٥٣
ألا وإن الله سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه ٩٤
ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ..... ٤٥، ١٨٠
ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ١٤٧
إلهي خلقتني سميعاً، فطالما كرهت سماعي ٢٥٢
أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلا سياسة الليل وسياحة النهار ١٨٠
إن أرض الكعبة قالت: من مثلي و قد بني بيت الله على ظهري! ١١٨
إن أعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا ٥٠
إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منّا ١٣٤

إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة ..... ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦
إنّ الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ١٦٤
إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين عليه السلام ١٢٥
إنَّ الضَّيْفَ إذَا جَاء جَاء برِزْقه وإذَا ارتَحَلَ ارتَحلَ بذُنُوب أَهْلِ البيت ١٦٨
إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولَا إلى أعمالكم وإنّما ينظر إلى قلوبكم ٢١٨
إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ٢٤٣
إنّ علياً سار بالمنّ والكفّ ١٧٧
إنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب عليّ ..... ١٧٧، ١٧٩
إنَّ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ ثَلاثَةَ أَخلاءُ ٢٧٧
أَنا عَبدٌ من عبيد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله ١٢
إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ١٨٨
إنّا لنحبّ أن نعافى فيمَن نحبّ، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فيما أحَبَّ ٢٣٥
أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ٢٧١
إنَّمَا جُعِلَ الإمامُ لِيُؤْتَمَّ به ١٤٧
أنه لولا هؤلاء لاندرست آثار النبوة ١٥٧
إنّي أكره أن أبدأهم ١٨١
إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور ٤٩
برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه ٣٠٩
بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي ٢٧٠
بمثل هذا القضاء تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها ٩١
بينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد ١٦٦
تدمع العين ويحزن القَلْبُ ولا نقول ما يُسخط الرب ١١٥
تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ٢٥٢
ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطا وزعافاً ممقرا ٦٨
حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة ١٩٧
حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله ٢٥٩
حتى لقد وطئ الحسنان ٣٢٧
حسين منّي وأنا من حسين ..... ١٠٦، ١٠٧
رحم الله عبداً أحيى أمرنا ٦٩

الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن ..... ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣
الزهد مفتاح الآخرة، والبراءة من النار ٢٠٠
الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ٢٤٨
شيّبتني هود ٢٢٠
الصادع بالحكمة والموعظة الحسنة ١٧٧
الصدقة باليد تدفع ميتة السوء ... وتفكّ عن لحى سبعين شيطاناً ٢٨١
علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار ..... ٦١، ٦٥
عميت عين لا تراك ٢٠٣
فاجعل اللهم صباحي هذا نازلاً عليّ بضياء الهدى ٣٥
فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدنيا وملوكاً في الآخرة ٢٣
فالمستقر ما ثبت من الإيمان، والمستودع المعار ٢٢٧
فإنّ الأرض لله عز وجل ولَمن عمَّرها ٣٥٢
فإن الشقيّ من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ..... ٢٤٨، ٢٦١
فإنّ الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحدا ٢٥٩
فإن اليوم عمل ولا حساب، وإنّ غداً حساب ولا عمل ١٢٧
فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم ١٢٦
فزجَّ بي في النور زجّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه ١٠١
فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك ١٧
فكادت نفسي تخرج وَتَبَيَّنَت ذلك مني عَمَّتي زينب ١٣٦
فليشرّق وليغرّب ٤٥
قد قال لي إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا ٩٢
قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ ٣٢٦
قولي بقي كلّها إلاّ رقبتها ٢٧٨
كان في زمن موسى عليه السلام ملِك جبّار قضى حاجة ٢٨٨
كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ٢٦٦
كونوا زيناً ولا تكونوا شينا ٢٦٦
كيلا يتبيّغ بالفقير فقره ١٨٠
لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ٢٨
لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ٣٢٩

لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق أو كافر ٦٥
لأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً ٩٢
لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الاولون، ولا يدركه الآخرون ٥٠
لكل مأموم إمام يقتدي به ٢٦٩
للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد ١٨٧
لما اختلف في هذه الأُمّة سيفان ٦٧
لو أُعطيت الأقاليم السبعة ... على أن أعصي الله في نملة أسلبها ..... ٤٧، ٤٨، ٢٠٣
لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة ٥٢
لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار ٦٣
لولاك لما خلقت الأفلاك ..... ٧٣، ١٠٢
لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَة وَحَيْرَة الضَّلالَة ١٣٤
ما استغفاري وتضرعي لله سبحانه وتعالى إلا لأستقرّ في قبري ٢٨
مَن أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتبه الله في أعلى علّيين ١٠٢
مَن أحيى أرضاً مواتاً فهي له ٣٥٥
مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن ٣٢٩
من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته ١٥
من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه وكان محدّثه الحسين عليه السلام ١٢٦
مَن طلب شيئاً ناله أو بعضه ..... ٢٥١، ٢٦١
مَن غرس شجراً أو حفر وادياً... وأحيى أرضاً ميتةً فهي له ..... ٣١١، ٣٥٢، ٣٥٥
من كنت مولاه فعليّ مولاه ٤٢
مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ..... ١٧٥، ١٨٥
الناس مسلّطون على أموالهم ٩٣
نَفَسُ المَهموم لِظُلْمنا تَسْبيحٌ، وَهَمّهُ لَنا عِبادَة ١٢٢
هذا كتابنا عليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودّنا ١٨٨
هذا وليكم من بعدي ٦٧
هلك فيَّ رجلان محبّ غال، ومبغض قال ٢٩
واعلموا أنّ الدُّنيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلم ١٢٩
والله لقد قُتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد ١١٧
وإن أرض كربلاء وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله ١١٨

وإنّ لك في الجنة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة ٧٨
وإنما العيش الرغد في الجنة ٦٦
وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ٢٥٩
وحال بينك وبين مواهب الله لك ٥٦
وذلك في سلامة من ديني ..... ٣٣، ٣٤، ٣٥
وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه ٢١٨
وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين عليه السلام ٨٩
وكانت الولاية آخر الفرائض ٤٢
ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ٤٥
ولو دنوت أنملة لاحترقت ١٠١
وَلْيَجْتَهِدَنَّ أئمَّة الكُفْرِ وَأشْياع الضَّلالة في محوه ١٣٥
وما كانَ سببُ إسلامِ عامّة اليهود إلا من بعد هذا القول ١٨
ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ أو عليَّ ١٦
ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ..... ٢٣،٣١٣
يا رب برئت اليك مما ادعى فيّ الأجدع عبد بني أسد ٢٧
يا علي ائت بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد ٢٧١
يا علي أعطيتهم ليرضوا عني؟ رضي الله عنك يا علي! ٢٧١
يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي ١٧٨
يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره ٢٩٣
يامحمد، احبب مَن شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فانك ملاقيه ٢٣٩
يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ويدع الجذع في عينه ٢٨٧
يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم ١١٥
يوم غدير خم ... هو عيد الله الأكبر ٦٧
يوم غدير خمّ أفضل أعياد أمّتي ٤١

المصادر

القرآن الكريم.
نهج البلاغة.

أ –

الإحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي / من أعلام القرن السادس الهجري / ط . مطابع النعمان – النجف الأشرف.

الإرشاد: للإمام المحقّق محمّد بن النعمان النعمان العكبري البغدادي الملقّب بالمفيد / ت٤١٣هـ / ط. مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

إرشاد القلوب للشيخ أبي محمّد الحسن بن أبي الحسن محمّد الديلمي / من أعلام القرن الثامن الهجري / ط . منشورات الرضي – قم.

أعيان النساء للشيخ محمّد رضا الحكيمي / معاصر / ط . مؤسّسة الوفاء – بيروت.

إقبال الأعمال لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / ت٦٦٤هـ / ط . مكتب الإعلام الإسلامي – قم.

الأمالي للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي / ت٤٦٠هـ / ط . منشورات مكتبة الداوري – قم.

أمالي الصدوق الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

أمالي المفيد الإمام الفقيه محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي / ت٤١٣هـ / ط . منشورات مكتبة بصيرتي – قم.

الإمام والتبصرة للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . مدرسة الإمام المهدي «عجّل الله فرجه» – قم.

الإمامة والسياسة لأبي محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري / ت٢٧٦هـ / ط . انتشارات الشريف الرضي – قم.

أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري / ت٢٧٩هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

- ب -

بحار الأنوار للعلاّمة محمّد باقر بن محمّد تقي بن المقصود علي الملقّب بالشيخ المجلسي / ت١١١١هـ / ط . مؤسّسة الوفاء – بيروت.

- ت -

تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر / ت٥٧١هـ / ط . دار الفكر – بيروت.

تاريخ الطبري لأبي جعفر محمّد بن جرير / ت٣١٠هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

تفسير الإمام الحسن العسكري منسوب للإمام الحسن بن علي العسكري / ط . مدرسة الإمام المهدي «عجّل الله فرجه» – قم.

تفسير العيّاشي للمحدّث أبي النصر محمّد بن المسعود بن محمّد بن العياش التميمي المعروف بـ(العيّاشي) / ت٣٢٠هـ / ط . المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

تفسير فرات الكوفي لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات / ت٣٥٢هـ / ط . مؤسّسة الثقافة والإرشاد الإسلامي – طهران.

تفسيرالقمّي لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم أبي إسحاق القمّي / ت٣٢٩هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي / ت٥٦٠هـ / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

تفسير نور الثقلين للعلاّمة الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي / ت١١١٢هـ / ط . دار الكتب العلمية – قم.

تهذيب الأحكام للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي / ت٤٦٠هـ / ط . دار

الكتب الإسلامية – طهران.

توحيد الصدوق للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . مكتبة الصدوق – طهران.

- ث –

ثواب الأعمال للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . مكتبة الصدوق – طهران.

- ج –

جامع الأخبار للشيخ أبي الحسن علي بن أبي سعيد بن أبي فرج الخياط / ت٥٨٥هـ / مخطوط.

جامع المدارك في شرح المختصر النافع للسيّد أحمد بن السيّد العلاّمة يوسف الموسوي الخوانساري / ت١٤٠٥هـ / ط . مكتبة الصدوق – طهران.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للشيخ محمّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم النجفي / ت١٢٦٦هـ / ط . دار الكتب الإسلامية – طهران.

جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام لشمس الدين أبي البركات محمّد بن أحمد الشافعي المعروف بابن الدمشقي / ت٨٧١هـ / ط . مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم.

- ح –

حلية الأبرار للسيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني البحراني / ت١١٠٧هـ / ط . مؤسّسة المعارف الإسلامية – قم.

- خ –

الخصال للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . جماعة المدرّسين – قم.

- د –

دعائم الإسلام لأبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي

المغربي / ت٣٦٣هـ / ط . دار المعارف – بيروت.

دلائل الصدق للشيخ محمّد حسن بن الشيخ محمّد بن عبدالله المظفّر / ت١٣٧٥هـ / ط . مكتبة بصيرتي – قم.

- ذ –

الذريعة إلى تصانيف الشيعة للعلاّمة آقا بزرك الطهراني / ت١٣٨٩هـ / ط . المكتبة الإسلامية – طهران.

- ر –

رجال الكشي لأبي عمرو محمّد بن عمر بن عبدالعزيز.

روضات الجنّات للسيّد مير محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين بن أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير / ت ١٢٢٦هـ / ط . مكتبة اسماعيليان – قم.

روضة الواعظين للشهيد محمّد بن الفتال النيسابوري / ت٥٠٨هـ / ط . منشورات الرضي – قم.

- ش –

الشافي في الإمامة لأبي القاسم علي بن أبي أحمد الحسين المعروف بالشريف المرتضى علم الهدى / ت٤٣٦هـ / ط . ايران.

شرح أصول الكافي للمولى محمّد صالح السروي المازندراني / ت١٠٨١هـ / ط . المكتبة الإسلامية – طهران.

شرح نهج البلاغة للشيخ عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن أبي الحديد / ت٦٥٥هـ / ط . دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.

- ص –

صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة / ٢٥٦هـ / ط . دار الفكر – بيروت.

- ط –

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لعلي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس

/ ت٦٦٤هـ / ط . مطبعة الخيّام ـ قم.

- ع -

العدد القوية لرضي الدين علي بن يوسف المطهّر الحلّي / من أعلام القرن الثامن الهجري / ط . مطبعة سيّد الشهداء – قم.

العروة الوثقى للسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي / ت١٣٣٧هـ / ط . مؤسّسة النشر الإسلامي – قم.

علل الشرائع للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . منشورات الداوري – قم.

عوالي اللئالي للشيخ محمّد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الإحسائي / ت نحو ٨٨٠هـ / ط . سيّد الشهداء (عليه السلام) – قم.

عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . منشورات دار الفنون – بيروت.

- غ -

الغيبة للطوسي الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن / ت٤٦٠هـ / ط . منشورات مكتبة بصيرتي – قم.

الغارات أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفي / ط. دار الأضواء – بيروت/ لبنان.

الغيبة للنعماني الشيخ أبو عبدالله محمّد بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن أبي زينب / من علماء القرن الثالث الهجري / ط . مؤسّسة الأعلمي – بيروت.

- ف -

فرائد الأصول للشيخ مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري / ت١٢٨١هـ / ط . مجمع الفكر الإسلامي – قم.

- ق -

قرب الإسناد لأبي العباس عبدالله بن جعفر الحميري / ت٣٠٠هـ / ط . مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم.

قصص الأنبياء لقطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي / ت٥٧٣هـ / ط . مؤسّسة الهادي – قم.

- ك –

الكافي للشيخ أبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / ت٣٢٨هـ / ط . دار الكتب الإسلامية – طهران.

كامل الزيارات للشيخ أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي / ت٣٦٨هـ / ط . مؤسّسة النشر الإسلامي – قم.

الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمّد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير) / ت٦٣٠هـ / ط . دار الكتب العلمية – بيروت.

كتاب سليم بن قيس لسليم بن قيس الهلالي العامري / ت٩٠هـ / ط . منشورات دار الفنون – بيروت.

كتاب الغايات للشيخ أبي محمّد جعفر بن أحمد بن علي القمّي المعروف بـ(ابن الرازي) / من علماء القرن الرابع الهجري / .

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة للعلاّمة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي / ت٦٩٣هـ / ط . دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

كفاية الأثر لأبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزاز القمّي الرازي / ت٤٠٠هـ / ط . مطبعة الخيّام – قم.

الكنى والألقاب للشيخ المحقّق والمؤرّخ عبّاس القمّي / ت١٣٥٩هـ / .

- ل –

اللهوف في قتلى الطفوف لعلي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس / ت٦٦٤هـ / ط . منشورات الرضي – قم.

- م –

مئة منقبة (المناقب) لابن شاذان أبي الحسن محمّد بن أحمد بن علي بن الحسن القمّي / من أعلام القرن الرابع والخامس الهجريين / ط . مدرسة الإمام المهدي «عج» – قم.

مجموعة ورّام لأبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري / ت٦٠٥هـ / ط .

دار الكتب الإسلامية – طهران.

مدينة المعاجز للمحدّث السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحراني / ت١١٠٧هـ / ط . مؤسّسة النعمان – بيروت.

مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي / ت٣٤٦هـ / ط . دار الهجرة – قم.

مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي / ت١٤٠٥هـ / ط . جامعة المدرسين – قم.

مستدرك الوسائل للشيخ ميرزا حسين بن محمّد تقي الطبرسي النوري / ت١٣٢٠هـ / ط . مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – بيروت.

المسترشد في الإمامة للشيخ محمّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي / ت أوائل القرن الرابع الهجري / ط . سلمان الفارسي ـ قم.

مصباح الشريعة للشيخ شفيق البلخي.

مصباح المتهجّد للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي / ت٤٦٠هـ / ط . مؤسّسة فقه الشيعة – بيروت.

معاني الأخبار للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . جامعة المدرّسين – قم.

المعتبر للمحقّق الحلّي نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن / ت٦٧٦هـ / ط . مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام – قم.

معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه للشيخ علي الكوراني / معاصر / ط . مؤسّسة العارف الإسلامية ـ قم.

معجم البلدان للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي / ت٦٢٦هـ / ط . دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مفاتيح الجنان للشيخ عبّاس القمّي / ت١٣٥٩هـ / ط . مؤسّسة الوفاء – بيروت.

مقتضب الأثر لأحمد بن عبيدالله بن عياش الجوهري / ت٤٠١هـ / ط . العلمية – قم.

مقدّمة ابن خلدون لعبدالرحمن بن خلدون/ ت٨٠٨هـ / ط . إحياء التراث العربي –

بيروت.

المكاسب للشيخ العلاّمة الأنصاري مرتضى ابن المولى محمّد أمين الدزفولي / ت١٢٨١هـ / ط . مجمع الفكر الإسلامي – قم.

من لا يحضره الفقيه للشيخ أبي جعفر الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / ط . دار الكتب الإسلامية – طهران.

مناقب آل أبي طالب للشيخ رشيد الدين أبي جعفر محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني / ت٥٨٨هـ / ط . المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف.

مناقب الخوارزمي للموفّق بن أحمد بن محمّد البكري المكّي الحنفي / ت٥٦٨هـ / ط . مؤسّسة النشر الإسلامي – قم.

المنجد في اللغة لويس معلوف / معاصر / ط . دار المشرق – بيروت.

نهج الحقّ وكشف الصدق للعلاّمة الحسن بن يوسف الحلّي / ت٧٢٦هـ / .

- هـ -

الهداية للشيخ أبي جعفر الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي / ت٣٨١هـ / مؤسّسة الإمام الهادي – قم.

- و -

وسائل الشيعة للعلاّمة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي / ت١١٠٤هـ / ط . دار إحياء التراث العربي – بيروت.

محتويات الكتاب

المقدمة ٧

١ - نبي الإسلام صلى الله عليه وآله خير هاد للبشرية ٩

كيف دخل الناس في الإسلام أفواجاً؟ ١١

قوانين الإسلام أفضل القوانين كلّها ١٢

كيف كان منهج نبيّنا صلى الله عليه وآله؟ ١٣

نموذج من قوانين الدولة الإسلامية ١٥

لا رفاهية إلا في الإسلام ١٦

اليهود يعتنقون الإسلام ١٨

الإسلام دين الحقّ والصدق ١٩

التأمين الاجتماعي لأول مرّة في العالم ٢١

الإسلام للدنيا والآخرة ٢٢

وصيتان في مجال العمل الصالح ٢٣

عليكم بالشباب ٢٥

الإمام الصادق سلام الله عليه يتبرّأ من المفترين ٢٦

عود على بدء ٢٩

٢ - الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والسلامة في الدين ٣١

سلامة الدين أهم من كل شيء ٣٤

ما المقصود بسلامة الدين؟ ٣٥

٣ - قبس من الغدير ٣٩

عيد الله الأكبر ٤١

الغدير ووفور النعمة ٤٣

الغدير والتعاطف مع الناس ٤٥

مبادئ مدرسة الغدير ٤٧
الغدير والمشاعر الإنسانية ٤٩
مسؤوليتنا تجاه الغدير ٥١

٤ - ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير ٥٣
مقدمة ٥٥
الإمام علي سلام الله عليه مرسي دعائم الحرية في العالم ٥٧
كيف تعامل الإمام سلام الله عليه مع مثيري الحرب ضده؟ ٦٢
كيف تعامل الإمام مع الخوارج؟ ٦٤
ماذا كنّا سنربح لو تحقق الغدير؟ ٦٦
ماذا حدث بإقصاء الغدير؟ ٦٧
مسؤوليتنا تجاه الغدير ٦٨

٥ - أهمية أحكام الله تعالى ٧١
تقدير الله للعلم والعلماء ٧٥
قيمتنا عند الله يحددها دفاعنا عن أحكامه ٧٨

٦ - أحكام الله فوق كلّ شيء ٨١
مقدمة ٨٣
تفسير مفردات الآية ٨٤
التلاعب بأحكام الله من أكبر الكبائر ٨٥
الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد ٨٦
الشيخ المفيد مثالاً للخوف من الفتيا ٨٧
العوام والإفتاء في الشعائر الحسينية!! ٨٨
الفتاوى التي تحبس السماء ماءها ٩١
هل أنت أفقه من الإمام صاحب الزمان؟! ٩٢
الناس مسلَّطون على أنفسهم ٩٣
لم يفت مجتهد بحرمة أي من الشعائر الحسينية ٩٥

٧ - الإمام الحسين سلام الله عليه أقام الدين ٩٧
دين الله واحد ٩٩

ما وصّى الله به أنبياءه ١٠٠
مكانة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في السماوات ١٠٠
نماذج من محاولات بني أمية للقضاء على الدين ١٠٣
● حقد معاوية على الدين والرسالة ١٠٣
● يزيد يثأر لقتلى بدر ١٠٤
● خليفة يشتهي أن يفجر فوق الكعبة!! ١٠٥
حسين منّي وأنا من حسين ١٠٦
ختاماً: ماذا نقدّم للحسين سلام الله عليه؟ ١٠٧

٨ - عاشوراء دروس وعبر ١٠٩
عاشوراء أيضاً ١١١
الخشية من عدل الله ١١٣
المحيون للمآتم الحسينية ١١٥
قتلة سيد الشهداء سلام الله عليه ١١٦
تفاخر الكعبة ومكانة كربلاء ١١٧
عطاءات عاشوراء ١١٩
ثواب ذكر الحسين سلام الله عليه ١١٩
عاقبة محاربة المواكب الحسينية ١٢١
ثواب الحزن على أهل البيت عليهم السلام ١٢٢
سيد الشهداء عليه السلام يلي حساب الناس ١٢٥
ذخر ليوم الحساب ١٢٧
صيانة المكاسب ١٢٩
حفظ الأمانة ١٣٢
الاقتداء بسيّد الشهداء سلام الله عليه ١٣٣
نور الله ١٣٥
سبايا أهل البيت سلام الله عليهم في ساحة المعركة ١٣٦

٩ - سيرة الإمام زين العابدين سلام الله عليه ١٣٩
مقدمة ١٤١
الأئمة نور واحد ١٤٤

دور الإمام السجاد سلام الله عليه ١٤٦
خطط بني أمية للقضاء على الإسلام ١٤٨
الأدوار الرئيسية للإمام سلام الله عليه ١٥٠
١. شراء العبيد و عتقهم في سبيل الله ١٥٠
من رأى ليس كمن سمع ١٥٢
آية الله البروجردي مثالاً ١٥٣
مثال آخر ١٥٤
مع الإمام مرة أخرى ١٥٥
٢. تخريج الفقهاء والعلماء ١٥٦
٣. رعاية الخط الجهادي ١٥٧

١٠- الحجّة المنتظرعجّل اللّه فرجه منّة اللّه على مستضعفي الأرض ١٥٩
أ. التأكيد على المستقبل ١٦٢
ب. شمول دائرة المنّة لكلّ أهل الأرض ١٦٢
خلاصة الدليل ١٦٥
الإمام عجّل الله تعالى فرجه ناظر إلينا ١٦٦
ما يحول دون تشرّفنا بلقاء الإمام المهدي عجّل الله فرجه ١٦٦
قصة الرجل المحبّ للضيف ١٦٨
ذكرى المولد فرصة لمراجعة أنفسنا ١٧٠

١١ - في ذكرى ميلاد منقذ البشرية المهديّ المنتظر عجّل اللّه فرجه الشريف لنعرف إمامنا وواجبنا بصورة أفضل ١٧٣
● لنعرف إمامنا أكثر ١٧٥
قضية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه من الأمور المسلّمة ١٧٦
إنّه يصدع بالحكمة والموعظة الحسنة ١٧٦
ويسير بسيرة جدّه أمير المؤمنين سلام الله عليه ١٧٧
ويلبس ثياب عليّ سلام الله عليه ١٧٩
أهل البيت سلام الله عليهم كلّهم رحمة ١٨١
الإمام المهدي مرآة المصطفى والمرتضى صلوات الله عليهم ١٨١
أحوال الناس في زمن الظهور ١٨٢

● لنعرف وظيفتنا بنحو أفضل ١٨٣
الواجب مقدّم على الرغبة وهو تعلّم الإسلام و ١٨٤
الشيخ المفيد نال أوسمة من الحجّة لم ينل مثلها أحد ١٨٦
بمقدار ما نعمل بواجبنا يرضى عنّا الحجّة ١٨٩
أويس القرني أفضل من كثير من الصحابة! ١٩٠

١٢ - القيام لله أبلغ الموعظة ١٩٣
مقدمة ١٩٥
الإنسان بطبعه ميّال لذاته ١٩٦
مع الشيخ محمد تقي الشيرازي ١٩٧
أمثلة على حب الذات ١٩٩
نكران الذات مصدر كلّ الفضائل ٢٠٠
مثنى وفرادى ٢٠١
واقعة فيها عبرة ٢٠٢
العمل بالآية ٢٠٢
الخلاصة ٢٠٤

١٣ – كيف نكون في نور الله ٢٠٥
معنى كون الإنسان في نور الله ٢٠٧
المقصود من الحديث الشريف ٢٠٨
نماذج من الواعين لمعنى الحديث ٢٠٩
الخلاصة ٢١٣

١٤ - كيفية العمل لله تعالى ٢١٥
مقدمة ٢١٧
أشدّ آية في القرآن ٢١٩
أهمية الكيف ٢٢١
مثال من واقع الحياة ٢٢٣
من علامات الكيف المقبول ٢٢٤
المؤمن يرتبط قلباً بالله لا بغيره ٢٢٦

الرب أعرف بمصلحة المربوب وحاله ٢٢٩

١٥ - تكييف الإنسان نفسه مع ما كتب الله له ٢٣١
الزهد بين كلمتين من القرآن ٢٣٣
التغيير ممكن ٢٣٤
التأسّي بأهل البيت سلام الله عليهم ٢٣٥
الاعتبار بقصص الآخرين ٢٣٥
السبيل إلى التغيير ٢٣٧
في تربية النفس صلاح الدنيا والآخرة ٢٣٩

١٦ - الورع عن محارم الله تعالى ٢٤٥
● من هو الشقي ٢٤٨
أقسام الصوم ومراتبه ٢٤٩
لنصمم على بلوغ أعلى المراتب ٢٥٠
ولنحدّد المحرّمات التي تواجهنا ٢٥٢
وليكن لنا في المتحولين عبرة ٢٥٣
● الورع عن محارم الله ٢٥٣

١٧ - شهر رمضان شهر بناء النفس والمجتمع ٢٥٧
مقدمة ٢٥٩
● شهر رمضان فرصة مناسبة لبناء الذات ٢٦٠
محاسبة النفس أسهل الطرق لبناء النفس ٢٦٢
● رمضان شهر التغيير الاجتماعي ٢٦٦
الاعتبار ببعض أهل العلم ٢٦٧
لنتعلّم من أهل البيت سلام الله عليهم ٢٦٩

١٨ - الباقيات الصالحات ٢٧٣
ما المقصود بالزينة؟ ٢٧٥
المال وتحديده ٢٧٦
معاني كلمة «دنيا» ٢٧٧
الباقيات ٢٧٨

وقفة تأمّل ٢٧٩
وخير أملاً ٢٨٠
خير للمرء أن ينفق من ماله في حياته ٢٨٠
الشياطين تمسك بيد المنفق ٢٨١
الصالحات ٢٨١
قصتان فيهما عبر ٢٨٢
سارعوا في الخيرات ٢٨٣

١٩ - آثار الأعمال ٢٨٥
العبد الصالح الذي سأل الملك الجبار ٢٨٨
الاعتبار من قصة شريك النخعي ٢٩٠
الخلاصة ٢٩٣

٢٠ - قصة أصحاب الحجر ٢٩٥
مَن هم أصحاب الحجر؟ ٢٩٧
الإعراض عن الآيات ٢٩٨
آية صالح عليه السلام ٢٩٩
عقر الناقة ٣٠٠
نزول العذاب، والعبرة من القصة ٣٠١

٢١ - معركة الأحزاب .. دروس وعبر ٣٠٣
الحكومة الإسلامية هي التي تطبّق كلّ أحكام الله ٣١٠
لا ضرائب جمركية في الإسلام ٣١٢
عود على بدء ٣١٥

٢٢ - الحرية في الإسلام ٣١٧
معنى الطاغوت ٣١٩
العروة الوثقى ٣١٩
حرية اختيار الدين في الإسلام ٣٢٠
رسول الله صلى الله عليه وآله القدوة في تطبيق المبدأ ٣٢١
أمثلة من سيرة أمير المؤمنين سلام الله عليه ٣٢٤

مقارنة ٣٢٧
أنت حرّ ما لم تضرّ ٣٢٩
التزم بتوجيهات الإسلام ولا تكن عبد غيرك ٣٣٠

٢٣ - حقوق المرأة في الإسلام ٣٣٣
الشرح اللفظي للآية الكريمة ٣٣٥
"تحرير المرأة" شعار جميل الظاهر خاوي المحتوى ٣٣٦
الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر ٣٣٨
لماذا كان نصيب المرأة من الإرث نصف نصيب الرجل؟ ٣٤٢
لماذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل؟ ٣٤٣

٢٤ - الإصلاح الزراعي في الإسلام ٣٤٧
القرية في الاستعمال القرآني ٣٤٩
معنى البركة ٣٥٠
لنزول البركات سببان؛ تكويني وتشريعي ٣٥٠
مثال البركات التكوينية ٣٥١
الإصلاح الزراعي في الإسلام لا غيره ٣٥٢
الإسلام أفضل نظام ٣٥٤
الفهارس ٣٥٧
آيات القرآن الكريم ٣٥٩
الأحاديث والروايات الشريفة ٣٦٣
المصادر ٣٦٩
محتويات الكتاب ٣٧٧